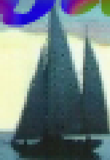
دانييل ستيل

DANIELLE STEEL

المعجزة

MIRACLE





الدار العربية للعلوم - ناشرون

Arab Scientific Publishers, Inc.

المعجزة

STEEL

ترجمة
رفيف غدار



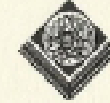
الدار العربية للعلوم . ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. SAL

يضم هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي

MIRACLE

ردمك 9953-29-134-9

الطبعة الأولى
1427 هـ - 2006 م



الدار العربية للعلوم ـ ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. SAL
عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961)
ص.ب: 5574-13 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان
فاكس: 786230 (1-961) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

التنضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت - هاتف 785107 (9611)
الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت - هاتف 786233 (9611)

1

شقّت السفينة الشراعية، فكتوري، طريقها بروعة على طول الساحل باتجاه المرفأ القديم في أنتيبز في يوم ماطر من أيام تشرين الثاني. كانت أمواج البحر تتلاطم، بينما كان كوين توميسون يقف بصمتٍ على ظهر السفينة، ينظر إلى أعلى الأشرعة، ويستمتع باللحظات القليلة الأخيرة له على ظهرها. لم يهتم للطقس أو للغيوم أو حتى للبحر الهائج، فقد كان بحاراً أصيلاً ومتمرساً. كانت فكتوري سفينة شراعية بطول مئة وخمسين قدماً مع محركات احتياطية، وقد استأجرها من رجلٍ كانت بينهما علاقات عمل كثيرة في لندن، في تلك السنة تعثرت أعمال مالك فيكتوري، وكان كوين ممتناً لاستخدامه السفينة منذ شهر آب. استخدمها بشكلٍ جيد، والوقت الذي أمضاه على متنها كان مفيداً له من جميع النواحي. كان معافى وقوياً وأكثر هدوءاً مما كان عليه في بداية الرحلة. كان رجلاً وسيماً نشيطاً فتيّ الطلة، وأكثر استسلاماً لقدره مما كان عليه خلال شهور.

كان قد ركب على متن السفينة في إيطاليا، وبعد ذلك أمضى وقتاً في المياه الإسبانية والفرنسية، وبلغ رقعة عادةً ما تكون هائجة في خليج ليون، واستمتع بالإثارة الناجمة عن عاصفة قصيرة غير متوقّعة. بعد ذلك، أبحر إلى السويد والنروج، وعاد ببطء عبر عدة مرافئ ألمانية. كان قد أمضى على متن السفينة ثلاثة شهور، وهو ما أدى إلى نتيجة نافعة حيث منحه ذلك كل الوقت الذي يحتاج إليه ليكون بعيداً، وقد استغل كوين ذلك الوقت بشكل جيد في التفكير والشفاء من كل ما حدث. كان يؤخر عودته لشهور إلى كاليفورنيا فلم يكن لديه سبب للعودة للوطن. ولكن مع قدوم الشتاء، عرف أنه لا يستطيع أن

يؤجل عودته أكثر من ذلك، لأن مالك فكتوري أرادها في البحر الكاريبي لأنه يريد استعمالها في البلاد، وكان المالك قد أخبر كوين بالأمر عندما اتفقا على تأجيرها. لقد دفع كوين ثروة من أجل ثلاثة أشهر في الخارج، ولكنه لم يأسف على قرش منها. لم يعنِ الثمن الباهظ لاستئجار السفينة شيئاً لكوين تومبسون، فبإمكانه دفع ذلك المبلغ، وأكثر منه بكثير. لقد كان من الناحية المادية والمهنية رجلاً محظوظاً جداً.

لقد تذكره الوقت الذي أمضاه على متن السفينة بمدى شغفه بالإبحار. لم يهتم للعزلة، لا بل زادته العزلة في الحقيقة قوة، كما أن أفراد الطاقم كانوا خبراء بالإضافة لكونهم متحفظين، وقد تركت فيهم مهارته انطباعاً حسناً، وسرعان ما أدركوا بأنه يعرف عن فكتوري، وعن كيفية الإبحار بها بقوة وعلى نحو جيد، أكثر من مالكها نفسه الذي لم يكن يعرف شيئاً تقريباً. علاوة على كل ما سبق، وفرت فكتوري لكوين وسيلة للهرب وملاذاً لطيفاً، وقد استمتع على وجه التحديد بوقته في الأزقة البحرية حيث بدا أن جمالها الصارم يلائمه أكثر بكثير من المرافئ البهيجة أو الرومانسية في البحر المتوسط والتي تجنبها جاهداً.

كانت حقائبه تُحزم في الغرفة، بينما كان يقف على ظهر السفينة، وخلال ساعات من مغادرته، سيتلاشى كل دليل على الوقت الذي أمضاه هنا. كان هناك ستة رجال من أفراد الطاقم على متن السفينة وامرأة واحدة هي زوجة القبطان والتي كانت تعمل كمضيفة أيضاً، وهي كالآخرين، كانت متحفظة ومهنية ونادراً ما حدثته بالكثير، وكما هو المالك فقد كان الطاقم كله بريطانياً، وقد استمتع كوين والقبطان بعلاقة مريحة متسمة بالاحترام.

عندما انضم القبطان إلى كوين على ظهر السفينة قال له مبتسماً: "عذراً لتلاطم الأمواج في طريقنا للداخل"، ولكنه كان يعرف الآن أن كوين لا يهتم لهذا. التفت كوين باتجاه القبطان وأومأ إيماءة تنم عن عدم انزعاجه من الأمواج المتكسرة على مقدمة السفينة والمطر المتساقط بقوة عليهما. كان

يرتدي ملابس تناسب الطقس القاسي، في الحقيقة لقد أحب تحدي الإبحار الصعب، والبحر الهائج، والعاصفة المَرَضية. الشيء الوحيد الذي لم يحبه هو المغادرة. كان كوين والقبطان قد أمضيا ساعاتٍ وهما يتحدثان عن الإبحار والأماكن التي كانا فيها، ولم يستطع القبطان إلا أن يُدهش بأسفار كوين الواسعة، وعمق معرفته التي تركت في نفسه انطباعاً قوياً. كان كوين تومبسون رجلاً يمتلك قدرات وإمكانات متعددة، لقد كان أسطورة في عالم المال. كان مالك السفينة الشراعية قد أخبر القبطان قبل وصول كوين بأنه رجل عصامي صنع ثروة هائلة، وقد بلغ في وصفه إياه حداً جعله ينعته بالأعجوبة، وبعد ثلاثة أشهر قضاها معه على السفينة فإن القبطان لم يعارض أبداً ذلك الرأي. فكوين تومبسون كان رجلاً أعجب الكثيرون به، وخشيه البعض، وبغضه القليلون لسبب وجيه أحياناً. كان كوين تومبسون صريحاً، واثقاً، قوياً، غامضاً في بعض النواحي، وكان يمتلك إرادة لا تلين فيما يتعلق بحصوله على الأشياء التي يريدها. كانت أفكاره غير متناهية أما خياله في مجال العمل فلم يكن يحده شيء، أما كلامه فقد كان نادراً. لقد أعجب القبطان بشخصية كوين كثيراً إلا أن معظم حديثهما كان يدور حول الإبحار وهو موضوع استمتع به كلاهما أكثر من أي حديث آخر.

عرف القبطان بأن كوين قد فقد زوجته في الربيع الماضي، وقد ذكرها كوين مرة أو مرتين. في بداية الرحلة كانت هناك بعض الأيام الكئيبة، كما أن نظرة حزينة كانت تعتري وجه كوين في بعض الأحيان، ولكنهما (كوين والقبطان) أمضيا معظم الساعات، وهما يقفان بجانب بعضهما على ظهر السفينة، وقد أبقى كوين خططه طي الكتمان. كان القبطان يعرف بأن لكوين ابنة، لأنه ذكرها مرة، ولكن كوين قلّما تكلّم عنها، فقد كان رجلاً سريعاً في مشاركة الأفكار، ولكنه نادراً ما يُشرك الآخرين في مشاعره.

بينما كان الطاقم يُنزل الأشرعة قال القبطان آملاً: "يجدر بك أن تعرض على السيد باركلي سعراً من أجل فكتوري". ومن ثم أدار المحرك وهو ينظر

إلى كوين نظرة خاطفة من وراء كتفه بينما كانوا يتجهون إلى المرفأ. ابتسم كوين في ردٍّ منه على التعليق. لم يكن من السهل جعله يبتسم، ولكنه عندما يبتسم كان وجهه ينير كإشراقة الشمس في الصيف، وهذا ما يجعلها تستحق المجهود المبذول لأجلها. أما في الأوقات الأخرى وهي الغالبة فقد كان يبدو تائهاً، إلا أنه عندما كان يضحك كان يبدو شخصاً مختلفاً.

أقرّ كوين: "لقد فكرت في الأمر، ولكنني لا أظن بأنه سيبيعها". كان كوين قد سأل جون باركلي قبل أن يستأجرها إن كان هناك أي مجال لبيعها، وقد أخبره باركلي بأنه لن يفعل ذلك إلا إذا اضطرّ لذلك، وقد اعترف بأنه يمكن أن يتخلّى عن زوجته وأولاده قبل أن يتخلى عن سفينته الشراعية، وهي وجهة نظر تفهمها كوين واحترمها أيضاً. لم ينقل تعليقه إلى القبطان، ولكن في الشهور الثلاثة الماضية، كان كوين قد وقع في حب فكرة شراء سفينة. لم يمتلك واحدة لسنوات، وليس هناك من يمنعه من فعل ذلك الآن.

تجرّأ القبطان وقال بحذر: "يجدر بك أن تقتني واحدة يا سيدي". كان سيحب أن يعمل لحسابه، لقد كان كوين صارماً، ولكنه منصفٌ ويبعث على الاحترام، والإبحار معه لا يخلو من الإثارة. لقد قام بأمور، وذهب إلى أماكن بواسطة السفينة فكتوري ما كان جون باركلي ليحلم أبداً أو ليجرؤ على القيام بها، وقد أحبّ أفراد الطاقم بأكمله الأشهر الثلاثة التي أمضوها وهم يبحرون من أجل كوين ثومبسون ومعه. كان كوين نفسه يفكر في شراء أو بناء سفينة منذ شهر آب، وخاصة الآن حيث انقضت شهوره على السفينة فكتوري. سيكون ذلك الحلّ الأمثل للخروج من سان فرانسيسكو، فهو قد قرّر بالفعل أن يبيع المنزل، وكان يفكّر في شراء شقة في مكان ما في أوروبا. الآن، وقد بلغ من العمر واحداً وستين عاماً، ومضى على تقاعده سنتان تقريباً، ورحيل جين فما من سبب يدعوه للبقاء في سان فرانسيسكو. لقد أدرك بأن سفينة قد تعيد الفرح إلى حياته. في الواقع لقد فعلت هذه السفينة هذا الأمر حقاً. كان يكره حقيقة أن الناس غالباً ما يخيبون آمال بعضهم البعض، ولكن السفن لا تفعل ذلك أبداً.

قال كوين بهدوء: "لقد وجدت نفسي أصل إلى النتيجة ذاتها طوال الصباح". لقد كره مغادرة فكتوري، وكان يعرف بأنها ستبحر في غضون يومين إلى جبل طارق، ومن ثم إلى مارتن حيث سيلاقيها مالكها من أجل تمضية ذكرى الميلاد على متنها مع زوجته وأولاده. الثمن الذي دفعه كوين لاستئجارها ساعد باركلي على تحمّل نفقاتها، وقد أحدث اختلافاً هائلاً، فالمال الذي دفعه كوين سيتيح لمالكها الاحتفاظ بها لسنة أخرى على الأقل. سأل كوين باهتمام: "هل تعرف سفينة تضاهي فكتوري معروضة للبيع حالياً؟" فكّر القبطان بالسؤال ملياً بينما استمر بالنظر مباشرة أمامه، وهو يراقب وجهة سير السفينة وهي تدخل في القناة.

قال: "لا أعرف سفينة معروضة للبيع تلبي حاجتك". كانت هناك دوماً سفن ضخمة تنتقل ملكيتها باستمرار من شخص إلى آخر، ولكن السفن الشراعية الرائعة ذات المستوى الذي يرغب به كوين كانت صعبة المنال. ففي معظم الحالات أحبها مالكوها، وما كانوا ليتخلوا عنها بسهولة. كان لا يزال يفكر بالأمر عندما انضم إليهما المعاون الأول فسأله القبطان نفس السؤال، وأثير اهتمام كوين عندما أومأ الشاب قائلاً: "سمعت عن واحدة قبل أسبوعين عندما غادرنا النروج. لم يتم الانتهاء من بنائها بعد، ولكنها معروضة للبيع. لا تزال في حوض بناء السفن في هولندا، حيث شُرِع في بنائها السنة الفائتة بطلب من بوب رامزي وقد قرّر الآن أن يبيعها. يريد واحدة أكبر. سمعت أن تلك المعروضة للبيع جميلة بالفعل". عرف الرجال الثلاثة بأنها لا بد أن تكون كذلك إن كانت تُبنى بتكليف من بوب رامزي، فقد كان بحاراً فذّاً، يملك ثلاثة يخوت جميلة اشترك فيها في كل مباريات السباق الأوروبية، وقد حصل بشكلٍ عام على جميع الجوائز. كان أميركياً ومتزوجاً من فرنسية يعيش معها في باريس. كان بطلاً في عالم الإبحار الدولي، وجميع السفن التي بناها كانت رائعة.

سأل كوين فجأة: "هل تعرف في أي حوض بناء هي؟" وتساءل في نفسه إن كانت هذه هي الاستجابة لدعواته حين أشرق وجه الشاب وقال: "أعرف بالفعل. إذا شئت سأتصل بهم ما إن نرسو على الرصيف".

كان كوين سيغادر بعد ظهر ذلك اليوم في رحلة جوية إلى لندن، حيث سيقضي ليلته في فندق، ومن ثم سيغادر بالطائرة إلى سان فرانسيسكو في الصباح التالي. كان قد اتصل بابنته أليكس في جنيف ليراها قبل عودته للوطن، ولكنها أخبرته بأنها مشغولة جداً مع ولديها. كان يعلم السبب الحقيقي لعدم رغبتها في رؤيته، وما عادت لديه الطاقة لمحاربته. كانت المعارك بينهما مريرة جداً، وقد تواصلت لفترة طويلة. لم تسامحه أبداً على ما كان يعتبرها إخفاقاً منه في طفولتها، وقد أخبرته قبل ذلك بأشهر بأنها لن تغفر له مطلقاً اتصاله المتأخر جداً بها خلال مرض أمها. في الواقع، لقد أدرك الآن بأن ذلك الرجاء الأعمى والإنكار كانا السبب وراء عدم اتصاله بها في وقت أقرب. لقد رفض هو وجين أن يصدقا بأنها ستموت فعلاً واستمرا في إخبار نفسيهما وبعضهما بأنها ستنجو. وعندما وافقت جين أخيراً على السماح له بالاتصال بابنتهما، كان ذلك قبل أيام فقط من النهاية. وحتى حينها لم يعتقدا بأنها ستموت، وفي بعض الأحيان كان يتساءل إن كان هو وجين قد أرادا أن يكونا بمفردهما في أيامها الأخيرة، وقد أخفقا دون وعي منهما في أن يشملا أليكس معهما.

عندما سافرت أليكس بالطائرة للوطن لرؤية أمها، كانت جين مثقلة. وصلت أليكس قبل وفاة أمها بيومين، وكانت تعاني من آلام مبرحة أو تحت تأثير مسكّن قوي وبالكاد استطاعت أليكس أن تتكلم مع أمها إلا في تلك اللحظات الصافية النادرة التي واصلت فيها جين إصرارها بأنها ستكون بخير. لقد أفقد الحزن والصدمة أليكس الحس، فانفجرت غاضبة بوجه والدها. كل تعاستها وإحساسها بالضياع حصر نفسه في ذلك الغيظ الذي كانت تشعر به نحوه مسبقاً، كما أن مشاعرها الملتهبة من خيبة الأمل والحزن والكرب، تحولت إلى غضب حانق. وما إن عادت لبيتها حتى أرسلت إلى كوين رسالة واحدة قاسية تفيض بالكرب، ولأشهر بعد ذلك لم ترد على اتصال واحد من اتصالاته الهاتفية. وبالرغم من توسلات جين الأخيرة إليهما بإشاعة السلام

بينهما، والاهتمام ببعضهما، إلا أن كوين فقد الأمل من أليكس منذ وفاة جين. كان يعلم كم ستكون جين مستاءة بسبب نفورهما، وقد شعر بالضيق جراء ذلك، ولكن لم يكن بإمكانه فعل شيء. وفي صميم قلبه، كان يعتقد بأن أليكس محقة، فبدون أن يقصدا، حرماها (هو وجين) من الوقت الكافي لوداع أمها.

كانت المكالمة الهاتفية التي أجراها قبل يومين من فكتوريا محاولة أخيرة لا طائل منها لاستمالتها، وقد قوبلت بصد بارد. بدا أن ليس هناك طريقة الآن لمد جسور المحبة على هوة الخلاف، كما أن غضبها لأجل طفولتها كان كامناً لزمن طويل جداً. فخلال كل السنوات التي أمضاها في بناء إمبراطوريته، لم يقض أي وقت تقريباً مع جين والولدين. لقد سامحته جين فقد كانت تتفهم دائماً ما كان يقوم به، وما الذي يعنيه له، ولذلك لم تعاتبه أبداً. كانت فخورة باستثماراته مهما كلفها هي شخصياً. ولكن أليكس وصلت إلى حدّ كرهته فيه لغيابه وقلة اهتمامه الظاهري بحياتها المبكرة. أخبرته بذلك يوم الجنازة، بالإضافة إلى غضبها الشديد لعدم إنذارها بخطورة مرض أمها، وبالرغم من أنها تمتلك مظهر أمها الرقيق إلا أنها كانت تمتلك صلابة كصلابته تماماً... وفي بعض النواحي، ربما أكثر. كانت قاسية وغير متسامحة كما كان هو في معظم الأحيان في الماضي. والآن لا يملك دفاعاً إزاء غضبها، فقد كان يعلم أنها محقة.

كان هناك جانب عطوف في كوين لم يعرفه إلا القليل من الناس، وكانت جين دائماً متأكدة منه، حيث كان لديه طبع رقيقٌ عمل على إخفائه جيداً، وهو ما كانت تنعم نفسها به حتى عندما كان أقل ما يمكن وضوحاً. في الوقت الذي أخذت عنه أليكس قوته، إلا أنها لم تأخذ شيئاً من عاطفة جين، حيث كان فيها جانباً جليدياً أخاف كوين نفسه. كانت غاضبة منه لسنوات، وكان واضحاً أنها تنوي الاستمرار على هذا المنوال، وعلى وجه التحديد الآن، حيث شعرت بأنها قد حُرمت من أمها في أيامها الأخيرة. كانت تلك الضربة القاضية لعلاقتهما كأب وابنة، وقد أدرك هو الآن، إزاء اتهامات أليكس له، بأنه إنما أراد جين

لنفسه في أيامها الأخيرة، ولم يرغب بأن تشاركه أليكس فيها. ففي غمرة خوفه الشديد من موت جين، تشبث بالرفض. كان هناك الكثير ليقولاه لبعضهما بعد كل تلك السنوات التي كان فيها بعيداً، كل الأشياء التي لم يقلها لها أبداً، والتي لم يفكر أبداً بوجوب قولها. في النهاية، أخبرها إياها، كلاهما فعل ذلك، وكانت تلك الأسابيع القليلة الأخيرة هي التي شاركته فيها بكل يومياتها وقصائدها. لقد اعتقد دوماً بأنه يعرف زوجته، ولم يكتشف العكس إلا في النهاية فقط.

خلف مظهرها الرصين الهادئ الرقيق، عاشت امرأة ذات دفء وحب وعاطفة لا حدود لأي منها، والتي كانت جميعها موجهة إليه وهي مشاعر لم يفهم عمقها أبداً على نحوٍ كامل إلا بعد فوات الأوان. كان ذلك أكثر من أي شيء يمكن لأليكس أن تتهمه به، وقد عرف الآن بأنه لن يستطيع أبداً أن يغفر لنفسه. فهو بالتأكيد كان متواجداً أبداً من أجل جين، وقد أدرك بأنه تخلى عن زوجته أكثر مما تخلى عن ابنته. كان يجدر بجين أن تغضب منه بقدر غضب أليكس، ولكن كان كل ما فعلته هو أنها ازدادت حباً له، في غيابه المتكرر الذي لا ينتهي. كان خجِلاً بعمق من ذلك، وقد استهلكه الشعور بالذنب الذي عرف بأنه سيعاني منه طوال حياته. لقد بدت جريمة لا عذر فيها حتى بالنسبة إليه، وهي الآن تبدو كذلك أكثر بعد أن قرأ كل يومياتها والتي كان قد أحضرها معه في رحلته، وواظب على قراءتها كل ليلة خلال أشهر. وحتى أكثر من اليوميات، فإن قصائد الحب التي كتبتها اخترقته كالمشرط، ومزقت قلبه. لقد كانت أكثر النساء اللواتي عرفهن عاطفة وتسامحاً وكرماً، وكانت كنزاً أعظم بكثير مما حسبه أبداً. وأسوأ ما كان في سخرية الأقدار، أنه لم يفهم هذا الشيء سوى الآن فقط بعد أن رحلت. بعد فوات الأوان، بعد فوات الأوان بكثير جداً. كل ما كان بإمكانه أن يفعله الآن هو أن يأسف لإخفاقاته ولفقدانها فيما تبقى من حياته، فلم تكن هناك طريقة لإصلاح الأمر أو تعديله أو حتى التعويض عنه بالرغم من اعتذاره منها قبل موتها. والأسوأ من ذلك أن جين أكدت له بأنه ليس هناك ما يدعوه لأن يأسف أو يلوم نفسه من أجله. لقد أقسمت له بأنها

كانت سعيدة معه في السنوات التي تقاسماها معاً، وهذا ما جعل من ذنبه أكثر سوءاً فقط. فكيف يمكن لها أن تكون سعيدة مع رجل لم يكن متواجداً أبداً، ولم يعرها تقريباً أي اهتمام؟ كان يعلم ما هو ذنبه ولماذا اقترفه، فقد كان مهووساً بإمبراطوريته وإنجازاته وأعماله الخاصة، وقلّما فكّر في أي شخص آخر غيره، أما تفكيره بزوجته وطفليه فكان في آخر سلم تفكيره. كان لأليكس كل الحق في أن تغضب منه، كان يعرف ذلك، وكانت جين تملك كل سبب يدعوها لكرهه، ولكنها لم تفعل. بل على العكس، لقد كتبت له قصائد حب، وكانت مخلصة له بشدة، وكان كوبن يعرف أكثر من أي شخص آخر أنه لم يكن يستحق كل هذا. والحقيقة أنه الآن يحلم بهذا كل ليلة تقريباً. أحلام تتوسل فيها إليه أن يأتي للبيت، وترجوه أن لا يتركها أو ينساها.

كان كوبن قد تقاعد في السنة التي سبقت وفاتها، وقد أمضيا سنة سافرا فيها إلى كل الأماكن التي أراد استكشافها. وكالعادة، كانت جين رفيقة حلوة المعشر، تتبعه لأي مكان أراده. ذهبا إلى بالي، ونيبال، والهند، والمراكز الهامة البعيدة في الصين. وعادا لأماكن أحبها كلاهما مثل المغرب، واليابان، وتركيا. لم يتوقفا عن السفر طوال السنة، ولأول مرة منذ سنوات اقتربا من بعضهما أكثر. كان قد نسي كم هي مسلية، وكم هي صحبتها جميلة، وكم كان يستمتع معها. لقد وقعا في الحب مرة أخرى، ولم يكونا يوماً أسعد معاً كما كانا في حينها.

كانا في باريس حين اكتشفا كم كانت مريضة، ومدى خطورة مرضها. كانت قد عانت من مشاكل في معدتها لعدة أشهر، والتي ظن كلاهما أنها عوارض ثانوية، لا ضرر منها كنتيجة للسفر. بعد ذلك، عادا بالطائرة للوطن، حيث أجرت الفحص مرة أخرى، وهو ما أظهر بأن الأمر أخطر حتى مما حسباه، ولكن بالرغم من ذلك فقد أنكره كلاهما. وقد أدرك الآن من يومياتها بأنها كانت قد استوعبت خطورة ما ألمّ بها قبل أن يستوعبه هو. ولكنها مع ذلك بقيت مقتنعة بأنها ستتغلب عليه. كانت تعاني

بصمت لعدة أشهر قبل ذلك، فلم تكن تريد أن تفسد عليه أسفاره التي كان يرغب كثيراً في القيام بها وطال انتظاره لها. كانت منزعجة، لأن عودتهما للوطن كانت تعني إلغاء الرحلة إلى البرازيل والأرجنتين. لقد بدا كل شيء لا معنى له الآن وفارغاً جداً بدونها.

كانت جين في التاسعة والخمسين من عمرها، عندما ماتت، وكان قد مضى على زواجهما 37 سنة. كانت أليكس في الرابعة والثلاثين ولو عاش شقيقها دوغ لكان عمره الآن ست وثلاثين سنة، ولكنه مات في حادث سفينة وهو في الثالثة عشر من عمره، وقد أدرك كوين الآن أنه بالكاد كان يعرفه. لديه الكثير ليأسف ويندم عليه، وأمامه ما تبقّى من حياته ليقوم بهذا. لقد ماتت جين في شهر حزيران، والآن وهم يبحرون داخل المرفأ في أولد أنتيبز، كان الشهر هو تشرين الثاني. كانت الأشهر الخمسة الماضية مؤلمة وباعثة على السأم الطويل بدونها، وقد عرف كوين بتأكيد مطلق أنه لن يغفر لنفسه أبداً خذلانه لها. كانت أحلامه ويومياتها تذكّره على الدوام بإخفاقاته، وقد حاكمته أليكس منذ زمن طويل ووجدته مذنباً ولم يخالفها الرأي.

جاء القبطان إلى غرفة كوين بعد أن رست السفينة، ليعطيه المعلومات بشأن السفينة الشراعية التي كانت قيد البناء، والمعروضة للبيع في هولندا. كان قد اتصل بحوض السفن لتوّه، وكان يبتسم أثناء عبوره العتبة.

قال مبتسماً ومبتهجاً: "يبلغ طولها مئة وثمانين قدماً، ويبدو أنها جميلة. هي من نوع الكتش، وقد أخبره المسؤول عن الحوض بأنه كان هناك بعض الاهتمام، ولكن حتى الآن لم يشترها أحد. فرامزي لم يقرر بيعها إلا منذ فترة قصيرة". والتقت أعين الرجلين، ولاحت ابتسامة خجولة على وجه كوين. كانت أسعد ابتسامة له رآها القبطان، ففي معظم فترات الرحلة بدا كوين معذباً. وسأل القبطان باهتمام: "هل ستذهب وتراها يا سيدي؟ يسعدني أن أغيّر لك رحلة الطيران. هناك رحلة جوية لأمستردام بعد نصف ساعة من تلك التي ستقلك إلى لندن".

لم يستطع كوين أن يصدق ما يسمع. كان ذلك أكثر من الجنون بقليل، سفينة شراعية بطول مئة وثمانين قدماً. ولكن ما المانع؟ بإمكانه أن يبحر حول العالم لبقية حياته، ولم يستطع أن يفكّر في أي شيء يمكن أن يحبه أكثر. باستطاعته أن يعيش على السفينة، ويبحر بها إلى كل الأماكن التي أحبها، وتلك التي لم يذهب إليها بعد. كل ما سيحتاج إليه معه هو قصائد جين ويومياتها، فليس هناك الآن أي شيء آخر في العالم يهمه غيرها. لقد قرأها مرة بعد أخرى، وقد كان وضوحها الشفاف، والحب الصريح فيها مثل ضربة له في كل مرة يقرأها.

بينما جلس مستنداً ظهره على كرسي جلدي في غرفته يفكّر لدقيقة في السفينة الشراعية التي تبلغ من الطول مئة وثمانين قدماً، سأل كوين القبطان: "ما مدى الجنون في ذلك؟" وشعر بأنها كانت أكثر مما يستحق، ولكنها كانت كل ما أراد. فالحياة على سفينة كانت الطريقة المثالية للهروب.

"ليس هناك جنون على الإطلاق يا سيدي. إنه لمن المؤسف ألا يكون لبحار مثلك سفينته الخاصة". أراد أن يخبر كوين بأنه سيرغب في العمل لديه، ولكنه لم يُرد أن يكون متطفلاً. ولكن إن اشترى كوين السفينة فإن لديه كل النية لإخباره بذلك. لم يكن هناك حب مفقود بينه وبين جون باركلي مالك فكتوري، بل كان كوين ثومبسون بالضبط ذلك النوع من الرجال الذي يرغب بالعمل لصالحه، فقد كان بحاراً من الطراز الأول. لقد أدار جون باركلي فكتوري، وكأنه يدير سفينة معدّة للإقامة، ولم يكن بحاجة فعلية لقبطان متمرس، فكل ما فعلوه معظم الوقت كان الجلوس في المرفأ أو إرساء السفينة بينما يذهبون للسباحة. وأضاف قائلاً: "لن يتم الانتهاء منها قبل سنة، وربما أقل إذا لاحقتهم. بإمكانك أن تبحر بها حيثما شئت في نهاية الصيف القادم، أو على أسوأ تقدير بعد سنة من الآن يا سيدي".

قال كوين وقد بدا حاسماً على نحو مفاجئ: "حسناً، لنقم بذلك. أتمانع في تغيير رحلتي الجوية؟ يمكنني السفر إلى لندن بعد أن أراها". لم يكن لديه

برنامج عمل ليوافيه، أو جدول مواعيد ليتبعه، ولا أحد ليراه، أو ليكون معه، وقد برهنت له الأشهر الثلاثة الماضية ما كان يحسبه. لقد أراد سفينة شراعية، ولم يكن هناك أحدٌ ليمنعه الآن. سأل كوين، وقد أشرق الأمل في عينيه، "هل تمانع في الاتصال بحوض السفن وإخبارهم أنني قادم؟".

"على الإطلاق سيدي. سأتحدث إلى مالك الحوض، وأخبره بأن يتوقع حضورك".

"سأحتاج إلى حجز في آمستل لهذه الليلة فقط، وسأذهب غداً مباشرة من الحوض إلى المطار وأسافر إلى لندن". كان قراراً مثيراً، وإذا لم تعجبه السفينة فليس عليه أن يشتريها. بإمكانه أيضاً أن يطلب بناء سفينة جديدة ولكن تلك، كما كان يعرف كوين، سيستغرق وقتاً أطول. فبناء سفينة تضاهي تلك التي أوصى عليها رامزي سيحتاج إلى سنتين على الأقل وربما أكثر.

قام القبطان بكل الترتيبات اللازمة لأجله، وبعدها بنصف ساعة، صافح كوين القبطان والطاقم بأكمله وشكرهم على لطفهم معه. كان قد ترك إكرامية سخية لكل واحد منهم، وحرّر شيكاً كبير القيمة للقبطان، ووعده بأن يخبره بما ستؤول إليه الأمور في هولندا. وبينما أسرع باتجاه المطار في نيس في سيارة ليموزين، شعر كوين بنفس الكرب الذي شعر به لشهور، وتمنى لو كان يستطيع أن يخبر جين بما هو على وشك أن يفعله، وبما يأمل أنه سيحصل في هولندا. كان هناك دوماً شيءٌ يود مشاركته معها، شيءٌ يذكّره بقسوة مؤلمة بمدى فراغ حياته من دونها. أغمض عينيه للحظة، وفكّر فيها، ومن ثم أجبر نفسه على فتحهما. ليس هناك فائدة من السماح لنفسه بالانغماس في هوّة الحزن السوداء مرة أخرى. كانت معركة دائمة منذ حزيران، ولكن الشيء الوحيد الذي عرفه بالفعل وآمن به بكل ذرة من كيانه هو أن سفينة شراعية كانت على الأقل طريقة للفرار من الأماكن التي عاش فيها معها، والتي تبعث على الألم. لقد كانت السفينة

الشراعية شيئاً يمكنه أن يعيش من أجله، وهو لا يستطيع أبداً أن يستعيض عن جين بسفينة، ولكنه أحس عند وصولهم للمطار بأنها كانت ستكون مسرورة لأجله، فقد كانت كذلك دوماً. مهما اختار أن يفعل، كانت تسانده دائماً، وتحتفل معه بكل فكرة لديه بغض النظر عن كيف تبدو تلك الفكرة جنونية لأي شخص آخر، فجين ما كانت إلا لتفهم أفضل من أي شخص آخر. كانت الشخص الوحيد الذي سيفعل، الشخص الوحيد بين من عرفهم، والذي أحبه حقاً. وهو الآن يعرف بدون أدنى شك، أكثر مما عرفه أبداً عندما كانت على قيد الحياة، بأن حياته بأكملها معها كانت قصيدة حب تماماً مثل تلك التي كتبتها وتركتها له.

2

لامست الطائرة الأرض في مطار سيفول في أمستردام عند الساعة السادسة، واستقل كوين سيارة أجرة إلى فندق أمستل. كان أحد الفنادق المفضلة لديه في أوروبا، ففخامته العتيقة، وخدمته الرفيعة ذكرتاه دوماً وإلى حدٍّ ما بفندق الريتز في باريس. طلب خدمة الغرف بعد فترة وجيزة من وصوله، ووجد نفسه ممزقاً بين افتقاده لرفاهية السفينة فكتوري وطاقمها، والإثارة بشأن السفينة التي كان يخطط لرؤيتها في الصباح. وجد من المستحيل تقريباً أن ينام تلك الليلة فقد كان الشوق لرؤيتها يقلق منامه، وكل ما كان يرجوه الآن هو أن يحبها.

نام نوماً متقطعاً، وفي السابعة من صباح اليوم التالي كان قد استيقظ وارتدى ملابسه. كان عليه أن ينتظر ساعة أخرى ريثما تصل السيارة وسائقها، أمضى الوقت بقراءة الهيرالد تريبيون أثناء تناوله الفطور. كانت المسافة من الفندق إلى حوض بناء السفن تستغرق ساعة بالسيارة وعند الساعة التاسعة كان في مكتب مالك حوض السفن، وهو رجل كبير في السن، قوي البنية، كان قد وضع العديد من التصاميم على مكتبه، وجلس ينتظر وصول كوين. كان قد سمع وقرأ عنه لسنوات مضت، وفي الليلة الماضية، كان قد أجرى بعض الاتصالات، وقام ببعض البحث الدقيق. كانت لديه فكرة واضحة جداً عما جاء كوين لأجله، وكان مطلعاً على سمعته الحادة والقاسية كما يُزعم. فكوين يمكن أن يكون مخيفاً إزاء أولئك الذين يعارضونه أو يخذلونه بطريقة ما.

أراح كوين جسده الطويل النحيل في كرسي، وبدت عيناه الزرقاوان، وكأنهما ترقصان بينما كان يدرس التصاميم مع تيم هاكر مالك الحوض، الذي

كان يكبُر كوين ببضع سنوات. كان ولداه في المكتب، وقد شرحا لكوين التصاميم بالتفصيل. كان كلا الشابين مسؤولاً عن المشروع، وقد شعرا بفخر عظيم لذلك ولسببٍ وجيه. فالسفينة ستكون مذهلة، وأحسّ كوين باحترام متجدّد لعبقرية بوب رامزي بينما كان يسمع. بدا أن السفينة الشراعية العملاقة ستحتوي تقريباً على كل شيء كان سيرغب فيه. كان لدى كوين بضع أفكار إضافية، كما قدّم بعض الاقتراحات أثناء الحديث والتي بدورها تركت انطباعاً قوياً لدى الأخوين هاكر وأيضاً لدى والدهما. كانت أفكار كوين ذات طبيعة تقنية والتي حسّنت من تصميم رامزي الأساسي.

قال كوين بينما كان يراجع التصاميم معهم مرة أخرى "من الجنون أن يتم التخلي عن سفينة كهذه". كان تواقاً الآن لمشاهدة السفينة.

قال تيم هاكر بفخر: "نحن نشيّد له الآن سفينة بطول ثمانين متراً". مئتان وخمسون قدماً، ولكنّ السفينة التي يتناقشون بشأنها الآن بدت ضخمة بما يكفي بالنسبة لكوين. كانت كل ما يمكن أن يتمناه وكل ما يحتاجه.

علّق كوين بعفوية وظرافة "يجدر بالسفينة الجديدة أن تبقيه سعيداً"، ومن ثم طلب أن يرى السفينة التي لا تزال قيد الإنشاء والمعروضة للبيع من قبل رامزي. وعندما رآها، وقف كوين في صمتٍ تملؤه الرهبة وأطلق صفيراً، فحتى بدن السفينة بدا جميلاً بالنسبة إليه. كان هناك أقسامٌ كبيرة من السفينة منجزةٌ بالفعل والسارية الرئيسة كانت ستشمخ بارتفاع مئة وتسعين قدماً، وستحمل ثمانين ألف قدم مربع من الأشرعة. ستكون رائعة عند الانتهاء منها. وحتى في حالتها غير المكتملة، كانت بالنسبة لكوين كائناً رائع الجمال. كان حباً من النظرة الأولى، وعلم وهو ينظر إليها، بأنه يجب أن يمتلكها وهي الطريقة التي كان يفعل بها الأشياء. كان كوين ثومبسون رجلاً يتخذ قرارات لحظية وتقريباً مؤكدة النجاح على الدوام.

أمضوا ساعة من الوقت انشغلوا خلالها بفحصها ومناقشة ما أراده كوين من تعديلات عليها بما أنه قد رآها الآن، ومن ثم مشى هو وتيم هاكر ببطء،

وعادا إلى مكتبه. كان هاكر وبوب رامزي قد اتفقا على سعر لها، وبعد بضعة حسابات سريعة، واضعاً نصب عينيه التعديلات التي أرادها كوين، أعطى سعراً ربما شحب له معظم الرجال. ولكن كوين لم يُظهر أي انفعال أثناء استماعه إليه، وبنفس السرعة تماماً ردّ عليه. كانت هناك فترة صمت طويلة بينما نظر إليه هاكر واستوعب حجم الرجل بالكامل وأومأ. وعندما فعل ذلك أخرج يده وصافح كوين. لقد تمت الصفقة بسعر مؤثر، ولكن لم يكن هناك أي تساؤل في ذهن أي من الرجلين حول إن كانت السفينة تستحق الثمن المدفوع لأجلها. كان الرجلان مسرورين، وصرّح كوين بأنه يريد السفينة في نهاية آب، وهو يعلم بأنه متفائل في ذلك، ولكن بما أنه قد شاهد السفينة الآن، فهو بالكاد يستطيع الانتظار لينطلق بها في أسفاره وحياة هروبه. ستبدو شهور انتظارها لا تنتهي، ولكن التوقع أطربه.

قال تيم هاكر بحذر "كنت آمل بأنك ستوافق على تشرين الثاني، أو ربما يمكننا أن نجهزها لك في تشرين الأول". ولكن كوين ثومبسون كان يُجري بنشاط صفقة المغبون.

في النهاية، وبعد قليل من المناقشة، اتفقا على أيلول أو على الأقل، كما فكّر تيم هاكر، ستكون جاهزة في ذلك الحين للرحلات التجريبية. وإذا حالفهم الحظ فستكون جاهزة للإبحار بها بعيداً في نهاية الشهر أو على أبعد تقدير في الأول من تشرين الأول. قال كوين إنه يستطيع القبول بذلك إذا اضطرَّ، وكانت لديه كل النية، لياتي ويراقب العمل عليها عن كثب كلما سنحت له الفرصة، وذلك بهدف إلزامهم بالتاريخ الذي تمّ الاتفاق عليه. كان ذلك بعد سنة تقريباً من الآن، وكان كوين بالكاد يستطيع الانتظار للإبحار بها.

غادر كوين الحوض عند الظهر بعد أن حرّر شيكاً ضخماً، واتصل بقبطان النكتوري قبل أن يغادر، لينقل إليه الأخبار ويشكره.

قال القبطان بصوت يغمره الابتهاج: "عملٌ جيد يا سيدي. لا يسعني الانتظار لرؤيتها". كان عاقداً النية على الكتابة لكوين بعد ذلك ليفتح موضوع

العمل معه، ولكنه لم يرغب في فعل ذلك عبر الهاتف. كوين نفسه كان يفكر بالأمر أيضاً.

كان في ذهنه مئات التفاصيل والخطط. لوّح بيده للسيد هالكر وولديه بينما انطلقت السيارة مبتعدة. كانوا مسرورين تماماً بالصفقة كسروره بها، وربما أكثر، فسفينة كهذه الأهمية والمواصفات لم يكن من السهل بيعها عادةً بالشكل الذي تم مع كوين ثومبسون. فهو لم يتردد للحظة واحدة، وعندما عاد بالسيارة إلى المطار ليلتحق برحلته، عرف بأن لديه الآن بيتاً جديداً بالإضافة إلى شغفٍ جديد. كل ما كان يريده الآن هو أن يبيع المنزل في سان فرانسيسكو، وأن يقوم بكل ما يلزمه للبيع. كان يعلم بأن هناك بضعة أمور عليه تسويتها قبل بيعه، ولكن ذهنه كان مشغولاً الآن بتفاصيل السفينة. كان يعلم بأنها ستكون بمثابة حياة جديدة له للسنوات الباقية من عمره، وهذا ما جعل أمر العودة إلى المنزل الفارغ أكثر سهولة أو على الأقل هذا ما حسبه.

كان يملك سفينة شراعية صغيرة قبل سنوات، وقد شجّع ولديه لتعلُّم الإبحار، ولكن أليكس، كأمها، كرهت ذلك، وبعد موت دوغ في حادثة سفينة في مخيم صيفي في مين، أقنعته جين أخيراً ببيعها. وحيث إنه لم يملك الوقت أبداً لاستعمالها على أية حال فقد استجاب لرغبتها. لأكثر من عشرين عاماً، كان قانعاً في أن يبحر في يخوت أناس آخرين من وقتٍ لآخر، ودائماً بدون جين، حيث إنها لم تكن تحب السفن. والآن على نحوٍ مفاجئ، فُتح له عالمٌ جديدٌ بالكامل. بدا وكأنه السيناريو الأمثل لفصله الأخير، والطريقة المثلى التي أراد أن يمضي بها بقية أيامه، فالإبحار حول العالم على متن سفينة كان أفضل ما حلم به على الإطلاق. كان لا يزال يبتسم لنفسه، وهو يركب الطائرة إلى لندن، أمضى الليلة بأكملها وهو يضع ملاحظات بشأن السفينة. إن فكرة سفينته الجديدة المرتقبة قد غيرت من مزاج ومغزى وجود كوين بالكامل.

في اليوم التالي، وعندما ركِبَ كوين الطائرة في هيثرو وتوجه إلى سان فرانسيسكو، أدرك بأن سان فرانسيسكو لن تعود موطناً له عما قريب. كل ما

تركه هناك كان ذكرياتٍ عن جين والسنوات التي تقاسماها معاً، وبإمكانه أن يأخذ كل ذلك معه. فأينما ذهب، ومهما فعل ستكون دائماً معه. كانت يومياتها الغالية معه في حقيبة أوراقه، وبعد الإقلاع بفترة وجيزة تناول إحدى قصائدها وقرأها. قرأها مرة بعد أخرى كما كان يفعل دائماً، ومن ثم جلس يحدق إلى خارج النافذة. لم يسمع حتى المضيفة وهي تسأله عن الشراب التي يفضل أن تقدمه له. كان تائهاً في أفكاره الخاصة إلى أن جذبت انتباهه أخيراً. اعتذر عن قبول الشراب الذي تقدمه. كان المقعد المجاور له خالياً لحسن الحظ، وشعر بارتياح لأنه كان يكره التحدث إلى الناس في الطائرة. علّقت المضيفة إلى زميلها بشأنه عندما عادت إلى مطبخ الطائرة، وقالت إنه يبدو كشخص مهم. ولكن عندما نظر إليه زميلها نظرة سريعة قال إنه لم يميزه ووافق معها بأنه كان رجلاً حسن الطلة، ولكنه لا يبدو ودوداً على وجه التحديد. في الحقيقة، كان كما وصفاه.

قال: "ربما يكون مجرد مدير تنفيذي متهك بعد أسبوع من الاجتماعات في لندن". كان ذلك الوصف ينطبق عليه قبل فترة من الزمن ليست ببعيدة جداً. ولكنه الآن شخص لا يمت إلى ذلك بشيء. كان رجلاً يملك سفينة شراعية جديدة استثنائية. لم يكن من الممكن لأي منهما أن يتخيلا ذلك وهما ينظران إليه، ولكن الأهم من ذلك أنه كان يعرف. كان ذلك الشيء الوحيد الذي يملكه في حياته، ويمكن أن يسعد بشأنه، وهو مسافر باتجاه سان فرانسيسكو. لقد ماتت زوجته وكرهته ابنته، أو هذا ما حسبه، كما أن ابنه كان قد مات قبل سنوات. كان وحيداً في العالم، ليس لديه فيه من يحبه أو يهتم بشأن ما يفعله. وفي غضون ساعات قليلة، سيخطو داخل منزل فارغ، المنزل الذي شاطرته فيه امرأة كان يظن أنه يعرفها، ولكنه لم يكن. امرأة أحبته أكثر مما شعر بأنه يستحق والتي كان يشعر نحوها بالامتنان والذنب معاً. في الواقع، لقد كان متأكداً من مدى عدم استحقاقه لها، عندما قرأ قصيدتها مرة أخرى، ومن ثم دسّها ثانيةً في حقيبة أوراقه. ثم أغلق عينيه، وفكّر فيها مجاهداً أن يتذكر كل

تفاصيل من وجهها، وصوتها، وصوت ضحكتها. كان خائفاً للغاية من أن تنساب الذكريات بعيداً عنه مع الوقت، ولكنه عرف بأن هذا لن يحدث طالما أن يوميـاتها معه. كانت تلك آخر ما تشبث به منها، والمفتاح إلى الألغاز التي لم يفهمها أبداً، ولم يبالِ باكتشافها أيضاً. كانت القصاصات، واليوميات، وأسفه، وحبه لها هي كل ما بقي له منها وشكّل أهمية عنده.

3

حطّت الطائرة في سان فرانسيسكو على الموعد تماماً. تخطّى كورين الجمارك بسرعة. فبالرغم من غيابه الطويل عن الولايات المتحدة، لم يكن لديه ما يصرّح عنه. لقد بدا كئيباً، وهو يحمل حقيبة سفره، وحقيبة أوراقه مسرعاً بالخروج مطأطئاً رأسه. لم يكن يتطلّع بلهفة للعودة للوطن وإلى المنزل الخالي، وكان قد أدرك مع غصة وهو في الطائرة بأنه قد تدبّر توقيت عودته بحيث تأتي قبل مناسبة الشكر مباشرة، وهو الأمر الذي لم يطرق ذهنه حتى عندما وضع خططه، ولكن ليس لديه خيارٌ على أية حال. فاستئجاره لفيكتوري قد أتى على نهاية مدته، ولم يكن بإمكانه أن يأتي بسبب وجيه يبقيه في أوروبا وخاصة مع رفض أليكس لرؤيته.

كانت مهذبة معه، ولكنها كانت صارمة. لقد ثارت عليه قبل الجنازة وبعدها، ومنذ ذلك الحين كان أي اتصال له معها بعيداً ورسمياً وبارداً. كانت بطريقتها الخاصة، عنيدة كما هو تماماً وعلى كل حال فقد كانت حانقة عليه لسنوات وهو الأمر الذي تناقشت فيه مع أمها باستمرار، ولكن بالرغم من كل جهود أمها لتليين وجهة نظرها، استمرت أليكس في اتخاذ موقف قاسٍ انتقادي، لاعتقادها بأن والدها لم يكن هناك أبداً لأيٍّ منهم، حتى بعد وفاة دوغ. كان كورين قد عاد للبيت لثلاثة أيام لحضور الجنازة حيث كان في بانكوك يختم صفقة عمل عندما وصله الخبر، فأقفل راجعاً، وغادر مرة أخرى صباح اليوم الذي تلا الجنازة تاركاً أليكس ذات الأحد عشر ربيعاً وأمها لحزنهما، ووحدتهما، وتشبثهما ببعضهما البعض في كربهما المتعزل.

في ذلك الوقت، كان قد مضى على رحيله شهر، عقد فيه صفقة كبيرة

احتلت العناوين الرئيسة في صحيفة وول ستريت، وبعدها عاد لفترة وجيزة، ومن ثم غادر ثانيةً، ليقضي شهرين في هونغ كونغ، ولندن، وباريس، وبيجنغ، وبرلين، وميلان، ونيويورك، وواشنطن. والآن حيث أصبحت راشدة، قالت أليكس إنها بالكاد تستطيع أن تتذكر بأنها كانت ترى والدها، هذا عدا أنها لم تكن تتحدث إليه. فحتما كان يتواجد في البيت، كان يبدو مشغولاً جداً ومنهكاً وتعباً من جراء رحلاته الطويلة، وبحاجة إلى النوم، بحيث لم يكن لديه وقتٌ يمضيه معها أو مع أمها. وفي النهاية، تدبّر أمر حرمانها من قدرٍ معقول من الوقت لوداع أمها. لقد سمع كوين كل هذا قبل الجنازة، وخلالها، وبعدها، ولن ينساه أبداً. كانت مُصِرّة على كلامها، وعلى الصورة المريرة التي رسمتها له. والأسوأ ما في الأمر أن كوين، وهو يستمع إليها، كان يعلم دون شك أنه لا يستطيع إنكار ذلك. فالرجل الذي وصفته هو في الحقيقة ما كانه قبل ذلك، وما استمر عليه إلى أن تقاعد. ومهما كانت التغييرات التي طرأت عليه منذ ذلك الحين، ومعظمها إيجابي، فإن أليكس لم تكن ترغب في الاعتراف بها.

لقد حاول كوين أن يعوّض جين عن السنوات الطويلة التي كان فيها مشغولاً وغائباً، وهو ما حسب أنه قام به في بعض النواحي كأفضل ما يستطيع، وذلك خلال السنة والنصف التي أمضياها معاً بعد تقاعده. ولكن لم تكن هناك طريقة يعوّض بها على أليكس. لقد لاحظ كوين أن ابنته تزوجت من رجل قلّما يغادر البيت إلا للذهاب إلى مكتبه، فهي قد تزوجت من مصرفي سويسري مباشرة بعد الجامعة، حيث ذهبا إلى بال معاً، وعقدا قرانهما بعد دقائق تقريباً من تخرجهما قبل ثلاث عشرة سنة. رُزقا بصبيين وعاشا في جنيف، وقد علّق كوين لجين مباشرة منذ البداية بأن أليكس هي من يقول لهورست ما يفعل وماذا تريد. كانا لا ينفصلان، وبديا سعيدين وهادئين ومطمئنين بالرغم من افتقادهما للحيوية والإثارة، وجد كوين زوج ابنته مملاً إلى حدٍّ مزعج. لقد كانت أليكس حريصة على ألا تقع في نفس الشرك الذي ظنّت بأن والدتها قد وقعت فيه، وعلى العكس من ذلك فقد تزوجت رجلاً

ضعيفاً لينفّذ أوامرها، وليكن مختلفاً قدر الإمكان عن والدها. فهورست كان نادراً ما يسافر إن لم يكن أبداً، وكان يعمل في المصرف الذي أسّسه جدّه. كان شاباً مسؤولاً يحب زوجته وابنيه، وليس لديه طموحات عظيمة. كانت أليكس تعلم لدى زواجها منه بأنه لن يضحي بها أبداً من أجل مهنته أو إنجازاته أو هواياته، وبالنسبة لعين كوين الخبيرة فلم يكن لدى هورست أيّ منها. بكل بساطة، كان متواجداً فقط وهو الشيء الذي أرادته أليكس.

كان ابناها في السادسة والتاسعة من العمر، وهما صبيان صغيران جميلان يمتلكان عيون زرقاء، وشعر كستنائي اللون تماماً مثل أمهما، وكان كوين بالكاد يعرفهما. كانت جين تذهب تكراراً إلى جنيف لزيارتهما، كما كانت أليكس تأتي بالصبيين إلى سان فرانسيسكو مرة في السنة لزيارة أمها، ولكن كوين نادراً ما كان يتواجد عند مجيئهم للمدينة، وبدا أنه كان دوماً في بقعة أخرى من الأرض عندما كانت جين تذهب إلى جنيف. غالباً، عندما يكون كوين مسافراً، كانت جين تنتهز الفرصة لزيارة ابنتها. الآن، وبالنظر إلى الأحداث الماضية والتأمل فيها، كان من السهل عليه أن يفهم سبب غضب أليكس التي لم يكن لديها نية في السماح لوالدها بأن يعوض عن ذلك أو يكفّر عن خطاياه التي كانت حقيقية ومفهومة. حين يتعلّق الأمر بأليكس، فهي لم تخسر أحد والديها فقط بل الإثنين معاً. لقد مات كوين في قلبها قبل سنوات من فقدانها لأمها، كما أن صدمة فقدانها لأخيها عندما كانت في الحادية عشرة من عمرها بقيت جرحاً لا يندمل بالنسبة لها. وهذا بالتحديد، ما جعلها تحرص على حماية طفليها، رغم توسلات زوجها بأن تمنحهما المزيد من الحرية. كانت أليكس مقتنعة بأنها تعرف أفضل، فهي كانت تكره السفن الشراعية أكثر من أي شيء آخر بسبب حادثة أخيها.

لم تكن جين أبداً مولعة بها، ولكن كوين حسب بأنها كانت ستسعد من أجله، بشأن السفينة الجديدة التي كان يبنيها. لقد أرادت جين السعادة له دوماً، لقد أرادت أن يحقق أحلامه، وأن ينجز كل شيء رغب في إنجازه. أما أليكس

فهي لم تعد تبالي بأفعاله، وكنتيجة لذلك، كان كوين رجلاً بلا عائلة وبلا روابط مع أي شخص، لقد بدا وحيداً وهو يترجل من سيارة الأجرة في شارع فالبجو في طريق غير نافذ تملؤه الأشجار التي حجبت تقريباً المنزل الذي عاش فيه هو وجين طوال فترة زواجهما، والذي نشأت فيه أليكس. كان قد رغب في شراء منزل أكبر مع تزايد ثروته، ولكن جين أصرت دائماً بأنها أحبت هذا المنزل. وقد أحب كوين أيضاً العودة إليه عندما كانت جين لا تزال فيه. والآن، بينما كان يحرك المفتاح في قفل المنزل الكبير المثلوي الذي يعود للطراز الإنكليزي، أرهبه الصمت.

عندما خطا إلى الردهة الأمامية، ووضع حقائبه جانباً، كان بإمكانه أن يسمع دقات الساعة في غرفة المعيشة (الجلوس). اخترقه الصوت كالسكين، وشعر بسرعة نبضات قلبه. لم يشعر بحياته بهذه الوحدة أو بهذا الفراغ. لم تكن هناك زهور في أي مكان، وستائر النوافذ والبرادي كانت مسدلة، والألواح الخشبية الداكنة التي تكسو الجدران في غرفة المعيشة والتي كانت فيما مضى تومض وتتلألأ، جعلت الغرفة الآن تبدو كالقبر. لم يستطع أن يتذكر بأن المنزل قد بدا أبداً بهذا التعتيم أو بتلك الكآبة. وبدون تفكير ذهب إلى النوافذ، وأزاح البرادي، وفتح الستائر، ووقف يحدق في الحديقة. كانت الأشجار والشجيرات لا تزال خضراء، ولكن لم يكن هناك أي زهور. كان بعد ظهر يوم قاتم من أيام تشرين الثاني.

كان الضباب قد حلّ أثناء هبوط الطائرة، وكان ينتشر عبر المدينة. بدت السماء رمادية وداكنة بقدر ما كانت أحاسيسه داكنة وهو يحمل حقائبه ويصعد السلالم. وعندما رأى حجرة نومهما، حبس أنفاسه. كانت قد ماتت بين ذراعيه في سريرهما قبل خمسة أشهر، وأحس بألم جسدي وهو يحدق في السرير، ومن ثم شاهدها تبتسم في صورة فوتوغرافية موضوعة بجانبه. جلس على حافة السرير وانهمرت الدموع على وجنتيه. كان من الخطأ العودة إلى المنزل، وقد عرف ذلك، ولكن لم يكن هناك أحدٌ غيره ليرتب أغراضها

وأغراضه إذ كان يعتزم بيع المنزل في الربيع. كان يعلم بأن المنزل يحتاج إلى بعض الإصلاحات. كان كل شيء في وضع جيد، ويعمل بصورة حسنة، ولكن 37 سنة في منزلٍ واحد كانت تقريباً بمثابة حياة كاملة. شعر بأن عليه أن ينظم العمل، ويرتب أغراضهما بنفسه، مهما كان الأمر مؤلماً بالنسبة إليه. بعض الغرف كانت بحاجة إلى طبقة من الطلاء، وأراد أن يستشير وسيطاً عقارياً ليعرف ما الذي ينبغي عليه فعله قبل أن يبيعه.

كانت ليلة طويلة صعبة له في أول يوم في البيت، لقد اشتاق إلى جين وشعر بالوحدة والألم إلى حدّ جعله يرغب بالركض إلى الشارع بثياب النوم، فقط ليفرّ منه. لم يكن هناك من مهرب، وعرف بأن عليه مواجهته. ليس هناك إرجاء في ذلك وحياته بدونها كانت الحكم القضائي عليه. حياة بدون إطلاق سراح. كان يعلم أن عزلته كانت للأبد، وشعر بأنه يستحقها. في تلك الليلة رأى في منامه نفس الحلم الذي كان يراه تكراراً قبل أن يغادر في أسفاره. كان حلماً تأتي به جين إليه، وتمد ذراعيها نحوه، وتتوسل إليه، وكانت تبكي. في البداية كانت الكلمات مبهمة، ولكن حتى بدونها فإن النظرة على وجهها مزقت قلبه. وثم أصبحت الكلمات واضحة له، وكانت دوماً الكلمات نفسها مع تغيير طفيف. كانت ترجوه بأن لا يتركها، وأن لا يتخلى عنها مرة أخرى. وفي كل مرة يرى الحلم كان يعدها بأنه لن يفعل. ومن ثم، وكأنه كابوس وليس حلماً، كان يرى نفسه وهو يلتقط حقيبة سفر ويرحل على كل حال، وكل ما كان بإمكانه أن يراه بعد ذلك هو وجهها وهي تبكي بعد أن غادرها. كان بوسعه أن يسمع نشيجها عندما يستيقظ، في أية ساعة كانت، ويستمر صدى كلماتها في رأسه لساعات بعد ذلك، "كوين، لا تتركني... كوين، أرجوك..." وذراعاها ممدودتان وعيناها مكدرتان. ومتى ما استيقظ من ذلك الحلم كان يشعر بالهلع. كيف استطاع أن يفعل ذلك بها؟ لماذا كان يغادر بهذه الكثرة؟ لماذا بدا السعي دوماً وراء أشغاله الخاصة بتلك الأهمية؟ لماذا لم يسمع؟

تجاهل الحلم كلياً الأسباب الكامنة وراء رحلاته، وحزنَ الإمبراطورية التي كان يبنيها. وكل ما بقي في الحلم بعد ذلك كان إحساسه المحطم بالذنب والفشل. لقد كره الحلم، وحقيقة أنه عاد إليه مباشرة فور رجوعه إلى سان فرانسيسكو. كان هناك شيء مأساوي جداً في الحلم بشأن جين، رغم أنها في الحياة الحقيقية كانت متعاطفة بحنان، ومتفهمة، ولم تلمه أبداً أو تتوسل إليه بالشكل الذي فعلته المرأة في الحلم. كره كوين الحلم، ومن بعض النواحي، كان يعلم بأن الشعور بالذنب كان السلسلة التي تربطه بها بنفس ما ربطهما الحب. ولكن حقيقة أن الحلم قد عاد بعنف لحظة وصوله إلى البيت لم تشعره بالابتهاج. كان حاجزاً عرف أن عليه أن يتقبله.

في صباح اليوم التالي، استحم، وحلق ذقنه، وارتدى ملابسه، وارتشف فنجاناً من القهوة، وشمّر عن ساعديه، وبدأ بالتنقيب في الخزائن. كان لا يزال يحاول إبعاد الحلم عن ذهنه، وشعر بأنه ملازم له. بدأ بالخزائن السهلة في الطابق السفلي، حيث كانت أليكس تحتفظ بكل تذكارات طفولتها. كانت جين تلحّ عليها لسنوات كي تأخذها، ولكنها فضّلت أن تتركها مع والديها. كان هناك شرائط وجوائز من أيام ركوبها الخيل، وبضع جوائز أخرى من دورات كرة المضرب التي كانت تشارك فيها أيام الجامعة. صور فوتوغرافية لا نهاية لها لصديقاتها، من الحضانة إلى الجامعة واللواتي لم يتعرف كوين على معظمهن. كانت هناك أشرطة تسجيل، وأفلام بيتية، وبضع دمى قديمة معطوبة، ولعبة دب، وأخيراً علبة في الخلف دفعها باتجاهه. كانت مختومة، واستعان كوين بسكين الجيب ليفتحها، وعندما فعل ذلك وجد أنها كانت مليئة بصور فوتوغرافية لدوغلاس والتي كان في الكثير منها مع أليكس. كان كلاهما يضحك، ويبتسم، ويثب فرحاً، وفي العديد منها كانا يتزلجان، ووجد أيضاً رزمة كاملة من الرسائل المرسلة من قبله عندما ذهب إلى مخيّم في مين وهي إلى آخر في كاليفورنيا كان أقرب إلى البيت. وكأنما موجّهاً بأجنحة ملاك، وجد كوين نفسه يفتح رسالة هشة صفراء قديمة ورأى بإجفال أن تاريخها كان

في نفس اليوم الذي مات فيه دوغ. كان قد كتب إلى أليكس في صباح ذلك اليوم فقط قبل ساعات من حادثة الإبحار التي أنهت حياته في سن الثالثة عشر. انهمرت الدموع على وجنتي كوين أثناء قراءته لها، وأدرك فجأة ما شعر به جميعهم بعد ذلك، وهو ما لم يسمح لنفسه بأن يشعر به. ورغم حقيقة أنه أحب ابنه، إلا أنه أبقاه على مسافة منه، وبالكاد سمح كوين لنفسه بأن يعرفه.

كان دوغ صبياً، وسيماً، سارّاً، لطيفاً، وذكياً وكان يشبه والده تماماً، ولكن كوين كان دائماً يرجئ التقرب منه. لقد اعتقد دوماً بأنه سيكون لديهما الوقت لذلك "لاحقاً". كان يتخيل كيف سيصبحان صديقين كرجلين، إلا أن الصبي انساب من بين أصابعه. وحتى حينها، لم تكن فجيعته فيه كما يجب. كان من المؤلم جداً أن يعترف بأنه قد أضاع فرصة التعرف على دوغ بشكل أفضل. ومرة أخرى، استهلكه الإحساس بالذنب، وفرّ راحلاً كي لا يضطر لمواجهته. كان كل ما يذكّر بالطفل الفقيد اتهاماً صامتاً له. في الواقع، لقد أصرّ على جين بأن تضع أغراضه بعيداً بأقرب وقت ممكن، وأن تجرّد غرفته. اعتقد كوين بأنه سيكون من المؤلم جداً بالنسبة لها أن تترك غرفة دوغ كما هي، وتتعامل معها وكأنها مزار مقدس. لقد غادر إلى هونغ كونغ، وأصرّ بأن يكون كل شيء قد تم توضيبه وحزمه قبل عودته التالية إلى البيت، على افتراض صالحها هي. وحيث إنها كانت زوجة مطيعة فقد قامت بما طلبه منها فقط من أجل أن تسرّه متحملة في سبيل ذلك ثمناً لا يعلم به إلا الله.

بعد ظهر اليوم التالي وجد كوين كل الأشياء التي كانت في حجرة الصبي تقريباً، وذلك عندما كان يبحث في غرفة تخزين كبيرة خلف المرآب. كان كل شيء هناك، حتى ملابسه، وعدّته الرياضية، وجوائز المباريات، وغيرها من التذكارات. لقد احتفظت بكل شيء بما في ذلك ملابسه الداخلية. لثلاث وعشرين سنة، احتفظت بكل جزء من أغراضه. كما أنه وجد ثلاث من كنزات دوغ مدسوسة في الخلف في خزانة جين، وذلك عندما بدأ في ترتيب الأغراض في الطابق العلوي.

كانت رحلة عاطفية لحتوته لأسابيع. مرة بعد أخرى، وجد نفسه يواجه الذكريات، ويدرك أشياء تتعلق به وبجين والتي كانت مؤلمة لحدٍّ مفرط جعله أكثر إحساساً بالذنب.

جاء العيد ومضى، واتصل بأليكس يوم العيد انطلاقاً من إحساسه بالواجب، رغم أنهما لا تحتفل به في جنيف. كانت ردود فعلها معه وجيزة وخاطفة، حيث شكرته على اتصاله بها بصوت بارد جليدي، وقد أحس كوين ببعدها له إلى حدّ أنه لم يطلب حتى أن يتحدث إلى هورست أو الصبيين. كانت رسالتها واضحة. ابقَ بعيداً، فلسنا بحاجة إليك. دعني وشأني. وهكذا فعل.

لم يُتعب نفسه بديك رومي، حيث لا يوجد من يشاركه فيه، ولم يتعب نفسه أيضاً في إخبار أي من أصدقائه بأنه قد عاد للمدينة. بالنسبة إليه، كان الاجتماع مع الناس الآن أكثر ألماً من مهمة فرز الأغراض الخاصة وبيع المنزل. كانت جين حلقة الوصل بينه وبين العالم الاجتماعي، حيث كانت هي من يبقي على الاتصال مع الجميع، ومن يحب تسلية الأصدقاء، وقد شجعت كوين بلطف لأن يتمهل للحظات، ويستمتع بأمسية هادئة بين أناس يعرفهم جيداً، وهو ما فعله معظم الوقت لأجلها. ولكن بدون تأثيرها الملتين ودفئها، فقد كان يفضل العزلة. الآن هو وحيد، وسيبقى كذلك للأبد، فليس لديه أية رغبة في رؤية أيٍّ كان. وهذا سيجعل من غيابها أكثر قسوة، وأكثر ألماً، وأصعب بقدر ما يمكن أن يتخيل.

خلال النهار، كان يبحث في خزائنها، وكنوزها، وذكرياتها، وذكرياته. وفي الليل، كان يجلس في سريره منهكاً يقرأ يومياتها وقصائدها. أحسّ أنه كان منغمساً في عطرها، مثل ماء مالح قد نُقع فيه إلى أن أصبح كل شيء فكّرت فيه، وشعرت به، وتشققته، واحتفظت به، وأحبته، وأعزته جزءاً منه وقد تشربه جلده. لقد باتت هي روحه، وكأنه لم يكن يمتلك روحاً خاصة به من قبل، وقد اجتمعت روحاهما الآن، وأصبحتا روحاً واحدة. لم يكن قد شعر أبداً

بأنه أكثر قرباً منها كما شعر في تلك الأشهر الأخيرة قبل وفاتها. والآن مرة أخرى، وهو يخوض في كل شيء لها، وليس أوراقها فقط بل أثوابها المسائية، وملابسها التي كانت ترتديها لأعمال الحديقة، وثياب النوم الباهتة التي كانت تحلم بها، وكنزاتها المفضلة. وكما فعلت بكنزات ابنها التي خبأتها في خلفية خزائنها، وجد كوين نفسه يضع أغراضها جانباً ليحتفظ بها، تلك الأغراض التي كانت تعني الكثير بالنسبة إليها. بالكاد استطاع أن يُحمل نفسه على التخلي عن أي منها، وقد فهم الآن على نحوٍ جيد جداً ما الذي لا بد أنه فعله بها عندما أصرّ عليها بأن تفرغ حجرة دوغ. لقد قلبت الحياة أخيراً الأمور عليه قلباً كاملاً، وأحس بأن ما يعانيه الآن كان عقاباً مناسباً لكل ما فعله بها. تقبل المهمة بمهابة وتواضع، وقبلها على أنها الكفّارة التي يستحقها.

لم يستطع قبل منتصف كانون الأول من إحداث شيءٍ من النظام في المنزل، حيث قرّر ما الذي سيطرحه وما الذي سيحتفظ به. كانت هناك أكوام من الأشياء التي ستُمنح أو ستُعلّب وتخزّن، منتشرة في كل أنحاء غرفة المعيشة. وكانت الفوضى لا تزال عارمة، ولا يمكن معها استدعاء وسيط عقارات. كانت المكالمات الهاتفية التي كان يجريها كل أسبوع مع تيم هاكر ليطلع على تقدم العمل بالسفينة التي كانوا ينهونها له هي الشيء الوحيد الذي كان يلهيه عن عمله. كان كوين قد تلقى رسالة لطيفة من بوب رامزي يهنئه فيها على اقتنائه الجديد. وكان مسروراً أيضاً لتحرره من المسؤولية، وكونه حراً لمتابعة سفينته الشراعية الجديدة الأكبر حجماً بكثير. ووفقاً للسادة هاكر، فإن الأمور كانت تسير على ما يرام ووفقاً للبرنامج. في الوقت الحالي، بدت مسألة إفراغ المنزل في سان فرانسيسكو وظيفة أكبر بكثير بالنسبة إليه، ولكن كوين كان مسروراً لقيامه بها بنفسه. لقد منحته نوعاً من مشاركة أخيرة مع جين، وكأنها طقس من الطقوس المقدسة الذي بمكنه إنجازه ويبقيه قريباً منها. وفي كل ليلة، كان يقرأ كلماتها بخطها الراسخ المائل، وكثيراً ما كان يحلم بها بعد ذلك. ولمرتين أو ثلاث في الأسبوع كان يرى الحلم الذي تتوسله فيه كي لا يتركها. وحتى خلال النهار كان يشعر بملازمته له.

كان قد وقع مصادفة على آلاف الصور الفوتوغرافية لهما، في الأيام الأولى التي كان الولدان فيها صغيرين، وذلك في أسفارهما، وفي مناسبات هامة، وصوراً أخرى أكثر حداثة من رحلاتهما الأخيرة. وقد احتفظت بكل مقال صحفي تم ذكره فيه، أي ما يقرب من أربعين سنة منها وُضِعت في ملفات وصناديق، بعضها كان هشاً جداً، بحيث إنه كان يتفتت بمجرد لمسه له، ولكنها جميعاً كانت مرتبة على أساس زمني. كانت شديدة التدقيق في احترامها وإعجابها به، أكثر بكثير مما كان هو معها. وقد أدرك الآن مرة بعد أخرى، وهو يرى إنجازاته، وقد تم وصفها في قصاصات الصحف، كم كان أنانياً ومنغمساً كلياً في عالمه الخاص، بينما أحبته هي عن بعد، وانتظرت عودته إلى البيت، وغفرت له كل شيء، واختلقت للطفلين أعذاراً له. كانت امرأة مثيرة للإعجاب.

رغم أنه لم يكن من روّاد دور العبادة، إلا أن كوين ذهب إلى دار العبادة في صباح يوم العيد وأشعل شمعة من أجلها. وقد قام بهذا على الأغلب لأنه كان يعلم بأن ذلك كان سيعني شيئاً لها، وكانت ستسرّ به. كانت قد أشعلت آلافاً من الشموع لدرع على مرّ السنين، ومتى ما أقلقها شيء أو كان لديها همّ معيّن خاص، كانت تذهب لدار العبادة وتضيء شموعاً. كان يضايقها ممازحاً بشأن ذلك، والآن كان مندهشاً وهو يجد ذلك الإحساس الغريب من السكينة يسري عبره وهو يقوم بذلك لأجلها. وكأن دفء ووهج الشمعة الصغيرة البرّاق، سيحدث اختلافاً ما بطريقة غير مرئية. ومن ثم عاد إلى البيت، وهو يشعر بقليل من الارتياح. كانت الأشياء التي سيبيعها موضوعة في الصناديق في ذلك الحين، وتلك التي سيحتفظ بها كانت في صناديق مختومة في المرآب. كان ينوي أن يضعها في مخزن في مكان ما قبل أن يرحل، بالإضافة إلى أي أثاث آخر كان سيحتفظ به. كان لديهم قطعٌ عتيقة الطراز والتي دوناً عن غيرها، فكّر في وجوب الاحتفاظ بها من أجل أليكس، حيث لم يحسب بأنه سيكون له بيتٌ أبداً، يمكنه استعمالها فيه مجدداً. وإذا سار كل شيء وفقاً للخطة، فلديه كل النية في العيش على سفينته الجديدة لبقية أيامه ما إن تصبح جاهزة.

كان شهراً صعباً منذ عودته، وفي ليلة العيد، أطلق العنان أخيراً لمشاعره حيث أسرف في الشراب ومن ثم ذهب إلى النوم. كان يأمل أن يشعر بحالٍ أفضل، ولكنه عانى من الآثار البغيضة التي خلّفها ذلك عليه في اليوم التالي. كان سعيداً لأن العطلة قد انتهت تقريباً، وأمضى ليلة وداع السنة جالساً في مكتبه يراجع الأوراق التي سيقدمها محاميه إلى محكمة الإشهاد في أول يوم عمل من العام الجديد. انشغل لساعات، وهو يسمع قطرات المطر المتساقطة، وهي تضرب نوافذ المنزل بقوة واستمرار، وكان بإمكانه أن يسمع صفير الريح بين الأشجار. كان الوقت منتصف الليل عندما نهض أخيراً، وألقى نظرة إلى الخارج، ورأى أن الأشجار الرفيعة قد ضُغِطت تقريباً لمستوى الأرض بفعل القوة العاصفة للرياح الهوجاء. لم يكلّف نفسه عناء تشغيل التلفاز، ولكنه لو فعل ذلك لاكتشف بأنها كانت أعنف عاصفة تضرب كاليفورنيا منذ قرن مضى، وأن الكثير من خطوط الطاقة الكهربائية كانت واقعة أرضاً في كل من مارين والخليج الشرقي والجنوبي.

كان ينام بعمق في فراشه في المنزل المعتم عندما سمع صوت ارتطام هائل في الخارج، تبعه بسرعة صوت ارتطامين آخرين. نهض ونظر من النافذة مرة أخرى، ورأى أن الشجرة الأكبر في حديقته قد وقعت. ذهب إلى الخارج بثياب النوم مرتدياً معطفاً واقياً من المطر لينظر إليها مذهولاً، ورأى على الفور بأنها قد دمرت زاوية من السقف أثناء سقوطها، وعندما عاد إلى المنزل ووقف في غرفة المعيشة، كان هناك فجوة مكشوفة للسماء، وكان المطر يسقط من خلالها. كان بحاجة إلى قماش مشمع ليغطيها ولكن لم يكن لديه. كل ما كان بإمكانه أن يفعله في هذه اللحظة هو إبعاد الأثاث كي لا يتلف بسبب المطر. لم يستطع أن يحدد ماهية الارتطامين الآخرين. كانت بقية الأشجار حول البيت تتمايل بعنف بتأثير الرياح، ولكن لم يسقط أي منها، وبدا أن باقي المنزل لم يلحق به ضرر، حتى الصباح.

لم يستطع أن ينام بقية ليلته، وهو يسمع صوت العاصفة الثائرة من حوله. كانت لا تزال تمطر في صباح اليوم التالي عندما نهض عند أول

بطلاقة للضوء، فانتعل جزمته، وارتدى معطفه الواقي من المطر مرة أخرى، وقام بجولة حول المنزل ليعاين الأضرار. كانت الفتحة في السقف بشعة، كما أن الكثير من مصاريع النوافذ كانت قد انتُزعت من مكانها، وكان هناك نافذتان كبيرتان محطمتان. كان هناك زجاج وحطام في كل مكان، وقد تضرر المرآب بشدة، وكان يفيض بالمياه. وكان حظاً محضاً أنه وضع كل الصناديق المعدّة للتخزين على طاولات خشبية طويلة القوائم، وبالتالي لم يتلف أي من الأوراق أو التذكارات، ولكنه أمضى بقية الصباح بنقلها إلى المطبخ. بدت غرفة المعيشة كمنطقة كوارث منكوبة. كان قد نقل السجاد والأثاث أثناء الليل، ووضع أحواضاً ومماسح لتلتقط مياه المطر الآتية من الفتحة في السقف والتي كانت جزءاً من غرفة المعيشة بناها ممددًا عن بقية هيكل المنزل، وكان هناك فرع شجرة يتخلله، وكانت بعض الألواح الخشبية الزيتية القديمة التي تكسو الجدران قد انشقت نتيجة للضربة. علم من الصحيفة في ذلك الصباح بأن اثني عشر شخصاً قد قتلوا على الأقل، معظمهم بسبب تساقط خطوط الكهرباء أو الأشجار، كما أن المئات قد جرحوا في شتى أنحاء الولاية. كان الآلاف بدون مأوى مؤقتاً، وقد تجمعوا في مبانٍ للألعاب الرياضية في المدارس حيث إن الأراضي المنخفضة قد غمرتها المياه. لقد كانت عاصفة عملاقة.

وبينما كان يقوم بجولة أخرى من المرآب إلى المطبخ وهو يحمل صندوقاً كبيراً، شاهد الذي لا بد أنه سبّب الارتطام الثاني والثالث في الليلة الماضية. كانت شجرتان قد وقعتا في حديقة جارته. كانتا أصغر حجماً من تلك التي فقدها، ولكنهما مع ذلك أحدثتا ضرراً كبيراً لدى وقوعهما. كانت هناك امرأة صغيرة الحجم ذات شعر داكن يبدو عليها الحزن والفزع وهي تعاين حجم الدمار وقد صدف أنها نظرت إلى كوين عندما مشى متجاوزاً إياها.

قال بحذر: "لقد وقعت شجرتي مباشرة عبر السقف عند الساعة الرابعة من هذا الصباح". وأكمل معلقاً: "سمعت صوت ارتطامين آخرين، لا بد أنهما

من جراء وقوع شجرتيك". أومأت المرأة. لم تكن أيٌّ منهما شجرة صغيرة وكان ذلك مؤثراً جداً. أضاف كوين: "ما مدى فداحة الضرر؟".

"لست أكيدة بعد، ولكنه يبدو سيئاً للغاية. المياه تتسرب عبر السقف الذي أصبح كالمنخل، ولدي شلالات نياغرا في مطبخي". بدت خائفة وقلقة. لم يكن كوين يعرف حتى اسمها، كان يعلم بأن المنزل قد تم بيعه قبل وفاة جين مباشرة، ولكنه لم يلتقِ أبداً العائلة التي اشترته، ولم يكن أبداً مهتماً في معرفة من كانت ولا يزال. ولكنه شعر بالأسف من أجلها. بدا أن عليها التعامل مع الوضع بنفسها وهذا ما جعله يفكّر في جين التي كانت تتولى تدبير أي شيء وكل شيء، وكل أزمة أو كارثة محتملة بنفسها ولوحدها في غيابه. افترض أن زوج هذه المرأة كان من نفس صنفه، رجلاً أخذه عمله بعيداً عن بيته في ليلة السنة الجديدة. كان كوين قد أمضى أكثر من نصف لوالي السنة الجديدة على الأقل خلال زواجهما وحيداً في حجرة فندق في بلد آخر. ومن الواضح أن زوج هذه المرأة لم يكن مختلفاً.

أبدى كوين استعداده للمساعدة قائلاً: "لدي بعض الدلاء الإضافية، إن كنت بحاجة إليها". لم يكن هناك الكثير غير هذا مما يمكنهما فعله في اليوم الأول من السنة، وكان من السهل فهم أن كل مقاول في الولاية سيكون مشغولاً بالكامل صباح الإثنين.

"أحتاج إلى مرمّم للسقف. لقد انتقلت للعيش هنا في شهر آب فقط، وقد قالوا إن السقف متين. أحب أن أرسل لهم صورة للمطبخ، فهو يبدو وكأن أحدهم قد فتح "الدوش" عليه". كانت العاصفة قد حطمت أيضاً نصف نوافذها تقريباً، وكان المنزل مكشوفاً أكثر من منزل كوين، وكان بناؤه أقل صلابة. كانت ملكيته قد انتقلت من شخص إلى آخر لعدة مرات في الأعوام الاثني عشر الأخيرة، ولم يعر كوين انتباهاً لمن كان يسكنه، رغم أن جين كانت دوماً تبذل بعض الجهد للترحيب بالجيران الجدد. ولكنه لم يرَ أبداً هذه الجارة أو زوجها حتى ولو بشكلٍ عابر. كانت نظرتها يائسة قليلاً وهي تحاول أن تزيح

بعض الأغصان لتفسح الطريق. كانت السماء تمطر والريح كانت لا تزال شديدة رغم أنها لم تكن بذات الشدة التي كانت عليها في ساعات الصباح الأولى. بدت الأضرار كتلك التي رآها في الآثار المتخلفة عن الأعاصير في منطقة الكاريبي أو أعاصير التيفون في الهند. لم تكن بالتأكيد ما يتوقع المرء أن يعانيه في سان فرانسيسكو.

أبدى كوين استعداده للمساعدة مرة أخرى قائلاً: "سأتصل بالإطفائية ليأتوا ويضعوا لي قماشاً مشمعاً على السقف. هل تريدين أن يلقوا نظرة على سقفك أيضاً؟" بدا أن هذا أقل ما يمكنه فعله. قاومت ممتنة وقد بدت مبتلة ومشتتة الأفكار. كانت الأضرار حولهما مزعجة، وعلى طول الشارع من أوله إلى آخره كان الناس يفعلون ما بوسعهم لإزاحة الأشجار المقطوعة، والتقاط الحطام المتناثر، وتقييد ما يمكنهم بإحكام للتقليل من أي ضرر إضافي قد تأتي به العاصفة المستمرة.

قالت وقد بدت محتارة وغير سعيدة: "لست واثقة من أن القماش المشمع سيشكّل فرقاً كبيراً". لم تضطر أبداً التعامل مع حالة كهذه، وكذلك كوين، وقد شعر بطريقة ما بأن جين كانت ستكون أكثر كفاءة منه. ولكن عليه الآن أن يتدبر الأمر بنفسه.

"سيخبرونك بما ستحتاجينه. سأطلب منهم أن يجلبوا معهم عدداً من الأقمشة المشمعة، في حال احتجت إلى واحد منها". وكاستدراك منه، تذكّر ما يقتضيه سلوكه المهذب وقال: "آسف". ثم مدّ يداً مبتلة فوق سياج الشجيرات المنخفض وهو يتلقف صندوقاً بذراعه اليسرى وأكمل: "أنا كوين ثومبسون".

قالت وهي تصافح يده بقوة: "ماغي دارتمان". كانت صغيرة الحجم، ولديها يدان صغيرتان رشيقتان، ولكن مصافحتها كانت قوية. كانت ذات شعر طويل داكن تدلّى أسفل ظهرها في ضفيرة، وقد التصق شعرها برأسها من جراء المطر المتدافع. كانت ترتدي بنطالاً من الجينز، وسترة قرانية ذات قلنسوة والتي بدت مُغرقة بالماء حتى الجلد، ولم يتمالك نفسه من الشعور

بالأسف لأجلها. كانت شاحبة جداً ولديها عينان خضراوان كبيرتان، واللتان عبّرتا عن كل شيء إلا السعادة. لم يستطع أن يلومها فلم يكن هو أيضاً مسروراً بالضرر الذي لحق بمنزله أيضاً.

قال متعاطفاً: "إنه لأمر سيئ ألا يكون زوجك قريباً". كان ذلك افتراضاً عفوياً منه، فقد بدت في أواخر العقد الثالث أو أوائل العقد الرابع من عمرها، ولم يكن هناك أطفال وهو ما جعله يتساءل إن كانت حتى أصغر سناً من ذلك، ولم تبدأ بتأسيس عائلة بعد. ففي هذه الأيام أصبح الجميع يتأخر في تأسيس عائلة. نظرت إليه بغرابة عند ذكره لزوجها، وهمّت أن تقول شيئاً، ولكنها لم تفعل. وبعدها بلحظة غادر كوين ليتصل بالإطفائية. كانوا قد تلقوا مئات من الاتصالات كاتصاله، وأخبروه بأنهم سيكونون عنده في غضون ساعة أو اثنتين لتغطية الفتحة في سقف بيته. وانطلاقاً من إحساسه بالواجب تذكر جارته، وعندما عاد ليحضر آخر صندوق في المرآب، رآها وهي تجر فرع شجرة من مدخل بيتها، وأخبرها بأن رجال الإطفائية سيأتون للمساعدة.

قالت: "شكراً جزيلاً لك". بدت كجرذ غارق، وأحب أن يعرض عليها معطفاً قديماً واقياً للمطر من معاطف جين والذي كان سيرسله إلى جمعية خيرية، ولكنه لم يفعل. لم يكن هناك داعٍ لأن يكون ودوداً جداً. بدت مهذبة، ولكنها كانت متحفظة أيضاً، وبعدها بلحظة عادت ودخلت منزلها. لم يكن متأكداً، ولكنه عندما رآها تذهب، حسب أنها كانت تبكي. وتساءل كم من المرات بكت جين عندما اضطرتها الظروف إلى التعامل مع أوضاع طارئة بدون وجوده. وعندما عاد كوين إلى منزله وهو يفكر بالأمر شعر بالذنب أكثر من أي وقت مضى.

4

غطى رجال الإطفائية الفتحة في سقف كوين، وكما وعد، فقد دلّهم ليتحققوا من بيت جارته المجاور. في وقت متأخر من تلك الليلة هدأت العاصفة، ولكن الأضرار في جميع أنحاء الولاية كانت هائلة. وككل شخص آخر في المدينة، فقد اتصل كوين بمقاول صباح الإثنين وبمرمّم سقف، وكان قد وجد اسميهما على قائمة احتفظت بها جين على لوحة الإعلانات في المطبخ. ضحك مرمّم السقف عندما اتصل به كوين.

قال الرجل بصوت بدا مرهقاً ولكنه دمث: "دعنا نرى، أنت الشخص الثامن والأربعون الذي يتصل بي هذا الصباح. أظن أنني أستطيع أن آتيك في وقت ما من شهر آب".

قال كوين: "أرجو أن تكون مازحاً". لم يجد كلامه مسلياً. لم يكن معتاداً على التعامل مع مشاكل كهذه، فمهما حدث في المنزل، حتى ولو كان شيئاً بهذا الحجم، كان سيكون تلقائياً مشكلة جين. والآن هي مشكلته، وعليه أن يعترف بأنه لم يكن مستمتعاً بها. لقد اتصل بكلٍّ من مرمّم السقف والمقاول أكثر من اثنتي عشرة مرة قبل أن يتمكن من التكلم مع أيٍّ منهما. كان واضحاً أن كل من عانى من الضرر بسبب العاصفة كان مستعجلاً لإحضار من يصلحه له بأسرع وقت ممكن، وهو لم يكن مختلفاً عنهم.

ردّ الرجل في شركة ترميم السقوف: "أتمنى لو كنت أمزح، ولكن ليس هناك مجال للقيام بذلك". وأعطى كوين أربعة أسماء ليجربها قائلاً إنها شركات حسنة السمعة. وقد فعل المقاول الشيء نفسه عندما اتصل به كوين حيث أعطاه اسم شركتي مقاولة معروفتين، ورقماً ثالثاً قال إنه لنجار استقل بالعمل لوحده

قبل بضعة أشهر، ولكنه يقوم بعمل ممتاز، وقد نصحه به بشدة. كما كان متوقعاً، فإن شركتي المقاولة كانتا مشغولتين مثل الشركة الأولى. لم يكن قد وجد مرمّم سقف بعد، وبينما كان يشعر بالسخط، اتصل كوين بالنجار الشاب الذي نصحه به المقاول الأول. وبدأ كوين يدرك بأن مهمة إصلاح الأضرار لن تكون بهذه السهولة.

كان هناك آلة تسجيل الرسائل الهاتفية لدى اتصاله بالرقم، وقد ترك وصفاً موجزاً للأضرار يشرح فيه ما حدث. أما آخر مرمّم سقف اتصل به فقد وافق على المجيء، وإلقاء نظرة في صباح اليوم التالي، ولكنه حذّر كوين عند حديثهما بأن أمامه ستة أو سبعة أسابيع كاملة من العمل حتى هذا الحين. بدا وكأن كوين سيعيش مع فتحة في سقف غرفة معيشته وغطاءً مشمعاً فوقها لمدة طويلة. لم تكن تلك هي الطريقة التي خطط أن يمضي بها شهوره الأخيرة في سان فرانسيسكو.

كانت الساعة الثامنة مساءً في تلك الليلة عندما اتصل به أخيراً النجار الشاب. بدا صوته عملياً وجدياً واعتذر لاتصاله في هذا الوقت. قال إنه كان خارجاً ينظر إلى أضرار العاصفة منذ الصباح الباكر. كان كوين ممتناً حقاً لاتصال الرجل به والذي عرض عليه أن يأتي في الساعة السابعة من صباح اليوم التالي إذا كان ذلك مناسباً لكوين.

قال: "سأقوم غداً بعمل سريع لصديق. لقد تحطمت جميع نوافذ غرف نوم منزله، ولديه مولود جديد بالبيت. أحب أن آتي وأراك، وأنا في طريقي إلى هناك، إن لم يكن لديك مانع في مجيئي باكراً إلى هذا الحد. أريد أن أنهي له النوافذ قبل أن أبدأ بأعمال كبيرة".

"هل أنت محجوز مسبقاً من قبل أي أحد آخر؟". طوال النهار كان كوين يسمع أن الناس أمامهم من ثلاثة إلى ستة أشهر من العمل المترتب جراء العاصفة، وقد بدأ يشعر باليأس. لم يكن بإمكانه حتى أن يفكر في بيع المنزل قبل أن يصلح الأضرار التي سببتها العاصفة.

"ليس بعد. لقد رأيت اليوم ثمانية أو تسعة زبائن محتملين، ولكني لم أوقع أية عقود بعد. لا أحب أن ألتزم عملاً أكثر مما أستطيع تدبره. والكثير من الناس يشعرون بارتياح أكثر مع الشركات الكبرى حيث يمكنهم أن يعتمدوا على فرق عمل كبيرة. لدي ثلاثة مساعدين أستخدمهم عند الحاجة، ومتى ما كان ذلك ممكناً، فأنا أقوم بالعمل بمفردي. أجد أنني أحافظ على تنظيم العمل بشكلٍ أفضل بتلك الطريقة، كما أن ذلك يخفض الأسعار رغم أن العمل يسير ببطء أكثر، ولكن ليس كثيراً. ليس عليّ أن أصلح أخطاء غيري إذا اشتغلت بمفردي. ما رأيك أن نلقي نظرة في الصباح، ونرى ما يمكننا فعله لك يا سيد توميسون؟".

قال كوين وقد شعر بارتياح: "يبدو جيداً بالنسبة لي". كان سيلتقيه في الخامسة صباحاً لو اضطُر لذلك. لقد أحب طريقة كلامه، فقد بدا من صوته أنه صريح، ومخلص، وصادق، ومسؤول. كان اسمه جاك آدامز، ومن ثم أخبره كوين عن المشكلة التي واجهته وهي، كما هو مفهوم، إيجاد مرمّم سقف.

"لدي شاب جيد أعمل معه في سان خوسيه. سأتصل به الليلة، وأرى إلى أي حد هو محجوز. قد يتمكن من المجيء خلال أسبوعين. سأعلمك بما يقوله غداً".

"رائع". شكره كوين وأغلق السماعة. سيكون رائعاً إذا استطاع أن يضع العمل بأكمله بين يدي هذا الرجل، وأن يوليه ثقته ليهتم به من أجله. قد يكون قادراً حتى على القيام بكل ما هو ضروري لجعل المنزل ملائماً للبيع.

ذهب كوين للنوم في تلك الليلة في السرير الذي شاركته فيه جين، ولأول مرة لم يقرأ قصائدها ويومياتها. استغرق مباشرة في النوم بعد أن فكّر بجعل المنزل في وضع ملائم مرة أخرى آملاً أن يكون جاك آدامز هو الرجل المناسب لفعل ذلك.

استيقظ عند السادسة وهو يشعر بالانتعاش، وارتدى بنطاله الجينز، وكنزة ثقيلة، وجوارب، وحزمة ونزل إلى الطابق السفلي ليحضّر لنفسه فنجاناً

من القهوة. كان قد أنهى لتوّه فنجانه الثاني عندما رنّ جاك آدامز الجرس عند الساعة السابعة تماماً. بدا مرتباً، ونظيفاً، ومنظماً على نحوٍ جيد. كان شعره قصيراً داكناً، وعيناه زرقاوين كبيرتين بدتا صادقتين وودودتين ولطيفتين. عرض عليه كوين فنجاناً من القهوة، ولكنه اعتذر بتهذيب. أراد أن يفرّغ للعمل بأسرع ما يمكن، وأن يعطي كوين فكرة عما شعر أن بإمكانه أن يقوم به ليساعده. كان كوين قد أحبه من خلال حديثه معه على الهاتف، وقد شكّل الإثنان رابطة لحظية بينما كان كوين يسير به من غرفة المعيشة إلى المرآب، وفي كل مكان حول المنزل وُجد شيء محطم أو مفكّك أو متلف أو متضرر. لم يكن يحمل معه ورقة وقلماً وهو ما أقلق كوين، ولكن بينما كانا يتنقلان من مكان لآخر، بدا أنه يتذكر كل تفصيل مما قد شاهداه لتوهما، وقد أعاد قائمته الذهنية على كوين بوضوح ودقة مذهلة. إذا كان عمله جيداً بنفس مستوى حدة ذهنه، فقد أحس كوين إحساساً وثيقاً بأنه - ونتيجة للحظ وحده - قد عثر على فائز.

كان جاك آدامز شاباً حسن الطلة في أواسط العقد الثالث من عمره. كان طويلاً بطول كوين ونحيلاً مثله، وكان هناك تشابه غريب بينهما، وهما يمشيان حول المنزل وعبره، ولكن لم يكن أياً منهما مدرك للتشابه الجسدي بينهما، وربما بديا كأب وابنه لأي عابر طريق. ورغم أن شعر كوين كان رمادياً الآن، إلا أنه في فترة من الفترات كان داكناً كشعر جاك، كما كان لهما نفس البنية، ونفس الطريقة في الحركة، وتقريباً نفس الإيماءات وهما يناقشان المشاكل والإصلاحات التي يلزم القيام بها. في الحقيقة، كان جاك تقريباً بنفس عمر دوغلاس لو كان حياً. كان في الخامسة والثلاثين من عمره ودوغلاس كان سيكون في السادسة والثلاثين. كما أن شكله كان مشابهاً كثيراً للشكل الذي كان من الممكن أن يكون عليه دوغ لو عاش حتى مرحلة الرجولة. لم يخطر هذا حتى في ذهن كوين بينما كان يتحدث إلى الرجل الآخر. ففي نظره، بقي دوغ للأبد في الثالثة عشر.

"إلى كم من الوقت سيحتاج برأيك؟" سأله كوين بشكلٍ ذي مغزى وهما يسيران عائدين إلى المنزل مرة أخرى، وفي هذه المرة قبِل جاك فنجان القهوة. كان هناك عملٌ أكثر مما ظن، كما أن كوين قد تحدث إليه بشأن عملٍ إضافي، إذا كان سيأخذه، كي يتمكن من جعل البيت في حالة ملائمة لبيعه. كان هناك دزينة من الأعمال الأخرى التي عُرضت عليه منذ العاصفة، ولكنه أحب فكرة الالتزام بعمل واحد وإنهاءه، كما أن بعض الأعمال التي احتاجه فيها كوين كانت شاقة.

كان صديقه في سان خوسيه قد وافق على ترميم السقف، وحدد موعداً لبداية العمل في غضون يومين، وقد شعر كوين بارتياح هائل لسماع ذلك. إن ما يفعله جاك هو أنه كان يُشعر زبائنه بالثقة ويمنحهم إحساساً بأن كل شيء هو تحت السيطرة. فالثقة بالنفس التي كان يبديها، وخبرته الواضحة، جعلتا كوين يرغب في تأمين خدماته بأسرع وقتٍ ممكن، إذا كان جاك مستعداً لذلك.

كل شيء؟". ضيّق جاك عينيه، وهو يفكر بالأمر، ومن ثم رشف رشفة من القهوة الساخنة التي ناوله إياها كوين وقال: "سأقول ثلاثة أشهر، وربما اثنين، ويتوقف هذا على عدد الرجال الذين سأستخدمهم. هناك اثنان أحب أن يكونا معي في هذا العمل، على الأقل في البداية. يمكنني إنهاء الأعمال الأخرى غير المنجزة لوحدي، ويتوقف هذا على كمية العمل التي تريدني أن أقوم بها لأساعدك على بيع المنزل. ربما ثلاثتنا معاً للشهرين الأولين، وربما أستعين بأحدهما في الشهر الأخير. ثم سأله جاك على نحوٍ جميل: "كيف يبدو هذا بالنسبة إليك؟".

"يبدو هذا مناسباً لي. هل ستشرف على مرمّم السقف أيضاً؟". لم يكن لدى كوين رغبة لأن يصبح كبير العمال في مشروع الشغل هذا، ولكن جاك لم تكن لديه النية لأن يتركه يقوم بذلك، ولم تكن هناك حاجة لهذا أيضاً. فقد كان كفوءاً كلياً، والرجلان اللذان سيستخدمهما كان يحبان العمل لديه.

"سأهتم بكل شيء يا سيد ثومبسون، فهذا عملي. كل ما عليك فعله هو أن تحرر الشيكات، وسأبقيك على علم بما نفعله". كان جاك لطيفَ العبارة وذكياً، لقد نشأ احترام فوري بين الرجلين. احتاج كوين لمساعدته، وعلى نحو ملح، وكان يعرف ذلك. ومن كل ما رآه جاك من كوين، فقد أحبه. كان لدى جاك إحساس بأن كوين سيكون منصفاً معه. كان رجلَ أعمالٍ، ورجل أعمال جيد على الأرجح، في كل ذرة منه. وبإمكان المرء أن يرى بسهولة أنه كان معتاداً على أن يكون في موقع القيادة، كما أن جاك أحس وكان مصيباً في إحساسه بأن كوين لا يريد أن يتم إزعاجه بالتفاصيل. وبالنسبة لجاك لم يكن هناك داعٍ لذلك، وتساءل إن كان هناك زوجة سيكون عليه التعامل معها أيضاً. كان هناك عددٌ من الصور الفوتوغرافية فيما حوله لامرأة جميلة متوسطة العمر، ولكن كوين لم يذكرها. كان يتدبر الأمر بنفسه، ربما فقط لأن ذلك كان أسهل عليه. ولكن مهما كانت ظروفه، لم يشعر جاك بأنها كانت من شأنه، ولم يسأل أية أسئلة ذات طابع شخصي. لقد أحب كوين ذلك أيضاً، فجاك آدامز كان يهتم بعمله وحسب، تماماً كما كان هو.

سأل كوين بجدية: "ما أقرب وقت يمكنك فيه وضع كلفة للأعمال؟". وهو يعلم بأن عملاً كهذا في أيدي أي من الشركات الكبرى سيكلفه ثروة، ولكن هذا الرجل كان شاباً ومستقلاً، وأسعاره ليست جنونية كما كان يأمل، وكوين نفسه لم يظن ذلك. لقد أراد جاك العمل وبدا متأثراً بشأن فكرة العمل لأجله.

أجاب جاك وهو يضع الفنجان وينظر إلى ساعته: "يمكنني أن أعدّها لك بعد ظهر هذا اليوم". كان يريد أن ينهي العمل لصديقه هذا اليوم كي يكون حراً من أجل عمله الجديد. وأضاف: "إذا كان هذا مناسباً لك، فسأمررها لك هذا المساء. لدي صديقة تقوم لي ببعض الأعمال الكتابية، وهو ما يجعلني حراً لأنزل إلى ميدان العمل، وأقوم بما يجب عليّ فعله. سأعطيها الأرقام اليوم عبر الهاتف، وأحضرها لك عند انتهائي من العمل. هل هذا جيد بالنسبة لك؟".

"تماماً. يمكنك أن تطلب منها إرسالها لي عبر الفاكس إن كان ذلك أسهل بالنسبة لك". وناول جاك رقم الفاكس على قصاصة ورق، ووضعها جاك في جيبه، ومدّ يده لكوين مصافحاً.

"آمل أننا سنعمل معاً يا سيد ثومبسون".

ردّ كوين ببساطة: "آمل ذلك أيضاً". وابتسم إليه. أحب كل شيء فيه، نظرته، سلوكه، مدى تكتمه، وما قاله حول العمل الذي يجب إنجازه. جاك آدامز كان أفضل ما حدث له منذ العاصفة التي ضربت سان فرانسيسكو.

غادر جاك بعد بضع دقائق، وقاد شاحنته مبتعداً.

شعر كوين بارتياح شديد، وذهب ليجري اتصالاً بتيم هاكر في هولندا، ويتحقق من التقدم المحرز في سفينته الشراعية. ولم يستطع تمالك نفسه من التساؤل، رغم ما بدا من غرابته، إن كان جاك يحب الإبحار أو يعرف أي شيء عن السفن.

5

عاد جاك آدامز في اليوم التالي كما وعد، وبدأ العمل على نحوٍ منظم وفعّال. كان قد أرسل لكوين عبر الفاكس كلفة معقولة قبل ذلك بيوم، كما كان قد وعده، وتم الاتفاق بينهما، ووُقّع العقد. أحضر معه شابين كبيرين قويي البنية، وقد انفردا بنفسيهما وذهبا مباشرة للعمل. كانا يحييان كوين أو يومئان له منذ دخوله وخروجه، ولكن جاك كان الوحيد الذي له اتصال معه. وفي نهاية الأسبوع، حضر مرمّم السقف ليقوم بعمله. كان الضرر الذي ألحقته الشجرة بالسقف أكثر مما ظنوه في البداية، وقد تشاور مرمم السقف مع جاك وكوين حول ما يجب فعله. كانت مهمة واسعة، ولكن لم يكن لدى كوين خيار في الموضوع. فالسقف لا بد أن يتم إصلاحه، ولم يكن في نية كوين أن يقتطع منه أية زوايا. أراد أن يتم إصلاحه بشكلٍ صحيح، وبأفضل طريقة ممكنة، بصرف النظر عن مقدار ما قد يكلفه ذلك، رغم أنه كان سيبيع المنزل. وقد احترمه جاك لأجل هذا كما احترمه لأجل كل شيء آخر. كان قد فهم منذ الأيام القليلة الأولى بأن كوين ثومبسون كان رجلاً يحلو العمل معه طالما أنك منصف معه، وتخبره بصدق عما يجري، وما تعتقد أن بإمكانك أن تفعله بشأنه. الذي لم يحبه كان العرض الخاطئ المموه والأكاذيب أو الأناس الذين يتهربون من مسؤولياتهم. ولكن لم يكن هنالك أي من هذا في جاك آدامز المسؤول عن العمل. كان محترفاً كلياً، وكان يستدعي كوين كل بضعة أيام لتسريع العمل.

وكان يدخل المنزل ليقوم بالضبط بهذا في نهاية الأسبوع الثاني، عندما وجد كوين جالساً إلى مكتبه منكباً على دراسة بعض التصاميم.

سأل جاك بلطف: "هل تبني منزلاً جديداً في مكان ما؟". لم يكن جاك من النوع الذي يسأل أسئلة بشكلٍ غير ملائم، ولكن كوين كان مستغرقاً جداً بما كان ينظر إليه بحيث أثار فضول جاك رغماً عنه. ومهما كان الشيء الذي كانت تمثله هذه التصاميم، فقد بدا ضخماً.

نظر إليه جاك مبتسماً ابتسامة متعبة. كان قد قام خلال ذلك الأسبوع بالكثير من الأعمال الكتابية الخاصة بأملاك جين، وهو ما كان عملاً مملاً ومحبطاً. كانت مكافأته لنفسه لإنجازه ذلك، هي أن يمضي بعض الوقت في مراجعة التصاميم الأخيرة للسفينة. قال: "ليس منزلاً يا جاك، إنها سفينة. هل تعرف أي شيء عن السفن؟".

اعترف جاك وهو يبتسم ابتسامة عريضة: "لا أعرف شيئاً على الإطلاق. نظرت إليها كثيراً، وشاهدت بعض سباقات السفن الشراعية في الخليج، ولكني لم أكن على متن سفينة في حياتي".

قال كوين: "إنك تفوّت على نفسك شيئاً عظيماً". وأدار التصاميم للجهة الأخرى من المكتب ليطلّع عليها جاك. كان يعلم بأنه سيقدّر الدقة التي تم إنجازها بها، فقد كان جاك شديد التدقيق بالتفاصيل. وأضاف: "ستكون جاهزة في الخريف. سأعيش على متنها بعد أن أبيع المنزل". أومأ جاك وهو ينظر إلى التصاميم بعناية. لم يسأل أية أسئلة، بل كان فقط معجباً بما كان يرى.

سأل جاك باهتمام: "إلى أين ستبحر بالسفينة؟".

"إلى أي مكان. جنوبي المحيط الهادئ، القارة القطبية الجنوبية، أميركا الجنوبية، أوروبا، الدول الإسكندنافية، أفريقيا. يمكنني الذهاب إلى أي مكان أرغب به بسفينة كهذه. لقد اشتريتها في شهر تشرين الثاني، قبل يومٍ واحد من مجيئي إلى الوطن عائداً من أوروبا".

قال جاك بإعجاب: "لا بد أنها جميلة لأن تُرى". ولم يكن في كلامه أي أثر لحسد، فقد كان يكنّ الكثير من الاحترام لكوين، واعتقد بأن الرجل كان يستحق كل ما لديه.

"ليس بعد، ولكنها ستكون كذلك عندما يتم الانتهاء منها".

"أين هي؟". أثار السؤال استغراب كوين. فاسم حوض السفن كان مكتوباً بخط عريض عبر الصفحة وكلمة هولندا مطبوعة بشكل واضح، ولكن بدا واضحاً أن جاك لم يرها. افترض كوين بأنه كان متذهلاً جداً بروعة تصميم السفينة إلى حدّ أن الاسم غاب عن ملاحظته، ولم يستطع أن يلومه. كان كوين نفسه واقعاً في حب سفينته الجديدة، وكان واثقاً بأن أي أحد سيراها سيكون كذلك أيضاً.

أجاب كوين: "يتم بناؤها الآن في هولندا".

"هل تذهب كثيراً إلى هناك؟". لقد أثار كوين اهتمام وفضول جاك، فكل شيء فيه كان يوحي بالفخامة والأناقة والقوة. بدا كبطل حقيقي بالنسبة له.

"سأفعل ذلك إلى أن يتم الانتهاء منها. أريد أن أشرف على التفاصيل بنفسي".

"متى ستعرض المنزل للبيع؟". كانا قد تحدثا بهذا الشأن، وكان جاك مدركاً لذلك، ولكن كوين لم يعطه أية تواريخ محددة. والآن وقد رأى تصاميم السفينة، فقد عرف جاك أن رحيل كوين لم يكن وهماً أو مجرد احتمال، بل حقيقة.

"سأعرض المنزل للبيع حالما تنتهي أنت منه، أو في وقت متأخر من الربيع. إنني أتوقع أن يستغرق بيعه بضعة أشهر. أريد أن أكون بعيداً عن هنا في شهر أيلول أو تشرين الأول. ستكون السفينة جاهزة في ذلك الحين".

"سأحب أن أراها. أرجو أن تبحر بها إلى هنا". ولكن ذلك كان بالضبط ما لم يرغب به كوين. كان يريد أن يبتعد بقدر ما يستطيع عن ذكرياته القاسية، وعن العالم الذي تقاسمه مع جين. كل ما أراده الآن كان أن يبحر بعيداً حاملاً ذكرياته معه. فالبقاء في المنزل الذي شاركها الحياة فيه، والمدينة التي عاشا فيها ما يقارب أربعين سنة، كان أمراً شديد القسوة عليه. بالكاد كان ينام أثناء الليل، وكان عندما يسرح في أنحاء المنزل يتألم بسببها. كان التفكير في كل

الأمور التي لم يفعلها أبداً من أجلها أو معها عبئاً ثقيلاً عليه لا يمكنه تحمله. ما كان بحاجة إليه الآن هو إلهاء مؤقت، وكان لحساس وشيق يمتلكه بأن السفينة ستمنحه ذلك. كان جاك يعلم بأن زوجة كوين قد توفيت، حيث ذكر كوين له ذلك في يوم من الأسبوع السابق، وقد عبّر له جاك بهدوء عن مدى أسفه لسماع ذلك. لقد أدرك الآن شيئاً قليلاً من مدى وحدة كوين. كان كوين قد أخبره أيضاً بأن له ابنة تعيش في جنيف.

قال كوين مقترحاً وهو يضع التصاميم جانباً: "قد تأتي إلى أوروبا في يوم ما لتشاهد السفينة". ضحك جاك في إجابة منه لاقتراح كوين وأخبره بأن رحلة إلى أوروبا كانت غريبة عن عالمه كما سيكون ارتياد سفينة فضائية إلى الفضاء الخارجي غريباً على الأرجح بالنسبة له.

قال باحترام: "أعتقد أن لدي ما يكفي ليبقيني مشغولاً هنا. ولكنها بكل تأكيد سفينة جميلة". وهو يقول ذلك خطرت لكوين فكرة. خطا خطوات واسعة عبر الغرفة إلى خزانة كتب يحتفظ فيها بمكتبة كاملة عن كتب الإبحار، بعضها قديم جداً وبعضها نادر إلى حدٍّ ما. تناول كتاباً ضخماً وقدمه لجاك. كان مقدمة عن الإبحار والذي استخدمه كوين لسنوات في أيام إبحاره الأولى.

"سيعلّمك هذا كل شيء سترغب بمعرفته عن السفن الشراعية يا جاك. يمكنك الاستمتاع بقراءته في بعض أوقات فراغك". تردد جاك بينما كان كوين يعطيه إياه.

"أكره أن أضيعه أو أتلفه". بدا الكتاب جميلاً جداً، وجديراً بالاكتساب، ومن المحتمل أنه قيّم أيضاً. كان واضحاً أنه غير مرتاح بشأن استعارته.

"لست قلقاً بشأنه. انظر ما رأيك فيه، ويمكنك إعادته عندما تنتهي منه. لا يعرف المرء أبداً، فربما سنحت لك الفرصة لتبحر مع صديق في يوم من هذه الأيام. سيعلمك هذا الكتاب كل شيء تحتاج إلى معرفته". أخذ جاك الكتاب منه مبتهجاً، وتصفح بعضاً من رسوماته وصوره. كان مشتملاً بأكمله على رسوم ومصطلحات متعلقة بالإبحار. كان كتاباً رائعاً أحبه كوين على الدوام، وكان قد

أعطاه لدوغ كي يقرأه في ذلك الصيف المشؤوم قبل مغادرته للمخيم، وقد انكب عليه دوغ وحفظ أقساماً منه كي يترك انطباعاً حسناً لدى والده، وقد فعل. كانت واحدة من محاوراتهما الرائعة القليلة ولحظاتهما الثمينة قبل أن يموت.

سأل جاك وقد بدا قلقاً: "هل أنت واثق من رغبتك في إعارته لي؟". ابتسم كوين وأومأ، وبعدها بلحظات غادر جاك والكتاب تحت ذراعه. ورغم أنها كانت ليلة السبت، فقد ذكر بأنه سيعود ثانية في الصباح. كان متعاقداً ليعمل لحسابه خمسة أيام فقط في الأسبوع، ولكنه كان قد أخبر كوين مسبقاً بأنه سيعمل بضع ساعات إضافية في نهاية الأسبوع وهو ما كان جزءاً من الثمن الموقّع عليه في العقد. كان يحب العمل بمفرده أحياناً، والاهتمام ببعض التفاصيل بنفسه. لقد كان يتقن عمله أكثر مما ظن كوين، وكان العمل يجري على ما يرام. كان مشرفاً أيضاً على عمل السقف، وكان كوين مسروراً بالنتائج رغم أنه كان لا يزال أمامهم الكثير من العمل. سيكون جاك في المكان لأشهر، ليس فقط حتى يصبح المنزل في حالة جيدة، بل حتى يصبح جاهزاً أيضاً لعرضه للبيع.

صباح يوم السبت، نظر كوين من خلال النافذة عند نهوضه من النوم ورأى جاك في الخارج. كانت تمطر مجدداً، وكانت كذلك معظم أيام الشهر. ولكن بدا أن جاك لم يقلقه ذلك. كان معتاداً على العمل في أحوال الجو المختلفة، والمشكلة الوحيدة التي شكّلها المطر له هي عدم استطاعتهم إنهاء السقف لحين توقف المطر. كان الطقس الرطب، يؤخر الأمور، ولكن كان هناك الكثير من الأشغال الأخرى بين أيديهم.

ذهب كوين للخارج ليتحدث مع جاك بعد أن قرأ الصحيفة، وشرب القهوة، ووجده في المرآب. كان يتحقق من الإصلاحات التي اضطروا إلى القيام بها هناك، وبينما كان الرجلان يسيران خارج المرآب بعد ذلك بنصف ساعة وهما يتحدثان بشكل عرضي، لاحظ كوين جارته، وهي تحاول جاهدة أن تفتح صندوقاً كبيراً أوصله أحدهم أمام منزلها. وكما كانت قبل ذلك، بعد

العاصفة، كانت مرة أخرى تتصارع معه بنفسها. بدا أنه لم يكن هناك أحد أبداً لمساعدتها، وبينما كان كوين يراقبها، فكّر في حين مرة أخرى بغصة ألم باتت مألـوفة لديه. خلال كل تلك السنوات، لم يفكر أبداً ولو لمرة واحدة، كيف أن الحياة كانت لا بد صعبة عليها وهو بعيد عن البيت طوال الوقت. والآن بدا أنه لا يتوقف أبداً عن التفكير بهذا الأمر، وهذه المرأة كانت تذكيراً حياً للحياة التي عاشتها جين بمشقة طوال سنوات عمله.

بينما كـان كوين يفكر بذلك، انسل جاك بسهولة عبر سياج الشجيرات الذي يفصل المنزلين، وذهب لمساعدتها. أخذ الأثواب من يدها، وفي غضون دقائـق، كـان قد فتح الصندوق، وعرض عليها نقل محتواه – وهو قطعة من الأثـاث – إلـى الداخل. قبل أن يتمكن كوين من قول أي شيء، دلفتا داخل المنـزل، وبعـد بضع دقائق عاد مرة أخرى. كان جاك حذراً عندما أتى على ذكرها لدى كوين.

"لا أعـرف كيف تشعر حيال هذا الأمر يا كوين". كانا الآن يخاطبان بعضهما باسمهما الأول، وكان كوين مرتاحاً لهذا. لقد أحب كل شيء عرفه عـن جاك، وأهم من كل شيء، دقته الشديدة وإخلاصه في العمل. وأضاف جاك: "سألتني إن كان بوسعي القيام ببعض العمل لها في وقتٍ ما. أخبرتها أن لدي عملاً طويلاً هنا، وسألتْ إن كان بإمكاني القيام ببعض الإصلاحات لها أيام الآحاد إذا كان لدي وقت فراغ. أنا لا أمانع حقاً، فهو يوم إجازتي، ويراودنـي شـعور بأنهـا بحاجـة للمساعدة فعلاً. لا أظن أن لديها رجلاً بالقرب".

قـال كـوين متـنهداً: "هذا على الأرجح ما اعتاد الناس أن يقولوه عن زوجتـي أيضاً. ألا تحتاج إلى بعض الوقت للراحة؟ لا يمكنك أن تعمل سبعة أيام في الأسبوع، ستنهك نفسك". قال ذلك بشيء من القلق. لم يكن مولعاً بفكرة عمـل جاك لأجلها. كان يعمل بجد، وهو بحاجة إلى بعض الراحة، على الأقل أيام الآحاد، حيث إنه كان يعمل ساعات إضافية لكوين أيام السبت.

ردّ جاك مبتسماً ابتسامة عفوية: "أظن أن بوسعي تدبّر ذلك. أشعر نوعاً مـا بالأسف لأجلها. كنت أتحدث إلى ساعي البريد قبل يومين، وقال إن ابنها توفي في السنة الماضية. ربما هي بحاجة إلى فرصة ويدِ مساعدة". أما كوين فلم يكن بإمكانه أن يجادل في ذلك، ولم يعلّق بأي تعليق عاطفي أو غيره حول ابنها. لم يكن قد أخبر جاك عن نوح، فلم يكن هناك سبب يدعوه لذلك، كما أن ذكْـر الموضوع كان في رأي كوين تجييشاً للعاطفة. يكفي أنه عرف بأن جين قـد ماتـت. ولكـن كان هنالك شيء مشترك بينه وبين الجارة، رغم أنه ليس بالشيء الذي يرغب في التحدث عنه.

قال كوين محذّراً: "ليس لدي مانع. فقط لا تدعها تستغلك يا جاك". ولكن جاك هز رأسه نافياً، فقد كان على استعداد لمساعدتها، ولم يتم دفعه لذلك، كما أنهـا كانـت قد تدبّرت بنفسها أمر إيجاد مرمّم للسقف، وانتهت من إنجاز ما كانت بحاجة إليه. ولكنها قالت إن هناك عدداً من الإصلاحات الصغيرة التي لم تجـد مـن يعالجها لها. ومثل كوين، فقد لاحظت كم كان جاك مجتهداً وكفوءاً فيما يختص بعمله.

"تـبدو امرأة لطيفة. وعلى المرء أحياناً أن يمدّ يدَ المساعدة حتى لو كلّفه ذلـك بعـض الوقت. ليس لدي ما أفعله في نهاية الأسبوع سوى مشاهدة كرة القدم". كان ذلك أكثر مما كان يفعله كوين، ولكنه لم يقل ذلك لجاك.

وفـي الـيوم التالـي، لاحظ جاك وهو يدخل ويخرج من منزل ماغي دارنمـان. وبعد برهة قصيرة، وبينما كانت خارجة من منزلها، توقفت وقالت شيئاً لكـوين وشكرته لأنه أتاح لها فرصة الاستفادة من خدمات جاك في يوم إجازته.

طمأنهـا كوين قائلاً: "إنه شاب رائع". ولكنه لم يكن يريد أن يُقحم نفسه فـي اتفاقهمـا. فمـا يفعله جاك في وقت فراغه هو أمرٌ يعود له كلياً. وعند منتـصف بعـد الظهر، لاحظ كوين أن شاحنة جاك قد اختفت. كان حقاً رجلاً جديراً بالاحترام.

كانت نهاية الأسبوع التالي، عندما تذكّر كوين الكتاب الذي أعطاه لجاك، وسأله إن كان قد وجد الوقت ليقرأه بعد. بدا جاك مُحرجاً قليلاً، وهز رأسه نافياً، وشرح معتذراً بأنه لم يجد الوقت لذلك.

"يوسعني أن أرى السبب، فأنت تعمل هنا ستة أيام في الأسبوع، وتقوم بعملٍ إضافي عند جارتي". ضغطه كوين قليلاً بدماثة، ولكن جاك غيّر الموضوع سريعاً.

أحس كوين بأن جاك شعر بالذنب لأنه لم يقرأ كتاب الإبحار بعد، ولم يكن يريد أن يضغط عليه. كان قد حسب فقط بأنه سيستمتع به، ولكن الشاب المسكين كان ينهك نفسه في العمل بكلتا الوظيفتين، وتحديداً عند كوين. لم يعرف السبب، ولكن كان لديه إحساس بأن جاك يمكن أن يكون بحاراً أصيلاً إذا أراد ذلك. فقد أظهر اهتماماً كبيراً في تصاميم السفينة، وتعليمه شيئاً حول الإبحار كان أمراً يستطيع كوين أن يقوم به من أجله. كان يأمل بأنه سيقرأ الكتاب حتى نقطة معينة، ولا يقول فقط بأنه قد قرأه، ولكنه نسي أن يأتي على ذكره مرة أخرى.

كان الوقت في أواخر كانون الثاني، والعمل يسير بشكلٍ جيد عندما أمضى كوين طوال فترة بعد الظهر وهو يضع قائمة احتوت على مشاريع إضافية لجاك، وتعليقات بشأن العمل الجاري، وذهب خارجاً ليسلّمها له. كان أول يوم مشمسٍ فعلاً حظيا به منذ أسابيع، وكان العمل بالسقف قد انتهى أخيراً، رغم أنه قد استغرق وقتاً أطول مما خُطّط له. كان يرغب بسماع تعليقات جاك على القائمة التي وضعها، ووقف ينتظره ليقرأها، وعندما طواها جاك، ووضعها في جيبه، ووعد بقراءتها تلك الليلة، ضايق الأمر كوين قليلاً. كان يكره تأجيل الأمور، وقد أراد مناقشتها معه، ولكن جاك أخبره بأن لديه الكثير من المشاغل بعد ظهر ذلك اليوم بحيث إنه لا يستطيع التركيز عليها بشكلٍ ملائم، ووعد بأن يناقشها مع كوين في اليوم التالي عند حضوره.

ولكن العمل سار بشكلٍ جيد تحديداً بعد ظهر ذلك اليوم، وحيث إن كوين كان يكره السكون الذي تأتي به ليالي الجمعة عندما يغادر الجميع، فقد دعا جاك للداخل ليتناول معه فنجاناً من القهوة، ومن ثم أتى على ذكر القائمة لجاك مرة أخرى، واقترح بأن يتناولها من جيبه ليدرساها معاً. تردد جاك، وحاول تجاهل الموضوع، ولكن كوين أصر. كان مثل كلب مع عظمته بشأن قائمته، وللحظة غريبة، حسب كوين أنه رأى دموعاً تترقرق في عيني جاك وتساءل إن كان قد أهانه. كان جاك بشكل عام هادئاً ولا يضطرب، حتى عندما تسير الأمور على نحوٍ خاطئ في العمل، ولكن بدا واضحاً أنه قد انزعج كثيراً من اقتراح كوين، إلى حدٍّ خشي معه كوين أنه قد يترك العمل، وقد أقلقه ذلك بحدة.

قال بلطف: "آسف يا جاك. لم أقصد أن ألحّ عليك. لا بد أنك متعب للغاية مع نهاية الأسبوع. لماذا لا تأخذ يوم غدٍ إجازة؟". اقترح ذلك محاولاً تهدئته والتراجع عما بدر منه من إلحاح، والذي على ما يبدو كان كثيراً جداً بالنسبة لجاك. ولكن جاك نظر إليه فقط وهزّ رأسه، وفي هذه المرة كانت الدموع واضحة في عينيه. كانت النظرة التي نظر بها لكوين تحمل أسى عميقاً وثقة لا حدود لها، ولم يفهم كوين ما الذي كان يجري. لقد ضايقه مجرد النظر إلى جاك. كان الأمر وكأنما شيئاً في الشاب كان ينحل، ولم يعد بالإمكان إيقافه. وعلى نحوٍ غير متوقع، جاء التفسير الذي لم يكن كوين مهيئاً له بأية طريقة، وذلك عندما وضع جاك فنجان القهوة جانباً، وتكلّم بصوتٍ يجيش بالعاطفة، بينما راقبه كوين وأنصت له بقلب متألم. فهو لم يكن يقصد أي أذى بأسئلته واقتراحاته، ولكن كان بوسعه أن يرى أنه قد جرح شعور هذا الرجل الذي كان قد نال احترامه وحبه. كانت واحدة من تلك اللحظات التي لا مجال فيها للعودة إلى الوراء، بل فقط إلى الأمام. مثل الرقاص الذي بتأرجحه تتحرك عقارب الساعة إلى الأمام فقط، ولا ترجع أبداً للخلف.

شرح جاك بهدوء: "تركني والداي في دارٍ للأيتام عندما كنت في الرابعة من عمري. أتذكر أمي، أظن أني أتذكرها على أية حال، ولكنني لا أتذكر أبي، سوى أنني كنت أخاف منه كما أحسب. وأعرف بأنه كان لي أخ، ولكنني لا أتذكره على الإطلاق. يبدو كل شيء الآن ضبابياً ومشوشاً. لم يعد والداي أبداً، ونشأت تحت رعاية الدولة كما يقولون. وضعوني في بيتين من بيوت التبني في البداية، لأني كنت صغيراً جداً، ولكنهم كانوا يعيدونني دوماً. لم يكن ممكناً أن أُتَبَنّى بشكل دائم لأنهم كانوا يعرفون بأن والديّ على قيد الحياة في مكان ما، وليس باستطاعة المرء أن يبقى في بيت للتبني طوال عمره. شعرت بالراحة في الميتم، حيث كان الجميع لطيفاً معي جداً. سمحوا لي بفعل ما أرغب به، وقد قمت بكل ما يمكنني فعله لأساعد. كنت أكره المدرسة، واكتشفت في وقت مبكر بأني إذا قمت بعملٍ ما في الميتم، فسيسمحون لي بالتغيب عن الدروس، وهذا ما فعلته، الكثير منه. كنت أحب التسكع مع الكبار أكثر من الصغار. فقد جعلني هذا أشعر بالاستقلالية وبأنني ذو فائدة، وقد أحببت ذلك. وعندما بلغت الحادية عشرة أو الثانية عشرة، لم أعد أذهب للمدرسة إلا نادراً. وبقيت هناك، لا أذهب للمدرسة، إلا عندما أضطر لذلك، إلى أن بلغت الخامسة عشر تقريباً. وعندها، عرفت بأني يمكن أن أشتغل نجاراً وأكسب رزقي، وهكذا تقدمت لواحدٍ من تلك الاختبارات المعادلة لشهادة الثانوية، ولأخبرك الحقيقة، فإن صديقة لي ساعدتني على إحرازه. أخذت الدبلوم، وغادرت الميتم، ولم أنظر ورائي أبداً. كنت في وسكونسن، وكان بحوزتي بعض المال الذي ادخرته من الأعمال التي قمت بها. ركبت حافلة وجئت إلى هنا، ولا زلت أعمل من حينها. كان ذلك قبل عشرين سنة، وأنا الآن في الخامسة والثلاثين، وأكسب جيداً من عملي. أنا أعمل بكد، وأحب ذلك. أحب مساعدة الناس والعمل مع أناس مثلك. لم يكن أحد أبداً لطيفاً معي مثلك طيلة السنوات العشرين الماضية". وتصدع صوته وهو يقول ذلك، وتألم قلب كوين لأجله وهو يسمع، ولكنه لم يفهم بعد. وأضاف جاك: "أنا نجار يا

كوين، نجار جيد. ولكن هذا كل ما أنا عليه. هذا كل ما سأكونه وكل ما كنته. إنه كل ما أجيد فعله".

قال كوين بلطف: "لم أقصد الإلحاح عليك يا جاك. أنا معجب جداً بما تفعله، ولا يمكنني القيام بمثله. لديك موهبة حقيقية في إيجاد الحلول، وجعل الأشياء تعمل بنجاح". وكان كوين قد لاحظ بأن لديه أيضاً مقدرة خاصة على التصميم.

ردّ جاك بحزن: "ربما لا، ولكن بمقدورك أن تفعل الكثير مما لا أستطيعه أنا، ولن أستطيعه أبداً".

قال كوين: "لقد كنت محظوظاً واشتغلت بجد، كما فعلت أنت". مانحاً إياه ذلك النوع من الاحترام الذي ينشأ أحياناً بين رجلين بغض النظر عن منشئهما أو مدى بساطة أو تعقيد مهنتهما. كان كوين ثومبسون أسطورة، وكان جاك آدامز نجاراً، ونجاراً جيداً كما قال عن نفسه، وكان أيضاً رجلاً صادقاً. لم يكن كوين يريد منه أكثر من ذلك، ولكن جاك كان يطلب من نفسه أكثر من هذا بكثير، وكان يعلم بأنه لن يحصل عليه أبداً. كانت أعباء ماضيه ثقيلة جداً، وهو ما كان على علم به، أفضل مما يستطيع كوين أن يتخيل. لم يكن لدى كوين فكرة عن الحياة التي قاداها جاك، أو الطريق التي قطعها ليصل إلى ما هو عليه.

قال جاك بهدوء: "أنت لست محظوظاً. أنت ذكي، ومتعلم. أنت أفضل مني بكثير، وستظل كذلك دوماً. كل ما أجيده هو هذا". قالها بانتقاص كامل من قدره.

قال كوين آملاً: "يمكنك الدخول إلى الجامعة إذا أردت". كان هناك إحساس من اليأس حول جاك لم يره فيه قبل ذلك أبداً خلال الشهر الذي عمل فيه لأجله. كان دائماً عملياً ومبتهجاً جداً، ولكن ما رآه الآن كان شيئاً مختلفاً تماماً. كانت لمحة خاطفة من قلب وروح جاك، والأسى الذي سعى لإخفائه طوال حياته. وأكثر من أي شيء آخر، أراد كوين أن يمنحه أملاً.

قال جاك بانكسار: "لا يمكنني الذهاب إلى الجامعة". ومن ثم نظر مباشرة في عيني كوين، وعرف كوين بأنه لم يرَ في حياته أبداً مثل تلك الثقة. أضاف: "بالكاد أستطيع القراءة". ومن ثم وضع وجهه بين يديه وأخذ يبكي بصمت، وكأنما أزيح منه خجل عمرٍ بأكمله وأحاط به، بينما كان كوين يراقبه وهو يشعر بالعجز. ثم، وبدون صوت، اتجه نحوه ولمس كتفه، وعندما تطلّع إليه جاك مرة أخرى، ترقرقت الدموع أيضاً في عيني كوين. كان واثقاً الآن بأن لا أحد في حياته كلها قد اعترف له بشيء بتلك الأهمية. فهذا الرجل والذي كان بالكاد يعرفه، ولكنه كان يحبه كابنه تقريباً، قد تجرأ على تجريد روحه. كانت تلك هدية ثمينة.

قال كوين وهو لا يزال ملامساً له: "لا يهم"، وكان يده على كتف الشاب ستبقي على الاتصال بينهما، وقد فعلت.

"بلى، إنه يهم. فأنا لا أستطيع قراءة الكتب، أو الرسائل، أو ما تكتبه لي من قوائم. لا أعرف ما تشير إليه الكتابات في مكتب البريد، أو ما كتب في استمارات البنوك. لا أستطيع قراءة عقد. لقد اقتحمت اختباراً شفهياً في امتحان القيادة. أستطيع قراءة اللافتات، ولكن هذا كل شيء. فليس بإمكاني قراءة المكتوب على قوارير الدواء، أو التعليمات، والخرائط صعبة عليّ. بالكاد أستطيع قراءة أي شيء. يمكنني توقيع اسمي، هذا هو. لن أكون أبداً أكثر من نجار لا يحسن حتى القراءة. لا يمكنني حتى أن أتعرف على امرأة لأكثر من بضعة أسابيع لأنها إذا اكتشفت ذلك فلن ترغب بي. ستحسب أني غبي أو سخيف. كل ما يمكنني فعله هو ما أقوم به، كأفضل ما أستطيع. ولكن ذلك هو كل ما سأستطيعه، أو سأتمكن من فعله أبداً".

وعلى الفور بدا واضحاً لكوين بأن جاك أراد من الحياة أكثر بكثير مما ناله منها، ولكن لم تكن لديه فكرة عن كيفية بلوغه. وبينما كان ينظر إلى كوين، كانت عيناه تفيضان بالأسى والقصور الذي اعتاده طوال حياته. كان كلامه مؤثراً جداً إلى حد أن كوين لم يعرف ما يقول له في البداية. أراد أن

يحيطه بذراعيه، ويضمه إلى صدره كما لو كان طفلاً. ولكن جاك لم يكن طفلاً، بل كان رجلاً، ورجلاً جديراً بالاحترام، وكريماً، ومقتدراً كأي من الرجال الذين عرفهم كوين خلال حياته. أراد أن يمد له يد المساعدة، ولكنه لم يكن واثقاً كيف يقوم بذلك. كل ما استطاع فعله هو أن يتقبله، وأن يدعه يعرف بأنه سواء كان يحسن القراءة أم لا، فقد نال احترام كوين للأبد، وتحديداً الآن. بقيت قبضته على كتف جاك قوية وثابتة. وبعد بضع دقائق، انتصب جاك واقفاً وقال إنه يجب أن يغادر. بدا مُحرجاً بسبب ما اعترف به لتوّه، وكان بإمكان كوين أن يرى بأن جاك بدا مزعزعاً.

قال جاك بلطف وهو يلتقط سترته: "لدي صديق يقرأ لي. سأعرف ما ستشتمل عليه فاتورتك بحلول الغد". قال ذلك ببساطة بينما أومأ كوين، وراقبه يرحل. كانت لحظة سمح جاك لكوين أن يشاركه فيها، لمحةً ليست فقط في مواطن ضعفه، ولكن في أعماق روحه.

في تلك الليلة، استلقى كوين في فراشه وهو يفكر بشأنه حتى الثالثة صباحاً، وقد تأثر بعمق بما شاركه فيه جاك. وعندما استيقظ صباحاً، وشاهد شاحنة جاك في الخارج، ارتدى بنطالاً وكنزة وانتعل حذاءه، ومشى إلى الخارج ليبحث عنه. تبادل الرجلان نظرة نطقت بالكثير، ودعاه كوين للدخول معه إلى المنزل. بدا جاك تعباً بقدر ما شعر كوين. كان قد استلقى مستيقظاً لساعات أيضاً، متسائلاً إن كان قد تصرف التصرف الصحيح بإخباره كوين. والحقيقة أنه فعل. كان خوفه الأكبر والذي أبقاه مستيقظاً طوال الليل، هو أن يخسر احترام كوين.

قال لكوين وهما يخطوان إلى داخل المنزل: "لقد حفظت القائمة"، وأغلق كوين الباب خلفهما. أومأ، ومشى إلى المطبخ، وتبعه جاك، وجلس كلا الرجلين.

قال كوين بهدوء: "أريدك أن تعمل لبضع ساعات إضافية"، ولم يستطع جاك أن يفسّر ما الذي كان يراه في عيني كوين. لم يكن هناك أي ذكر لما قيل

في الليلة السابقة. وأضاف كوين: "أريدك أن تبقى ساعتين بعد العمل كل ليلة، وربما ساعة أو اثنتين أيام السبت أيضاً". كان صوته صارماً، رغم أنه لم يقصد ذلك. بدا جاك قلقاً، فلم يذكر شيء بشأن ذلك في القائمة.

قال جاك مستفهماً: "ألا تظن بأن العمل يسير بسرعة كافية؟". بالنسبة لجاك، كان العمل يسير على نحوٍ أسرع مما توقع، وقد افترض بأن هذا ما ظنّه كوين أيضاً.

"أظن بأن العمل يجري بشكلٍ جيد. ولكن لدينا بعض العمل الإضافي الذي ينبغي إنجازه". كان قلب كوين ينبض بسرعة وهو يقول ذلك، فقد كان هذا مهماً، وأراد أن يوافق جاك على القيام به لأجل مصلحتهما معاً. كان مهماً لكوين الآن بقدر أهميته لجاك. كانا قد شكّلا شراكة الليلة السابقة، والتي كانت بمثابة عقدٍ صامت بينهما، ورابطة لا يمكن أن تنفصم. لقد منحه جاك شيئاً عندما وضع ثقته به وأخبره الحقيقة. أراد كوين أن يكرّمه من أجل ذلك، وقد شعر بالفخر حتى صميم أعماقه.

سأل جاك وقد بدا متحيراً: "أي نوعٍ من العمل؟".

كانت هناك فترة صمت طويلة، بينما نظر الرجلان إلى بعضهما. كان هناك شيءٌ مجردٌ جداً وعارٍ في الغرفة. كان ذاك هو الأمل. ابتدأ كوين بحذر: "إذا كنت ستمنحني الفرصة العظيمة لفعل ذلك، فسأعلمك كيف تقرأ". خيّم على الغرفة صمتٌ يصم الآذان، والتفت جاك بعيداً عنه والدموع تنهمر على وجنتيه. كان كوين يبكي أيضاً. ومضى وقت طويل قبل أن ينظر إليه جاك مرة أخرى، ووقتٌ أطول قبل أن يستطيع الكلام.

"هل تعني ذلك؟ ما الذي يجعلك تقوم بهذا من أجلي؟".

"لأنني أريد ذلك، كلانا نريده. لقد قُمت يا جاك بكثيرٍ من الأمور المتقلة الغبية الدنيئة والأنانية في حياتي. وقد يكون هذا أول عملٍ مرضٍ سأفعله على الإطلاق، وسأفتخر لك هذا إذا منحتني تلك الفرصة". لقد كان كوين هو من يسأل جاك شيئاً، سيعود بالفائدة على كل منهما، وليس على جاك فقط. كانت

رحلة سينطلقان بها معاً إلى غاية غير معروفة. وسأله كوين: "هل ستفعل ذلك؟"، وأومأ جاك ببطء وجفف وجهه بيده.

ابتسم جاك وقال: "هل تمزح؟"، وكان تعبيره الدال على الابتهاج الشديد معكوساً في عيني كوين. كان جاك قد أراد حضور برنامج تعليمي طوال حياته، ولكنه كان خجلاً جداً من الإقدام على ذلك. ولكنه لم يشعر الآن بأن هناك ما يدعو للخجل أبداً، إذا تعلّم القراءة مع كوين. كل ما أحس به كان الفخر. وقال وقد أشرق وجهه: "متى نبدأ؟".

قال كوين بهدوء: "الآن"، وسحب الجريدة باتجاهه، وسحب كرسياً للوراء كي يستطيع الجلوس بجانب جاك. وطمأنه قائلاً: "حينما ننتهي من هذا العمل، ستقرأ أفضل من أي شخص أعرفه. وإذا استغرق هذا وقتاً أطول من عملك هنا، فلا بأس أيضاً. كان هناك داعٍ لما أخبرتني به الليلة الماضية، لكل منا. والآن، دعنا نرى ما يمكننا فعله". ابتسم جاك لأستاذه، وصبّ كوين فنجان قهوة لكل منهما، وجلس مرة أخرى. لقد بدأت الدروس.

6

مضت دروس القراءة على نحوٍ جيد في الأسابيع القليلة الأولى. أمضى جاك نهار أيامه يعمل على ما يجب إصلاحه في المنزل، ولمدة ساعتين بعد ذلك، وأحياناً أكثر، كان يجلس هو وكوين في المطبخ ويمضيان في طريقهما ببطء ومشقة عبر الصحيفة. وفي النهاية، استخدم كوين كتاب إبحاره القديم ككتاب تعليم، ما إن أصبح جاك أكثر ارتياحاً. كان قد مضى عليهما شهر كامل وهما في مهمتهما تلك، عندما شاركه كوين في واحدة من قصائد جين الجميلة السهلة. كان نصراً عندما استطاع جاك، ليس فقط أن يفهم معناها، وإنما أن يقرأها ببطء وسلاسة بصوت مرتفع. وعندما فعل ذلك، نظر إلى كوين بذهول.

قال بلطف: "إنها جميلة. لا بد أنها كانت امرأة بحق"، وكان لا يزال متأثراً بما قرأه، ومبتهجاً بشدة لكونه استطاع أن يقرأه أساساً.

رد كوين بحزن: "لقد كانت بالفعل. لم أكن دوماً أعرف ذلك عنها. اكتشفت حقيقتها في الشهور الأخيرة فقط التي قضيناها معاً. لا أظن بأني قد عرفتها فعلاً قبل ذلك". كان قد عرف عنها المزيد من خلال قصائدها ويومياتها عندما ماتت، والمأساة أنه لست وثلاثين سنة قبل ذلك، بالكاد كان يعرفها، ولمعظم الوقت كان لا يبالي بها أو يتجاهلها. كان اعترافاً استطاع مؤخراً فقط أن يتقبله عن نفسه، ولم يكن اعترافاً يفخر به.

قال جاك بهدوء: "تبدو جميلة في الصور الفوتوغرافية". كانت امرأة رقيقة ضعيفة، ولكنها كانت تمتلك قوة أكثر بكثير مما قد يحسبه الآخرون، وخاصة زوجها. كما أن روحها كانت وديعة وحلوة الشمائل حتى الصميم.

أقرّ كوين: "كانت جميلة حقاً". كان من السهل على جاك الآن أن يرى مدى حب كوين لها. وأضاف بنظرة حزينة وهما ينهيان الدرس: "كانت امرأة مدهشة".

كان جاك يتقدم على نحوٍ مثير للإعجاب، وكان كوين يمنحه شيئاً حلم به دوماً. بطريقة ما، كان إنعاماً عليه بالحرية، وبالتدريج كان كوين يساعده على قطع السلاسل التي كانت تقيده. لقد كان عجزه عن القراءة بمثابة حكم بالإعدام عليه، أو على الأقل بمثابة سجن انفرادي. كوين الآن هو من كان مسجوناً، أو على الأقل محكوماً عليه بوحدته وانهامه المضاد لنفسه إلى الأبد. كان لا يزال يرى في منامه ذلك الحلم المتكرر، ولكن بدرجةٍ أقل منذ أن بدأ بمساعدة جاك على القراءة. وكلما كان فعلُ شيءٍ لإنسان آخر يساعده في التخفيف من ذنبه.

كان الوقت في أواخر شباط، وكانا ينهيان درسهما يوم سبت، عندما أتى جاك على ذكر جارة كوين، ماغي دارتمان. كان لا يزال يعمل لها أيام الآحاد، ويصلح ببطء المنزل الذي كان في وضعٍ يحتاج إلى ترميم عند شرائها له. ولكن في كل مرة كان يعمل فيها لأجلها كانت تستوقفه مدى وحدتها. كان منزلها مليئاً بالصور الفوتوغرافية لابنها الذي توفي. كانت قد أخبرت جاك بأن الصبي قد انتحر بعد يومين من ذكرى ميلاده السادسة عشرة. لم تشرح أبداً السبب، وكان واضحاً لجاك بعد مضي هذا الوقت بأنه لم يكن هناك أي رجل في حياتها. كان بمقدور أي رجلٍ مقيم أن يقوم بما كان ينجزه من عملٍ لها لو كان هناك من يساعدها. كانت قد أخبرته مرة بأنها كانت معلمة مدرسة، وأخبرته أيضاً أنها انقطعت عن العمل منذ عام ونصف أي منذ أن توفي ابنها.

كان كوين وجاك قد اتخذا عادة غير رسمية في تناول العشاء معاً في ليالي الجمعة بعد أن ينتهيا من درس القراءة. كان كوين يطهو، وجاك يجلب الشراب، وكانت فرصة ليتعرفا فيها على بعضهما البعض بشكل أفضل. أحياناً، كانت العلاقة بينهما تتخذ شكل الصداقة بين رجلين، وأحياناً أخرى، كان كوين يتخذ موقفاً أبوياً تجاه جاك. كان جاك مفتوناً بإنجازات كوين. فقد

كان كوين قد نشأ في مزرعة في ميدويست، ودخل الجامعة بمنحة دراسية في هارفرد. ومن هناك تقدم بسرعة في نجاحه الهائل. وقد آمنت به جين منذ اللحظة التي التقته فيها. كانت معه قبل أن يحرز قرشاً من ثروته، ولم تشك بقدراته لدقيقة واحدة. أثاه النجاح باكراً، وولّد المزيد من النجاح. لقد أحرز مليونه الأول قبل أن يبلغ الخامسة والعشرين. كان لديه لمسة ميداس كما يقولون في عالم المال، وبالنسبة لمن لا يعرف مبادئ هذا العلم، فقد بدا أنه لم يقم أبداً بأية صفقة خاسرة في حياته. ولكن الحقيقة أنه عندما كان يفعل، كان يتدبر أن يحولها لشيء أفضل. كان يعرف دائماً بالغريزة متى يبدأ بداية جديدة بدلاً من الاستمرار بخطة عادت عليه بالخسارة سابقاً. كان بطريقته الخاصة عبقرياً، ولكن من كل ما كان بوسع جاك أن يراه، فإن النجاح لم يحقق له السعادة. كان هناك رجال قلائل بمدى تعاسة ووحدة كوين ثومبسون.

إن جل ما أراده كوين الآن كان أن يصبح أكثر انعزالاً، وذلك بمجرد أن يجهز سفينته الجديدة. كان يتكلم عنها لجاك، كما يتكلم عن امرأة يحبها وينتظرها. كانت السفينة هي كل ما يحلم به الآن. فبعد أن رحلت عنه جين بوفاتها، وما قاساه من علاقة معذبة مع ابنته، كانت السفينة التي يتم بناؤها له في هولندا بمثابة رفيقة لا تشكّل تهديداً، ولا يمكنها أن تعذبه أو تلومه، والتي لا يستطيع هو بدوره أن يخيب أملها أو يؤذيها. البقاء وحيداً على تلك السفينة، منعزلاً عن العالم، سيشعره بارتياح عظيم. وبينما كان ينتظر إتمامها، كان يساعد جاك على تحقيق أحلامه.

كان هناك الكثير بشأن الصداقة التي كان يعزها كلاهما. وبينما كان جاك يتعرف على كوين بشكلٍ أفضل، كان في نفس الوقت وخلال زياراته الأسبوعية، يصبح مولعاً بماغي إلى حدٍّ كبير. كان هناك شيء لطيف جداً وحساس بشأنها. كانت عادة ما تحضّر غداءً لجاك أيام الآحاد أثناء عمله عندها. ومثل كوين، وربما لأسباب مشابهة، بدت وحيدة للغاية. نادراً ما كان يراها تذهب لأي مكان. كانت دائماً في منزلها تقرأ أو تكتب أو فقط تجلس

وتفكر. كان يرى وجهها كلما مرّت أمام إحدى صور ابنها، وكانت النظرة في عينيها تمزق قلب جاك.

وأخيراً قال جاك لكوين مقترحاً: "يجدر بك دعوتها إلى هنا في وقتٍ ما، إنها امرأة لطيفة، وأحسب أنك ستحبها".

بدا كوين على الفور منزعجاً للاقتراح وقال: "لست مهتماً بلقاء النساء، كانت لديّ أفضلهن، ولا أعتزم التعرف على أي منهن. سيكون ذلك عدم احترام لجين وخيانة لذكراها". كان كوين يعرف بالفعل أنه لن يسيء لذكراها، لقد أدى ما يكفي من الناس في عمرٍ واحد ولا رغبة لديه في أذية المزيد. ولكن جاك كان سريعاً في تفسير اقتراحه وقد فاجأته مدى حساسية كوين.

قال جاك مصحّحاً الانطباع الذي أحدثه كلامه في كوين: "لم أعنِ ذلك يا كوين. إنها إنسانة لطيفة، وقد مرتْ عليها بعض الظروف القاسية. أنا لا أعرف كل التفاصيل، ولكن فقدان ولد سيكون كافياً لدفن معظم الناس. لا أظن أنها ترى أحداً، وهي لا تذهب أبداً لأي مكان، وهاتفها لا يرن. لا أرى أبداً أصدقاء يأتون لزيارتها. ربما سيكون جميلاً أن ندعوها أحياناً للعشاء يوم الجمعة. إن لديها حساً لطيفاً، وسيكون ذلك بمثابة معروفٍ منك. هي أيضاً لا تبدو راغبة في لقاء أي إنسان". فمن خلال ما حدّثته به، استطاع جاك أن يخمّن حالتها الذهنية على نحوٍ دقيق. كانت تعيش مع ذكرياتها وأساها تماماً مثل كوين.

بدا كوين مندهشاً وقال: "حسبت أنها متزوجة. افترضت أن لديها زوجاً متغيّباً في سفرٍ لأجل أشغاله".

"وهذا ما حسبته أنا أيضاً في البداية. فقد بدت كذلك، كما أنه منزلٌ كبير لامرأة وحيدة. لا بد أن لديها بعض المال. لا أعرف إن كانت أرملة أو مطلّقة، ولكن مهما كانت فهي وحيدة في ذلك المنزل يوماً بعد يوم. ربما توفي زوجها أيضاً، وترك لها بعض المال". كان المنزل مكيفاً، ولا يمكن أن يكون رخيصاً عندما اشترته رغم الحالة الرديئة التي كان فيها، وبدا أنها حذرة حول مقدار

المال الذي تنفقه لإصلاحه، فهي دائماً تتناقش مع جاك حول مدى ما ستكلّفها الأشياء. وأضاف جاك: "أنا لا أعرف قصتها يا كوين، ولكن مهما كانت، فأنا لا أحسب بأنها قصة سعيدة. أعتقد بأنك ستكون سميراً جيداً إذا دعوتها لتناول العشاء معنا، في أحد أيام الجمعة بعد العمل".

قال كوين بغموض: "نعم، ربما". ولكن بعد أسبوعين من ذلك وعندما أخرج لحم عجل مشوي هائلاً من الفرن، نظر إليه جاك بفزع وقال: "حتى أنا لا يمكنني التهام كل هذا، إنها لجريمة أن نهدره". فبدلاً من أن يتقلص حجمه، بدا أن اللحم المشوي، ولأول مرة، قد تضاعف حجمه عندما وضعه كوين في الفرن. وتبيّن أنه أكبر بكثير مما توقع، وكان تجربةً في حجم الأشياء. كانت أكبر وجبة حضّرها منذ أن بدأا بتناول العشاء معاً أيام الجمعة. وأضاف جاك: "هل تريدني أن أتصل بجارتي وأدعوها للقدوم؟". تردد كوين وهو يبدو أقل حماساً لذلك ومن ثم وافق على مضض، بدا أن جاك كان مصمماً على اجتماعهما فيما، وقد بدأ كوين يتساءل إن كان لجاك اهتمام عاطفي بها.

"حسناً، أفترض أن لا ضرر من ذلك. أخبرها بأنها فكرتك. لا أريدها أن تفكر بأني ألاحقها أو لدي رغبة بها أو أن هذه حيلة لتقدّم أنفسنا إليها. قل لها بأني ناسك عجوز كريه الطبع لديه لحم عجل مشوي كبير الحجم وأود أن تشاركنا فيه". ضحك جاك عندما ذهب إلى الهاتف واتصل بها. بدا من صوتها أنها أجفلت، وكانت مترددة بقدر تردد كوين. وسألت جاك بصراحة فيما إن كانت هذه مكيدة ما، لأنها إن كانت كذلك فلن تأتي. ولكنه طمأنها بأنه ليس إلا عشاء ليلة جمعة يتشاطره ثلاثة أصدقاء، إثنان منهما جيران. وأخيراً، وافقت على المجيء، ودقّت جرس كوين بعد ذلك بعشر دقائق، وقد حمل وجهها تعبيراً حذراً.

وعندما فتح لها كوين الباب، أذهله كم بدت أصغر حجماً مما كان يتذكر. كانا قد تحدثا مع بعضهما من فوق سياج الشجيرات الخاص بكل منهما، ولكنها الآن تقف عند عتبة الباب، لم تبدُ ضعيفة فقط، ولكن صغيرة الحجم أيضاً.

وكان هناك شيء في عينيها أعطى انطباعاً لكوين بأنها كانت خائفة وحزينة أيضاً. وهذا ما جعله أكثر من أي شيء آخر راغباً في طمأنتها. كان بوسعه أن يرى الآن سبب إحساس جاك بالأسف من أجلها. لقد بدت كامرأة بحاجة للحماية، أو على الأقل بحاجة لصديق.

خطا جانباً، ودعاها للدخول، وتبعته بهدوء إلى المطبخ حيث كان جاك يقطّع لحم العجل المشوي إلى شرائح. أشرق وجهها بوضوح في اللحظة التي شاهدته فيها، وقد جعلتها الابتسامة التي أضاءت وجهها تبدو أصغر سناً على الفور. استرخى كوين في اللحظة التي جلسوا فيها، وناول كلاً منهم طبقاً، وملأ كؤوسهم بالشراب.

وبعد أن شكرت كوين لدعوته لها للانضمام إليهما، سألت بارتياح: "كيف تسير الدروس؟". كان جاك قد اعترف لها بما كانا يفعلانه كل يوم بعد انتهاء العمل، وأخبرها بمدى امتنانه لكوين، وقد قالت سامحي إنه لا بد أن يكون رجلاً لطيفاً.

قال جاك وهو يبتسم لها: "إنها تأتي بنتيجة، ببطء، ولكن على نحوٍ مؤكد". ولكن الحقيقة أنه كان يتقدم بشكلٍ جيد، فقد كان بمقدوره الآن أن يقرأ بوضوح، رغم أنه كان يفعل ذلك ببطء شديد، وبعض الكلمات كانت لا تزال تربكه. كان الآن قد استوعب جميع المصطلحات المتعلقة بالإبحار، ولكنه كان متلهفاً للانتقال إلى مفاهيم أوسع. كان كوين تواقاً بشدة لأن يعلّمه عن الإبحار بالإضافة إلى القراءة، حيث أراد أن يشاركه جاك في ذلك، لأن الإبحار كان شغفه الخاص. كما أن جاك كان يزداد توقاً لقراءة كتبٍ أخرى أيضاً. كان كوين قد شاركه في كثير من قصائد جون التي أثرت بجاك بعمق، حيث كانت جميلة ونابعة من القلب.

قال كوين بفخر: "إنه تلميذ نجيب"، وبدا جاك محرجاً قليلاً. وأضاف كوين موجهاً حديثه لسامحي، وهو يقدم الحلوى، ويحضّر القهوة: "أخبرني جاك بأنك معلّمة".

ردت بعفوية: "كنت كذلك"، وشعرت بأنها مستمتعة بصحبتهما أكثر مما توقعت. كانوا مجموعة متنافرة، جمعتهم الجيرة، والظروف، والنوايا الحسنة. وأضافت: "لم أمارس التعليم منذ سنتين تقريباً". وبدت حزينة بعض الشيء وهي تقول ذلك.

سأل كوين باهتمام: "ماذا علّمتِ؟". كان بإمكانه أن يتخيلها بسهولة وهي محاطة بأطفال صغار جداً، ربما في عمر الحضانة.

قالت وقد فاجأته: "الفيزياء للمرحلة الثانوية. المادة التي يكرهها الجميع، أو الحقيقة أنهم لم يكرهوا كذلك. فمعظم تلامذتي كانوا موهوبين إلى حدٍّ ما، ولم يستجيبوا للفيزياء إلا إذا كانت لديهم مهارة فيها، وإلا فإنهم يؤثرون الأحياء أو الرياضيات أو العلوم المتكاملة. وقد تابع معظم طلابي وتخصصوا في الفيزياء في الجامعة".

"هذا يعني أنك قمت بعمل جيد معهم. كنت دوماً أحب الفيزياء في الجامعة، ولكنني لم أتجه إليها أبداً في المدرسة الثانوية"، ثم سألها بشكلٍ عرضي: "ما الذي جعلك تتوقفين؟"، وأذهلته إجابتها وأحزنته.

أجابت بصدق: "توفي ابني، وتوقف كل شيء بعد ذلك شيئاً فشيئاً". لم يكن هناك أي خداع بشأنها، وهو ما أعجب كوين. وأضافت: "انتحر قبل تسعة عشر شهراً". كان بإمكانها أن تخبرهما بعدد الأيام أو الأسابيع، ولكنها لم تعد تفعل ذلك. لقد كرهت حقيقة أنه قد مضت أشهر على وفاة ابنها وقريباً ستكون سنوات. كان الزمن يُحدث بينهما ببطء مسافة لا يمكن السيطرة عليها. لم يكن بوسعها أن تتحكّم بذلك، تماماً كما لم تكن قادرة على التحكم بأفعاله في النهاية. وأكملت: "كان يعاني من اكتئاب حاد. لا ينتحر معظم الأولاد الذين يعانون من الاكتئاب، حتى لو فكروا بتنفيذه. عادة ما يقوم بذلك الأولاد الأكثر ثنائية في ذهنيتهم. ولكن أندرو لم يستطع أن ينتزع نفسه منه. وقد فقد قبضته إلى حدٍّ كبير عندما دخل المدرسة الثانوية. لم أقوَ على العودة ثانية إلى المدرسة عندما توفي، وقد أعطوني في المدرسة إجازة رحيمة لأخضع لبعض الجلسات

الاستشارية لتساعدني على الخروج من حالة الحزن والأسى. ولكن بعد خضوعي لها، أدركت بأني لست مستعدة للعودة، ولست واثقة إن كنت قادرة على ذلك أبداً". ولكن آجلاً أو عاجلاً، كانت تعرف بأن عليها أن تشتغل بعملٍ ما، إن لم يكن التدريس.

سأل كوين بهدوء: "ماذا تفعلين الآن بدلاً من التدريس؟".

تنهدت ماغي قبل أن تجيب: "بدأت بجلسات استشارية مع آباء وأمهات بمثل حالتي. لست واثقة إن كنت ذات نفعٍ كبير لهم، ولكني كنت متواجدة على الأقل. كما أني أعمل على خط هاتفي للمراهقين، متوفر دوماً للطوارئ، وذلك لثلاث ليالٍ في الأسبوع. وأنا أفعل ذلك في البيت حيث يتم إيصالهم هاتفياً بي في المنزل. لست واثقة إن كان هذا أمراً جيداً أو لا، ولكني أشعر على الأقل بأني أقوم بشيء لمساعدة أحدهم، بدلاً من الجلوس في البيت فقط ورثاء نفسي".

تساءل كوين إن كان ذلك يُبقي على جرحها مفتوحاً، ولكنها، وبالرغم من نظرة الأسى في عينيها، بدت شخصاً متوازناً إلى حدٍ كبير. وتساءل أين كان زوجها، ولكنه لم يرغب في سؤالها. وبعد وقت قصير تطوعت هي من تلقاء نفسها بهذه المعلومة.

"ربما كنت لأعود إلى عملي مرة أخرى بعد مضي هذه الفترة، ولكن موت أندرو كان سبباً في تقييد زواجي نوعاً ما. أحسب بأني وزوجي قد لمنا بعضنا بعضاً لما لم نستطع تغييره أو إيقافه. كانت الأمور متزعزعة بيننا لفترة، وفي السنة التي تلت وفاة أندرو انهار الزواج كلياً. هجر زوجي البيت بعد يومين من الذكرى السنوية الأولى لوفاة أندرو. وأصبح طلاقنا نهائياً في الأسبوع الذي تلا ذكرى الميلاد". قالت ذلك بصوتٍ جدّي على نحو غريب، بينما أدرك كوين بأن ذلك كان عندما لقيها لأول مرة، وبعد ذلك بلحظة، أكدت هي ما كان يفكّر فيه حيث تابعت قائلة: "وصلتني أوراق الطلاق بالبريد في اليوم الذي ضربت فيه العاصفة ليلة السنة الجديدة. بدا وكأن العاصفة كانت

خاتمة ملائمة لكل شيء". وأضافت معتذرة: "لا بد أني بدوت كشخص مجنون في ذلك اليوم عندما تحدثت إليك. لست واثقة حتى إن كان كلامي مترابطاً ومنطقياً. كنت منزعجة للغاية".

قال كوين مطمئناً: "بدوت طبيعية بالنسبة لي"، وقد تذكرها، وهي تقف تحت المطر المتساقط بدون معطف واقٍ أو مظلة. كان هناك شيء مكدر للغاية في وجهها عندما أخبرته حينها بأن لديها شلالات نياغرا في مطبخها. والآن لقد فهم الأمر بشكلٍ أفضل. بدا أنه لم يكن هنالك داعٍ لتخفي ما كانت تشعر به حينها، وقد شك بأن شعورها الآن كان أفضل. أفضل إلى حدٍ جعلها تأتي لتتناول العشاء على الأقل، وأحس فجأة بالسرور لأن جاك ألحّ عليه لدعوتها. وأكثر من أي شيء آخر، كانت هذه المرأة بحاجة إلى أصدقاء لتسليتها. كانوا كثلاثة أرواح في قارب نجاة، وفي هذه اللحظة كان كوين يجدف. وقرر فجأة أن يجعلها تشاركه في شيء، إن لم يكن لشيء، فقط من أجل أن يدعها تعرف بأنها لم تكن وحيدة في ألمها المبرح، وستنجو منه.

وأفضى لها بخبيئة نفسه: "مات ابني قبل ثلاث وعشرين سنة في حادث سيارة". قال ذلك وقد وضع شوكته جانباً ونظر إليها عبر الطاولة بينما كان جاك يراقبهما. لم يكن قد سمع ذلك من كوين أبداً، وتأثر بعمق بما أباح به. كانت أليكس هي الابنة الوحيدة التي ذكرها كوين له، وأخبره بأنها في جنيف. وأضاف كوين: "كان في الثالثة عشرة، وأحسب أني أدركت مؤخراً فقط كم غيّر ذلك كلاً منا بعمق. فقد انهمكت بعملي على نحوٍ أعمق، بينما باتت زوجتي منطوية أكثر على نفسها، وبقيت على هذا النحو. كلانا كان مصدوماً، ولكنني عندما قرأت يومياتها بعد وفاتها، فهمت بشكلٍ أفضل كم غيّرنا ذلك للغاية، ولكنني كنت مشغولاً حينها وربما فقد أحس تجاهها. أنا واثق بأني لم أكن ذا نفعٍ كبير لها. كان الأمر مؤلماً جداً بالنسبة لي لأتحدث عنه، ولهذا نادراً ما فعلت إن لم يكن أبداً. لقد كتبتْ بضع قصص جميلة عنه". ترقرقت عيناه بالدموع وهو يتكلم، ولم يعترف لها بأنه قد أجبر جين على وضع أغراض

توزع بعضها بعد وفاته بأسابيع قليلة. والقليل منها الذي لم تضعه في صناديق، لتخفيه عن عيني كوين في خزانتها. بطريقة ما، لقد أجبرها على فعل ذلك، والآن وقد فهم ما عناه ذلك بالنسبة إليها، فقد ندم بعمق على ما قاله وفعله. لقد حسب بأنه كان يقوم بالفعل الصحيح لأجلها، ولأجله، وأيضاً لأجل أليكس، ولكنه عرف الآن بأنه كان مخطئاً. لقد عرف الكثير جداً عنها وعن نفسه في الأشهر التي تلت وفاتها.

قالت ماغي وهي تنظر إلى كوين: "من المؤلم أن يمرّ الزواج بشيء كهذا"، واغرورقت عيناها عينيه كمعقاب، وكأنما تسائله ألف سؤال. أرادت أن تسأله كيف نجا منه أو كيف فعلت زوجته. كانت لا تزال تلوم نفسها لما آل إليه زواجها.

لقد أحست دوماً بأن زوجها لم يتعاطف وجدانياً مع اكتئاب ابنه بالقدر الكافي، وربما دون علم منه، كان ذلك سبباً لتفاقم شعور أندرو باليأس. ومن أجل ذلك، لم تغفر لتشارلز أبداً، واعتبرته مسؤولاً عن موت أندرو، وقد عرف هو ذلك سواء أنطقت به أم لا. وهو بدوره شعر بأنها كان يجب أن تملك القدرة على إيقافه. كانت سنتهما الأخيرة معاً سنة من الاتهام الصامت القاسي إلى حين لم يستطعا أن يحتملا بعضهما أكثر من ذلك. ومهما كان ما فعلاه لبعضهما أو لنفسيهما، فلا شيء سيعيد ابنهما للحياة. ورغم أنها كانت مزعزعة عندما غادرها تشارلز، إلا أنها شعرت بأنه قد اتخذ القرار الصائب لكل منهما. وفي النهاية، أصبح زواجهما ميتاً كابنهما. لقد أعطاها تشارلز أفضل تسوية يستطيعها، وذلك على هيئة منزل دفع لها ثمن شرائه، لتهرب من ذاك الذي مات فيه ابنهما، كما منحها مالاً كافياً لتعيش منه للسنوات القليلة المقبلة. في النهاية ستضطر أن تعود ثانية للتدريس، ولكنها في الوقت الراهن كانت لا تزال تختبئ كما كان يفعل كوين. وقد فهم هو هذا عنها، حيث أحاطت نفسها بشرنقة لتحمي نفسها من وقائع وضربات الحياة. كانت تحتاج إلى وقت لتشفى، وقد أعطت نفسها الوقت لفعل ذلك، وهو ما بدا منطقياً بالنسبة لها، ولكنها

عندما لا تكون منشغلة بالكلام أو حتى عندما تكون كذلك أحياناً، فإن عينيها كانتا تبدوان حزينتين بالنسبة لكوين.

قال كوين برقّة: "لقد عانيتِ من جروح كثيرة"، وأومأت موافقة. لم تكن بحاجة لإنكار ذلك، كما لم ترغب في أن تصوّر نفسها كضحية. وبالرغم من الجروح التي عانت منها، فقد كان لدى كوين إحساس بأنها كانت قوية وشجاعة في نفس الوقت.

قالت بتعقّل: "هناك الكثير من الناس ممن عانوا من جروح كثيرة، والعمل الاستشاري الذي أمارسه يذكّرني بذلك دوماً. الانتحار هو ثاني أكبر قاتل للأولاد في هذا البلد، وأمامنا طريق طويل لنسلكه قبل أن يفهم هذا معظم الناس. لقد حاول أندرو الانتحار مرتين قبل محاولته الأخيرة".

قال كوين بصوتٍ متعاطف ومهتم: "هل كان يخضع لعلاج؟".

"أحياناً. ولكنه لم يكن على استعداد دوماً للاستمرار فيه، وكان ماهراً جداً في التظاهر بتناوله، ومن ثم لا. لم يكن يحب الطريقة التي يجعله يشعر بها، فقد كان إما قلقاً أو بليداً للغاية. أسمع الكثير من هذا على خط الطوارئ الدائم".

أعجب كوين بالعمل التطوعي الذي كانت تقوم به. كانت امرأة لطيفة، وكان من السهل أن يرى لماذا أحبها جاك. كانت صريحة، وصادقة، وغير خائفة من إظهار مواضع ضعفها. كما أن الحديث إليها ذكّر كوين بأن هناك آخرين يعانون بمقدار معاناته. ومن ثم أخبرها عن جين، وعن السنوات التي انشغل فيها بكد وكثرة، وكان غائباً فيها عن البيت معظم الوقت، وأخبرها عن تقاعده، ومرضها المفاجئ، ومن ثم موتها.

"انتهى كل شيء بسرعة".

سألت ماغي بتعاطف: "كم مضى على ذلك؟".

"تسعة أشهر. لقد ماتت في حزيران، وسافرتُ للأشهر الخمسة الأولى، وعدت في تشرين الثاني. رجعت لأجل تسوية أمور المنزل وبيعه هذا الربيع".

سألت باهتمام: "وماذا ستفعل بعد ذلك؟". لقد لاحظت بأنه قد أثر العلاج الجغرافي، كما يطلقون عليه في الجلسات الاستشارية، ولم تُرِد أن تخبره بأن ذلك لن ينفع. ففي مرحلة معينة، وأينما كان، سيكون عليه أن يواجه حقيقة أنها رحلت، مهما كان قد خذلها أو شعر بأنه فعل، وسواء أكان ذلك صحيحاً أم لا. وأهم من ذلك كله، فإن عليه أن يغفر لنفسه، كما كان عليها هي أن تغفر لنفسها وحتى تتشاركا مسؤوليتهما في موت أندرو. وما لم يستطع ذلك، فإن كوين لن يتخطى أبداً الألم الذي كان لا يزال يكتنفه.

شرح كوين قائلاً: "إنني أبني سفينة شراعية في هولندا"، ومن ثم أخبرها عن الشهور التي قضاها ذلك الخريف على متن السفينة الشراعية فكتوري، وقراره في شراء سفينة بوب رامزي وإكمالها، وأضاف: "سأبحر حول العالم لفترة، وربما للأبد". قال كوين ذلك وقد بدا عليه الارتياح، وكأنما كان واثقاً بأنه على ظهر تلك السفينة لن يكون مضطراً لمواجهة ما يعتصر نفسه من آلام. كان بإمكانها أن تخبره خلاف ذلك، ولكنها لم تفعل. كانت تعرف أفضل منه. ولكن السفينة التي وصفها لها أثبتت خيالها وابتسمت بابتهاج.

قالت ماغي: "يبدو أنها سفينة جميلة"، وبدت معجبة بها إلى ما يقارب الحسد.

بدا كوين متفاجئاً وقال: "هل تبحرين؟".

"كنت معتادة على ذلك. لقد نشأت في بوسطن، وكنت أقضي شهور الصيف في رأس كُد. كنت أحب الإبحار وأنا طفلة، لكنني لم أبحر منذ سنوات. كان زوجي يكره السفن وأندرو لم يحبها كثيراً. لقد مضى على ذلك زمن طويل".

"جين وابنتي لم تحبا الإبحار أيضاً، وخاصة بعد وفاة دوغ. كان لدي سفينة قبل سنوات، لدى انتقالنا إلى هنا، ولكنني كنت مشغولاً جداً لأستعملها، وقد بعتها في السنة التي تلت وفاة دوغ. ستكون هذه فرصة نادرة أطلق فيها العنان لشغفي". وابتسم لكليهما. كان جاك يستمتع بتبادل الحديث بينهما، وكان

مسروراً لأنه شجع كوين على دعوة ماغي للعشاء. فأكثر مما كانا يعرفانه عنها، أو حتى مما كان يعرفه هو، كان لديهما الكثير من الأشياء المشتركة، وكان كلاهما بحاجة إلى صحبة وصداقة. كان كلاهما يمضي وقتاً طويلاً لوحده ولديه الكثير من الذكريات المؤلمة ليمعن النظر فيها. وليلة كهذه عادت بالنفع على كلٍّ منهما.

شاركته ماغي ممازحة: "إنه لشغف كبير أن يكون للمرء سفينة بطول مئة وثمانين قدماً". وأضافت وعيناها ترقصان: "لا بد أن ذلك مثير جداً".

"إنه كذلك وسيكون كذلك. سيتم الانتهاء من بنائها في أيلول". وعرض أن يطلعهما على التصاميم، واتكآ فوقها وهما جالسان إلى الطاولة بينما كان جاك يرفع الصحون، ومن ثم عاد إلى الطاولة، وانضم إليهما. كانت أمسية لطيفة على وجه التحديد، ولدهشة كوين، فإن عشاء ليلة الجمعة كان حتى أكثر مسرة باجتماع ثلاثة أشخاص. لقد أضافت له ماغي شيئاً بكل تأكيد رغم اعترافاتها النابعة من القلب. ولكن بدا أن معنويات الجميع قد ارتفعت بينما كان كوين يصف السفينة بأدق تفاصيلها. وقد سألت ماغي جميع الأسئلة الصحيحة. كانت على معرفة كبيرة بالسفن الشراعية، وكانت تعرف عن أهم البنائين والمهندسين البحريين والمصممين. وقد تركت معرفتها الواسعة انطباعاً قوياً لدى كوين. وبعد أن وضع التصاميم جانباً، اقترح جاك لعبة نرد الكذاب والتي كان عادة ما يلعبها مع كوين في نهاية أمسيات الجمعة. ضحكت ماغي للاقتراح وبدت مبتهجة.

قالت محذرة: "لم ألعب النرد منذ سنوات"، ولكنها تدبرت أن تهزم كل واحد منهما مرة على الأقل ومن ثم استلم كوين الدور. كان الخبير بينهم، وعادة ما كان يهزم جاك أيضاً. وعلى أية حال فقد أمضوا وقتاً رائعاً، وكان الوقت بعد منتصف الليل عندما غادرتهما ماغي أخيراً وذهبت للبيت. كان مقرراً، وفقاً لبرنامجها، أن تكون متوفرة على خط الطوارئ الدائم الساعة الواحدة صباحاً، وكانت في حالة معنوية جيدة إلى حدٍّ مدهش.

مكثت جاك لبضع دقائق فقط بعد مغادرتها. قال وهو يبتسم لكوين: "إنها امرأة لطيفة. لقد مرّت بأوقات صعبة. كان ابنها الوحيد. أخبرني الشاب الذي يقوم لها بأعمال الحديقة، بأنها تقدم له الطعام والمبيت مجاناً بالإضافة إلى راتبه". لم تكن قد أخبرتهما بذلك. وأضاف جاك: "لا يبدو زوجها رجلاً رائعاً لكي يتركها بعد كل هذا"، رغم أنها وصفته على نحوٍ خيّر. كانت امرأة جيدة، وجميلة، وكانت تستحق أن يكون هناك أحد بجانبها. كان من الصعب على جاك أن يتخيل المحنة التي مرّت بها.

قال كوين بحكمة: "عادة ما يفعل الناس أشياء بشعة لبعضهم البعض في ظروف كتلك. ربما كان بحاجة بجين أن تهجرني أيضاً. أشكر الله أنها لم تفعل. لم أراع حاجاتها بشكل جيد في ذلك الحين. كل ما كان بوسعي التفكير به هو كيف كان شعوري بعد فقداني لابني. حسبت بأني إذا لم أتحدث بالأمر، فإن الألم سيزول، ولكنه بدلاً من ذلك توغل في أعماقنا وأخذ يأكل فينا". ولكنه كان قد رأى بوضوح من يوميات جين بأنها تفهمت، ليس حزنها فقط، ولكن حزنه أيضاً، وقد تركته يحنّ على ابنه بالطريقة التي وجد نفسه بحاجة إليها. لقد حملت العبء الكامل لحزنها المتوحد على أكتافها، مثل ماغي عندما فقدت ابنها.

غادر جاك بعد بضع دقائق، وبقي كوين في مطبخه لفترة طويلة، وهو يعيد الأشياء إلى أماكنها، ويغسل الأطباق. وعندما صعد أخيراً إلى الطابق العلوي، شاهد النور مضاءً في مطبخ ماغي بينما كان ينظر من خلال نافذة غرفة نومه، وعرف أنها كانت تعمل على خط الهاتف، وتجيب على مكالمات المراهقين. كانت الأنوار لا تزال مضاءة عندما أوى إلى فراشه. تناول واحدة من يوميات جين، واستغرق في النوم وهو ممسك بها، ولكنه الليلة، ولأول مرة، شعر بسكينة أكثر وهو يفكر فيها. فمهما كان مقدار ما بلغه من حماقة وانعدام حسٍّ في الماضي، إلا أنه لعجب ما عرف أنها قد غفرت له بحق. أو ربما كان يعلم ذلك دوماً. ولكن الذي لم يعرفه وربما لن يعرفه أبداً، هو إن كان سيقدر على أن يغفر لنفسه.

7

بناءً على رغبة كوين، انضمت ماغي إليه وإلى جاك لتناول العشاء معهما ليلة الجمعة من الأسبوع التالي، وكانوا ثلاثتهم في حالة معنوية مرتفعة، وقد انقضى عليهم أسبوع جيد. تحدثوا عن السفينة، ولعبوا لعبة نرد الكذاب مرّة أخرى. وقد أحضرت معها كعكة شوكولاته كانت قد خبزتها من أجلهم. وخلال الشهر التالي، أصبحت أمسيات الجمعة التي جمعتهم معاً عادة مريحة وبداية سهلة لعطلة نهاية الأسبوع.

كانت قراءة جاك تسير على نحوٍ جيد، وكان يبذل لأجل ذلك جهداً كبيراً. كانت ماغي قد أحضرت لكوين بعض الكتب لتساعده على استعمال بعض التقنيات الممتازة في التعليم والتي ستكون مفيدة لجاك. وقد أراهما كوين التصاميم الأخيرة التي وصلته من هولندا، حيث كان العمل في السفينة يتقدم بسرعة البرق. كان الوقت حينها في شهر نيسان، وكان عمل جاك قد شارف على الانتهاء، وقد حاولا إطالته قدر المستطاع. كان كوين قد استدعى سمسار عقارات ليرى المنزل، وقد اقترح بضعة أشياء إضافية يمكن لكوين إنجازها ليروق المنزل للمشتري أكثر، وقد قرّر كوين أن يعرضه للبيع في أيار أو حزيران. لم يكن يريد أن يبيعه في وقت أبكر من ذلك، لأنه كان بحاجة إلى مكان ما ليسكن فيه إلى أن تجهز السفينة في أيلول. وقد شعر السمسار على نحوٍ واثق بأنه سيُباع بسرعة، وكان متلهفاً لوضعه على القائمة.

تحدث كوين مع ماغي وجاك بشأنه ليلة الجمعة، وكان قد أعطى جاك مسبقاً القائمة المشتملة على التحسينات الإضافية المقترحة من قِبل السمسار.

وفي هذه المرة كان بمقدوره أن يقرأها، وتبادل الرجلان ابتسامة بشأن ذلك. كان جاك في ذلك الحين يقرأ بسهولة.

في الأسبوع التالي، كانت هناك موجة حرّ، وتناول ثلاثتهم العشاء ليلة الجمعة في حديقة ماغي التي حضّرت طاولة نزهة وغطتها بغطاء أزرق، تناولوا دجاجاً محمراً وشطائر لحم البقر وسلطة بطاطا كان كوين قد أعدّها وأحضرها معه. تميّزت الأمسية بكل سمات نزهة الصيف. كانت ماغي ترتدي ثوباً كتانياً أبيض في هواء الليل الدافئ، ولأول مرة كان شعرها الطويل مسدلاً ومتدلياً على كتفيها. وخبر الأمسية الكبير كان إعلان جاك أنه التقى شابة لطيفة جداً في دار العبادة وقد مازحه الآخران بشأنها. قالت ماغي إنها سعيدة من أجله، واتهمها كوين بأنها رومانسية على نحو ميؤوس منه. كان جاك قد أتم حديثاً السادسة والثلاثين، وقد شعرت بأنه الوقت المناسب له ليجد إنسانة يحبها. والآن وقد أصبح يحسن القراءة، فليس لديه ما يخفيه أو يخجل منه. وقالت وهي تقدم الحلوى بأنها تأمل أنه سيتزوج وينجب أطفالاً.

"وماذا عنكِ؟". لقد قلب الموضوع عليها قلباً كاملاً بينما كانوا يخدمون أنفسهم في تناول البطيخ والكرز الطازج.

قالت وقد أعطت السؤال شيئاً من المصداقية: "لقد قمت بذلك بالفعل". كانت قد أتمت حديثاً الثانية والأربعين، وكانت مقتنعة بأن حياتها العاطفية قد أصبحت خلفها. لقد كانت زوجة لثمانية عشر عاماً قبل طلاقها، وقالت إن لا نية لديها في زواج آخر. كان موت ابنها، وهجرُ زوجها لها بمثابة علاج لها، أو هذا ما قالته. وزعمت بأنها قانعة بأن تعيش لوحدها للأبد.

وأشار جاك: "أنتِ أكبر مني بست سنوات فقط"، وضحك كوين وقال مقترحاً: "يجب أن تجتمعا أنتما الإثنان معاً". كان جاك قد فكّر بهذا بالفعل، ولكنه لم يرغب في إفساد صداقتهما، والآن لقد جذبه القدر في اتجاه مختلف مع الفتاة التي التقاها في دار العبادة.

قالت ماغي: "لا أظن ذلك"، وهي تضحك لاقتراح كوين بأن تقترن هي وجاك معاً. كانوا مجموعة ثلاثية محبة ومتفاهمة ولكن بدون شك غريبة. وقد شعر الثلاثة بالحزن لأن أمسيات الجمعة تلك ستتوقف في غضون بضعة أشهر. سيكون كوين بعيداً على متن سفينته في ذلك الحين، وجاك كان في طريقه للاقتران بامرأة، إن لم تكن هذه، فستكون أخرى بلا ريب. ومشروع ماغي الوحيد كان أن تعود للتدريس مجدداً في أيلول. كانت قد تكلمت حول هذا الموضوع عدة مرات مؤخراً. لم يكن لديها شيء آخر لتقوم به، ولا مكان لتذهب إليه، ولا أحد ترغب في البقاء معه. لقد أصبحت عزلتها شرنقة آمنة مريحة لتختبئ فيها، تماماً كما كانت بالنسبة لكوين. ولكن ماغي شعرت بأن عليها العودة للعمل.

ومساء يوم الجمعة التالي، فاجأهم كوين. كان الطقس لا يزال دافئاً، رغم أنه لم يكن بنفس دفء الأسبوع الذي سبقه. ولكن الأيام كانت ذات نهارات طويلة ومشمسة وبدا أن الصيف سيحلّ قريباً.

سأل ببراءة رغم أنه كان يعرف الجواب مسبقاً: "ماذا تفعلان غداً أنتما الإثنان؟". كان قد خطط للأمر، رغم أن الفكرة جاءته عفو الخاطر عندما ذهب لمشاهدة سباقٍ للسفن الشراعية ليل الأربعاء في نادي اليخوت.

ردّ جاك بارتياح: "أعمل لأجلك". كان قد خطط لموعد في تلك الليلة، وكان قد أخبر الفتاة التي كان يواعدها بأنه لن يكون متواجداً في أمسيات الجمعة، ولكنه لم يأتِ على ذكر كوين أو ماغي أو دروس القراءة. لم تكن تعرف شيئاً عن ذلك، وكان لا يزال يحسّ بأنه سيشعر بالإحراج إن هو أخبرها. كانت ماغي قد أخبرته قبل ذلك بأسابيع بأنه غير ملزم بإخبارها بأي شيء، فلم يكن ذلك من شأن أي كان، رغم أنها رأت في تعلّمه القراءة إنجازاً عظيماً من ناحيته، وأخبرته بأنه يجب أن يكون فخوراً بنفسه.

قالت ماغي بعفوية: "فكرت بأن أقوم ببعض أعمال التنظيف في حديقتي غداً". كانوا يتناولون العشاء في مطبخ كوين كما كان شأنهم في

معظم الأحيان. كان أفضل طاهٍ في المجموعة كما كانت لديه أكثر الأدوات. نادراً ما كانت ماغي تطهو، وكانت تعيش على الفاكهة والسلطات. وقد اعترفت مرة لكليهما بأنها لم تطهُ منذ وفاة ابنها، ولا تريد ذلك. كانت فكرة الطهو لأي شخص تعيد لها ذكريات كثيرة تتعلق بكل ما فقدته وما كانت عليه حياتها في الماضي. وقد فضّل جميعهم طهو كوين وقال هو إنه يستمتع به على أية حال.

قال كوين وقد بدا على وجهه تعبيرٌ غامض: "لدي فكرة أفضل. أريدكما هنا أنتما الاثنان وبكامل أناقتكما غداً الساعة التاسعة صباحاً. انتعلا حذاءً خفيفاً"، قال ذلك بغموض وضحكت ماغي ورفعت حاجبيها. كانت امرأة جميلة الطلة بالرغم مما بدا من عدم ملاحظة كوين لهذا. كانت قد أصبحت كأختٍ صغيرة له وأخت كبيرة لجاك. وقد أصبحوا بمثابة العائلة بالنسبة لبعضهم البعض. كان ذلك ما هم بحاجة إليه أكثر من أي شيء آخر.

وقالت في محاولةٍ منها لتخمين ما سيفعلونه: "لو لم أكن أعرف أفضل يا سيد تومبسون، فسأحسب أنك ستأخذنا في رحلة بحرية"، وضحك لها قائلاً: "إن سفينتي في هولندا، وتلك مسافة طويلة لنقطعها من أجل أن نبحر. فقط تعالي بحذاء خفيف ولا تكثري من الأسئلة".

سأل جاك وقد بدا قلقاً: "هل أنت واثق بأنك لا تريدني أن أنهي تلك الدرازين في الطابق العلوي؟".

طمأنه كوين قائلاً: "بإمكان هذا أن ينتظر". بدا مسروراً بنفسه إلى حدٍّ كبير بينما بدت ماغي قلقة. قالت: "أرجو أن لا نكون ذاهبين في نزهة طويلة على الأقدام في الريف. فأنا كسولة جداً وغير لائقة بدنياً. لقد رميت جزمة التجوال الشتاء الماضي، وأقسمت أن لا أفعل ذلك مرة أخرى أبداً".

ردّ كوين بلطف: "ثقي بي فقط". وفي تلك الليلة هزمته في لعبة نرد الكذاب، وذهبت إلى البيت منتصرة لتعمل على خط الطوارئ الدائم حتى الساعة الثالثة صباحاً.

في الصباح التالي، رنّت جرس الباب عند الساعة التاسعة تماماً، وهي ترتدي جينزاً وكنزة قديمة ومعطفاً بقلنسوة. كان الصباح بارداً كثير النسمات، ولكنه مشمس بروعة. لم يكن هناك ما يدل على وجود ضباب في الخليج، وكان كوين وجاك يشربان القهوة. وقد لاحظت عندما فتح لها الباب، أن كوين كان يرتدي جينزاً، وكنزة ثقيلة، ومعطفاً خفيفاً، وحذاء سفن.

قالت مستفهمة وهي تشير بيدها: "لقد قلتَ حذاءً خفيفاً". كانت قد انتعلت حذاءً قماشياً أحمر زاهياً، كما أمرهما أن يفعلا، وكنزة حمراء تتلاءم معه، وكانت عيناها ترقصان بالتوقّع. أضافت: "أريد أن أعرف إلى أين نحن ذاهبون؟".

قال كوين معاتباً: "كل شيء في وقته يا عزيزتي. لا تكوني فضولية". كانا قد بلغا مرحلة الأخت والأخ في تعاملهما مع بعضهما.

"أشعر وكأنما يتم اختطافي". قالت ذلك بينما انضمت إليهما في المطبخ، وأخذت في تحضير فنجان قهوة لنفسها.

كانت أمسيات الجمعة التي يقضونها معاً قد جعلتهم يشعرون براحة قصوى وهم بصحبة بعضهم البعض. لم تهتم ماغي أبداً لأن تظهر بأحسن ملابسها، أو أن تتزين عندما تكون معهما. كان شعرها الطويل الداكن أملس يتلألأ في الضفيرة التي عقدته بها، وقد أحبه كوين عندما كانت تتركه مسدلاً، ولكنه لم يقل ذلك لها أبداً. والآن بينما كان ينظر إليها وجد نفسه يتساءل كيف ستبدو مع أحمر شفاه وهو ما لم تتعب نفسها أبداً بوضعه. لم تكن تحاول أن تغوي أياً منهما، وما كان ذلك حتى ليخطر في بالها.

بعد ذلك بوقتٍ قصير تكوموا في سيارة كوين "السفيشن"، وعلّقت ماغي بأنها المرة الأولى التي يذهبون فيها لأي مكان معاً. كانت الحدود المادية لعلاقتهم في الأشهر الكثيرة الماضية مقتصرة على مطبخ كوين. وقد فكّرت بأن الخروج معاً كان أمراً ممتعاً، وتحديداً في ظل الظروف الغامضة التي أحدثها كوين. كان في مزاج جيد، وبدا سعيداً وهازلاً، وهو يتوجه بالسيارة

أسفل شارع فالليجو وينعطف يساراً إلى ديفيسادرو. كانوا يتجهون ناحية الماء، وانعطفوا يساراً على طول خط الشاطئ في جادة مارينا. تساءلت ماغي إن كانوا سيعبرون جسر غولدن غيت، ويذهبون إلى مكان ما في ساوسالِيتو. ولكن بدلاً من ذلك انعطف يميناً إلى أراضي نادي اليخوت في فرانسيس. وتساءلت إن كانوا سيتناولون الغداء على ظهر سفينة في النادي، ويشاهدون سباق زوارق، والذي كان أفضل شيء بعد الإبحار.

قالت بسعادة: "هذا مسلٍّ"، وابتسم جاك إليها ابتسامة عريضة. كانت تجلس في المقعد الأمامي بجانب كوين، وكان جاك خلفها مباشرة.

قال جاك مذكّراً كوين: "لدي موعد الساعة السابعة. من الأفضل أن أكون في البيت حينها وإلا ستقتلني".

طمأنه كوين: "ستكون في البيت قبل ذلك، أعدك بذلك". أوقف السيارة، وقادهما ناحية الرصيف حيث كانت السفن، ومن ثم رأتها ماغي، وعرفت غريزياً بأنها كانت محقة. كانت هناك سفينة شراعية رائعة مربوطة بإحكام إلى الرصيف، وأكبر بكثير من تلك التي تكون عادة في نادي اليخوت. كانت أصغر من تلك التي كان يتم بناؤها في هولندا، ولكنها كانت بطول مئة وعشرين قدماً من الجمال المطلق.

مشى كوين بثقة إلى الجانب الأعلى من سطح السفينة، وخطا إلى ظهرها، ومن ثم مد يده إلى رفيقيه وهو يقول: "تعالا، إنها لنا هذا اليوم. لا تضيعا الوقت وأنتما تقفان هناك فاغرين فاهيكما". كان جاك مذهولاً، بينما بدت ماغي في غاية الفرح وهما يتبعانه إلى متنها. كان طاقم من أربعة أفراد بانتظارهم. كانت حقاً سفينة شراعية جميلة، احتوت على أربع غرفات بالأسفل، ومساحة جميلة للطعام على الظهر، وأدى سلّم قصير إلى حجرة دفّة أنيقة وصغيرة في الأعلى. أما البهو الرئيسي فقد كان مترفاً ومريحاً، وبه مكان للطعام يمكنهم استخدامه في الليل أو عندما يكون الطقس سيئاً. كان اسمها مولي ب وهو اسم ابنة مالكها، والذي كان صديقاً قديماً لكوين، وكان قد جلب

السفينة لتوه من لاجولا لفصل الصيف. كان كوين قد استأجرها اليوم من أجل أن يبهج ماغي، وفي نفس الوقت ليعرّف جاك على الإبحار.

تجولوا في كل أنحاء السفينة حيث نظر جاك إلى كل تفصيل دقيق فيها. كان مندهشاً بأشغال الخشب أكثر من أي شيء آخر، أما ماغي فبالكاد وسعها الانتظار لتبحر بها في الخليج. وفي غضون عشر دقائق، كانوا مبحرين بها، وقد بدا كوين سعيداً تماماً بقدر سعادتهما. وقد وزّع وقته بالتساوي بين صديقيه، وكان مبتهجاً عندما تبادل جاك الحديث مع المضيفة وهي شابة جميلة من انكلترا، واهتمامه بها أتاح لكوين أن يجلس مع القبطان وماغي ليتحدث حول الإبحار. كانت الريح مثالية في هذا اليوم للإبحار. وقد مروا تحت جسر غولدن غيت وتوجهوا ناحية الفارالونز، ولم ينزعج أي منهم عندما أصبحت المياه متلاطمة الأمواج إلى حدٍّ ما. شعر كوين بارتياح لأن جاك لم يُصب بدوار البحر.

وبينما كانت ماغي تجلس إلى جانبه على ظهر السفينة، مازحته بقولها: "يا لك من جبان"، مستمتعة أثناء ذلك بالريح والشمس على وجهها. ورغم ما أتت به الريح من برودة طفيفة، إلا أن الطقس كان دافئاً بما يكفي. قالت ممتنة: "يا له من شيء رائع لتفعله من أجلنا". ولكن بالرغم من أمسياتهم الكثيرة معاً، كان هناك دوماً شيء مُرهب حوله، فحتى في أكثر لحظاته دفئاً، كان كوين يبقى على مسافة ضئيلة من الآخرين. أخبرته عيناها بمدى سعادتها، وهو ما كان كافياً بالنسبة له. لقد كان اليوم تماماً كما أراده أن يكون.

ولدى وصولهم إلى البيت بعد ظهر ذلك اليوم، كانوا سعداء ولكن متعبين. كان كوين مبتهجاً حين رأى أنهما قد أحبا ذلك، ولم يتمالكا نفسيهما عن الاستمرار في الحديث عن مدى روعة الأمر أثناء رحلة العودة بالسيارة إلى منزله. كرهوا مغادرة بعضهم البعض تماماً كما كرهوا مغادرة مولي ب. وقد شكر جاك جميع أفراد الطاقم كما شكر كوين بإسراف. لم تعرف ماغي كيف تبدأ بشكره، وعرضت أن تطهو له العشاء، ولكنه أخبرها بأن أمامه عملاً

يجب أن ينجزه. كان لا يزال يناضل في شؤون إثبات صحة وصية زوجته. بدا أن ذلك سيستمر للأبد.

غادرهما جاك في الوقت المناسب ليلحق بموعده، وشكرت ماغي كوين قبل أن تعود إلى منزلها، وهي تبدو كطفلة في ضفيرتيها، وبنطالها الجينز الأبيض، وكنزتها الحمراء، وحذائها الخفيف. ابتسم كوين كما كان شأنه طوال اليوم وهو يراقبها ترحل. كان واضحاً أنها أحبت الإبحار بالقدر الذي ذكرته. ولكنها قالت من ذا الذي لن يحبه على سفينة مترفة كتلك التي استأجرها. لم تستطع حتى أن تتخيل مدى روعة السفينة التي كان يبنيها في هولندا، وتمنت لو كان بوسعها أن تراها، رغم أنه أخبرها بأنه لن يأتي بها إلى سان فرانسيسكو، إلا عند نقطة معينة في طريقه إلى جنوبي المحيط الهادئ. ولكنه يريد قبل ذلك أن يبحر بها حول أفريقيا وأوروبا.

كان كوين يجلس بهدوء في غرفة المعيشة يشرب كوباً من الشاي، ويقرأ مجلة عن الإبحار عندما رنّت ماغي جرس منزله. كانت لا تزال بملابس الإبحار وقد انحل شعرها من ضفيرته وبدت محرجة بعض الشيء.

قالت معتذرة: "لم أقصد إزعاجك. أردت فقط أن أشكرك". كانت تحمل وعاءً كبيراً مغطى، وقد دسّت رغيف خبز فرنسياً تحت ذراعها. كانت قد أعدّت له طبق المعكرونة المفضل لديه. أضافت: "سأتركه هنا لك. حسبت أنك قد تكون جائعاً". وهو ما كانه بالفعل، وكان يفكر بأمر العشاء، ولكنه كان كسولاً ومسترخياً جداً ليفعل أي شيء بشأنه، وهكذا فقد قامت هي بإعداده له. قالت بسعادة: "لم أحظ بيوم كهذا منذ أن كنت طفلة. شكراً يا كوين، كان شيئاً جميلاً جداً منك. لم تكن مضطراً لاصطحابي، ولكنني مسرورة لأنك فعلت". ابتسم كلاهما متذكرين كم أحب جاك ذلك أيضاً. كان بمثابة مقدمة عن الإبحار وقد أحبه كما تحب البطة الماء، ولم يتزعزع حتى عندما أصبحت الأمواج متلاطمة أو عندما كانوا يغيرون من وجهة السفينة أو يحرفون الشراع من جانب إلى آخر، وقد جنحت السفينة قدر ما تستطيع فوق المياه. لقد أحبت ماغي ذلك تماماً حيث ذكّرها بأجمل أيام طفولتها.

امتدحها كوين بقوله: "أنت بحارة كفوءة جداً"، بينما كان يضع وعاء المعكرونة جانباً في مطبخه. كان مشتملاً على حبق، وقطع صغيرة من السجق، وفطر طازج. كانت قد أعدته له مرة في منزلها في أمسية جمعة نادرة، وأخبرها حينها بأنه أحبه.

ردّت بتواضع: "لم تسنح لي الفرصة اليوم لأقوم بالكثير". ولكن كان بإمكانه أن يعرف مما حدثت به أفراد الطاقم، بأنها إذا مُنحت الفرصة، فهي تعرف تماماً ما الذي تقوم به. وكانت لديها تلك النظرة من المرح الصافي والإثارة التي تنتاب البحارين المتحمسين متى كانوا على متن السفينة.

"يجدر بنا أن نعيد الكرة في وقت ما. لقد ترك صديقي السفينة هنا، ولكنه في أوروبا". كانت السفينة تخص أحد الأشخاص الذين تربطه بهم علاقة عمل. والآن، كان بإمكانه أن يشم رائحة المعكرونة عندما رفع الغطاء، وحين نظر إلى ماغي مبتسماً، دعاها لأن تشاركه.

قالت وقد بدت محرجة: "لم أكن أحاول أن أدعو نفسي على العشاء. أردت فقط أن أشكرك على هذا اليوم الجميل. لقد استمتعت به حقاً".

"كلانا استمتعنا. لماذا لا تشاركينني في تناول المعكرونة، ويمكننا بعدها أن نلعب لعبة نرد الكذاب؟". ترددت للحظة، ولكنه أصرّ، ووافقت في النهاية أن تنضم إليه. أحضر طبقين، وجلسا براحة إلى طاولة المطبخ. وبينما بدأ هو بتناول الطعام، قامت هي بتحضير السلطة. وطوال العشاء تحدثا عن السفن والإبحار، وكان من السهل إدراك كم كان ذلك يعني بالنسبة له. كان يفيض بالحياة متى ما تحدث عن السفن، أكثر من أي شيء آخر كالعمل أو الأصدقاء أو الأسفار. كان دائماً حزيناً لدى حديثه عن جين، ومشدوداً عند ذكر أليكس. ولكن بدا أنه عندما كان يتحدث عن الإبحار، كان يسترخي ويتقد ويصبح صريحاً على الفور.

اندهشت ماغي للسرعة التي كانت تنقضي بها الأمسية معه. وحين انتهيا من لعبة النرد كانت الساعة قد بلغت العاشرة، وأحست بالذنب لأنها عطلته عما يمكن أنه قد خطط للقيام به في تلك الليلة. أخذت وعاء المعكرونة بعد أن ساعدته في تنظيف المكان، وسار معها إلى منزلها.

قال: "شكراً للعشاء". كان من الصعب هزيمته في لعبة النرد تلك الليلة، ولكنها لم تأبه للخسارة. كان أفضل يوم حظيت به منذ سنوات، وبالتأكيد منذ وفاة ابنتها وقبل ذلك بمدة طويلة. وسألها: "هل تعملين على خط الطوارئ الليلة؟". وقد شعر بالارتياح معها. كان دائماً يشعر بذلك، فقد كانت نصف أخت ونصف صديقة له. كان قد اتخذ قراراً تلك الليلة بينما كان يحادثها حول الإبحار. كان سينتظر ويرى كيف ستكون نتيجته، ويخبرها عنه عندما يلتقيان في المرة المقبلة، ربما ليلة الجمعة من الأسبوع التالي. نادراً ما كانا يلتقيان مصادفة ببعضهما في الطريق، حيث لم يكن أي منهما يخرج من بيته كثيراً. كان جاك الوسيط بينهما والذي كان ينقل التحيات والأخبار جيئة وذهاباً خلال الأسبوع حيث إنه كان يرى كلاً منهما ويزور المنزلين أثناء عمله.

قالت بعفوية: "سأكون على خط الهاتف بعد الساعة الثانية عشرة. لدي مراهق مواظب يتصل بي في كل مرة أتواجد فيها على الخط. إنه ولد لطيف في الرابعة عشرة من عمره. ماتت أمه السنة الفائتة، وقد مرّ بأوقات صعبة. أحسب أنني قد بدأت بالفعل أفتقد للأولاد". كانت قد قررت بالفعل أن تعود للعمل في أيلول، وقد استرجعت عملها القديم مرة أخرى لثلاثة شهور على الأقل، حيث كانت تحلّ محل المعلمة التي كانت قد أخذت مكانها والتي كانت الآن في إجازة أمومة. وقد وعدتها المدرسة بأن تجد شيئاً لها بعد ذلك إن كان ممكناً. ولكنها كانت بداية، وقد وافقها كوين الرأي بأن العودة إلى العمل ستكون مفيدة لها.

قال بلطف: "حظاً جيداً على الهاتف الليلة". كان من السهل أن يتخيل كم كانت ماهرة مع الأولاد. كان لديها أسلوب دافئ سهل صريح، وقد رأى أنها،

ومنذ أن التقيا، قد بدأت تزهر ببطء لتغدو المرأة نفسها التي كانت في وقت من الأوقات. لقد عادت أمسيات الجمعة بالنفع على الجميع، بما فيهم هو.

قالت: "شكراً لك يا كوين مرة أخرى"، ومن ثم التفتت إليه مبتسمة وبعدها بدقيقة كانت بداخل منزلها وبابها مُغلق، وهو في طريقه إلى البيت. كان لا يزال بإمكانه أن يشمّ رائحة عطرها. كانت رائحة نضرة بهيجة والتي بدت معهودة منها. كانت ماغي مثل نسمة هواء أو نسيم صيف مرّ عبر حياته، ليأخذ معه الحزن الذي أحاط به لفترة طويلة. وقد فعل هو الشيء نفسه معها. لقد أصبح بمثابة المرساة التي كانت تتعلّق بها في محاولتها لكي لا تغرق. وكان جاك الرابط الذي جمعهما معاً. كان كوين ممتناً لالتقائهم معاً، وكان يعلم بأنه سيفتقد صحبتهم ما إن يرحل. ففي غضون خمسة شهور، وعندما تجهز سفينته، سيمضي كل واحد منهم في سبيله، ولكنهم سيكونون مختلفين وأفضل حالاً مما كانوا عليه عند لقائهم، كما سيكونون أكثر غنىً لما مروا به من تجارب. العاصفة التي حدثت ليلة السنة الجديدة قد جمعتهم معاً، وتبيّن بأنها كانت بركة عليهم جميعاً.

8

أطلعهم كوين على أخباره في المرة التالية التي تناولوا فيها العشاء معاً، والتـي كانت مساء الجمعة كالمعتاد. كان قد استأجر مولي ب للصيف بأكمله، أي حتـى أيلـول وهو الوقت الذي خطط أن يغادر فيه. وقد دعاهما للانضمام إليه على متنها الأسبوع المقبل. هذه المرة، لم يكن بمقدور جاك أن يذهب حيث إنـه قد وافق على أخذ صديقته في نزهة مع بعضٍ من أصدقائها. ولكن ماغي بدت متحمسة جداً.

قالت: "هل تعني ذلك يا كوين؟ لا أريد أن أكون مصدر إزعاج أو ضيق. لا أريد أن أكون متطفلة".

قال: "ما كنت لأعرض عليك هذا لو لم أكن أعنيه يا ماغي. سأبحر على متنها غداً، هل تودين المجيء؟". وهي تنظر إليه بابتسامة خجولة، أقرّت بأنها تود ذلك.

كان اليوم التالي الذي غادرا فيه، وهو يوم سبت، يوماً رائعاً للإبحار. كانـت قـد لاقته عند باب منزله الأمامي وهي ترتدي كنزة بيضاء ثقيلة، وبـنطال جينـز، وتـنتعل حذاءها الأحمر الزاهي والذي جعلها تبدو دوماً كطفلـة بالنـسبة إلـيه. كان يوماً بارداً عاصفاً قوي الرياح، وقد انطلقت الـسفينة مـن المرفأ بسرعة جيدة. كانت الأمواج مضطربة في ذلك اليوم، وكـان بإمكانـه أن يرى أن ماغي قد أحبت ذلك. أصيبت المضيفة بدوار البحـر، وأحـذ أحد الرجال الغناء لهما وكان عبارة عن شطائر مع شاي، وجلـست ماغـي مبتـسمة علـى ظهر السفينة إلى جانب كوين بينما كانا يـأكلان. وفـي آخـر فترة بعد الظهر، ظهرت الشمس، وبقيا على السطح

لتناول العشاء، وكانا سعيدين ومسترخيين عندما عادا في النهاية إلى البيت.

قالت ماغي بامتنان وهما عائدان بالسيارة إلى البيت: "أنت لطيف جداً لتجعلني أشاركك في السفينة. لا أعرف ما الذي فعلته لأستحق كل هذا". لقد غيّر حياتها بلطفه وكرمه، والآن بمغامراتهما على متن مولي ب. لم يكن لديها أية فكرة عن كيفية شكره، وعندما قالت له ذلك أخبرها أنه استمتع بصحبتها، وأنه ذاهب مرة أخرى على متن السفينة في اليوم التالي، ودعاها لأن تأتي معه. سألته بصدق: "ما مدى الوقاحة في ذلك؟"، وضحك لكلامها. كان هناك شيء أكثر خفة وسعادة في نبرته هذه الأيام. لقد خفّفت صداقته لجاك وماغي العبء عنه، وبدا أكثر سعادة وأقل كآبة.

قال: "لا وقاحة على الإطلاق. يمكنني أن أكون بمفردي على متنها متى شئت. كنت أفكر في الإبحار بها ليومين هذا الأسبوع. لستُ بحاجة لأن أكون بمفردي غداً. لمَ لا تأتين؟". كان بوسعها أن ترى من عينيه أنه يعني ذلك، وقد استمتعت هي بصحبته أيضاً. وهكذا ذهبت معه.

كان الطقس رائعاً والنسيم لطيفاً. وعند مغادرتهما السفينة في ذلك المساء، شعرت وكأنهما كانا صديقين طوال حياتهما. وبدأ يتحدث عن جين في طريق عودتهما للبيت. أخبرها عن الشعر الذي كانت جين قد كتبته له، والذي لم يرَ معظمه إلا بعد وفاتها. ولكنه عندما كان يتكلم عنه الآن، كان يبدو فخوراً أكثر من كونه متألماً. كان أكثر عافية مما كان عليه منذ وفاتها.

قال مفكّراً: "من المدهش كيف يظن المرء بأنه يعرف أحدهم ومن ثم يكتشف العكس"، ابتسمت ماغي، وتنهدت وهي تنظر إليه بينما كانا في طريقهما للبيت.

قالت: "لقد شعرت على هذا النحو أيضاً مع تشارلز، ولكن ليس من الجانب الخيّر الذي تعنيه. بعد أن رحل، تساءلت إن كنت قد عرفته حقاً خلال ثمانية عشر عاماً من الزواج. إنه إحساس غريب، وليس إحساساً جميلاً في حالته. أحسب أنه كرهني بعد وفاة أندرو. احتاج إلى شخص يلومه، وهكذا لامني أنا".

كانت قد عانت من صدمة مضاعفة جراء فقدانها لهما، وكان بوسع كورين أن يخمن فقط مدى تأثير ذلك عليها. لقد رآه في عينيها في اليوم الذي التقيا فيه لأول مرة، ولكن أوراق طلاقها كانت قد وصلتها قبل ذلك بيوم فقط. لم تكن مفاجأة لها، ولكن لا بد أنها آلمتها على أية حال، وكان بمقدوره أن يخمن لأي مدى. لقد وجّه إليها زوجها الضربة القصوى، وقد أطاح بها هذا لفترة، ولكن بدا أنها قد بدأت تعود ببطء للحياة مرة أخرى. كانت صداقة كورين مصدراً هائلاً من القوة والسكينة لها، تماماً كما كانت صداقة جاك. ولكن كورين كان، بطريقة ما، بمثابة المرساة للمجموعة، بينما كان جاك الرابطة المشتركة بينهما، وماغي النور والفرح والمرح لكورين أكثر مما ظنته هي نفسها أو عرفته. لقد استمتع بروحها المشرقة، وحيويتها، ومزاجها الواقعي الساخر وبشكلٍ عَرَضي أحياناً، تكاتبها النافذ. ولكن أهم من أي شيء آخر، كان مقدّراً لعطفها وحنوّها اللذين تقاسمتهما معه ومع جاك. كانت بها لمسة المرأة الرؤوم التي احتاجها هو وجاك، وأحياناً ذاقا إليها دون حتى أن يعرفا ذلك. كانت الأم الحنون للرجلين اللذين كانا تائهين عند التقائها بهما لأول مرة، والآن أصبحوا جميعاً أكثر قوة.

علمت ماغي من جاك بأن كورين قد ذهب على متن السفينة في ذلك الأسبوع، وأبحر بها على طول الساحل لمدة يومين. عاد إلى البيت صباح الجمعة وكان في حالة معنوية جيدة عند التقائهم مساء ذلك اليوم. أخبرهم بكل شيء عن رحلته البحرية، ونقل إليهم تقدم العمل في سفينته الخاصة في هولندا. كان كل شيء يسير وفقاً للخطة، وكانت ماغي سعيدة لأجله، رغم أنها بدأت تخشى كيف سيكون الوضع عندما يرحل نهائياً. سيكون جاك لا يزال متواجداً لأجلها كما ستكون هي، ولكن بدا أن جاك قد أصبح أكثر جديّة بشأن المرأة التي كان يلتقيها، وكانت تعلم بأنه في يومٍ ما لن يكون هناك مكان أو حاجة لها في حياته. في النهاية، وبالطريقة الخاصة لكل واحد منهم، سيكون عليهم جميعاً أن ينضجوا ويستمروا بحياتهم. ولكن في الوقت الحالي، كانت الأمور جميلة جداً بالشكل الذي هي عليه.

أبحرت ماغي مع كوين على متن مولي ب في عطلة نهاية الأسبوع، وعندما أوصلها إلى بيتها مساء الأحد دعاها لأن تذهب معه على متن السفينة مرة أخرى في ذلك الأسبوع. كانوا قد بدأوا في عرض منزله للبيع، ولم يكن يحب أن يكون موجوداً أثناء ذلك. كان من الصعب التصديق بأنهم كانوا في أوائل أيار. لم يكن لديها شيء آخر لتفعله، وهكذا، وافقت على الذهاب معه. أخبرته بأنها تتحول إلى مشردة إبحار وأنها تحب كل دقيقة منه.

تركهما أفراد الطاقم بمفردهما معظم الوقت إلا عندما كان كوين وماغي يرغبان في التحدث إليهم. وبعد الغداء، وبينما كانوا يبحرون بهدوء على طول الساحل، تمددت على ظهر السفينة واستغرقت في النوم، وعندما أفاقت وجدت أن كوين كان نائماً بعمق. جلست بجانبه، وابتسمت لنفسها وهي تنظر إليه.

"لم تبتسمين؟"، وكان صوته أشبه بقرقرة خفيفة لطيفة بينما كانت هي تنظر إليه، وردت برقة: "كيف تعلم بأني أبتسم؟ عيناك مغمضتان".

ردّ بحكمة وهو يفتح عينيه وينظر إليها: "أنا أعرف كل شيء". كانا قرب مقدمة السفينة بينما كان أفراد الطاقم في منصة القبطان، وقرب مؤخر السفينة. والتفت إليها وقد دسّ ذراعاً تحت رأسه وسألها: بماذا كنت تفكرين وأنت تبتسمين؟".

قالت: "كنت أبتسم لأنك كنت لطيفاً جداً معي... ولأني أحب أن أكون معك هنا يا كوين... سأفتقدك في الشتاء القادم عندما ترحل".

قال: "ستكونين مشغولة حينها. ستكونين مشغولة بالتدريس مرة أخرى". وتوقف للحظة ونظر إليها، ومن ثم تكلّم برقة كبيرة في مكانهما المحمي من الرياح وهما يجلسان تحت الأشرعة. كان مكاناً رائعاً للتواجد فيه. قال بصدق: "سأفتقدك أيضاً"، وقد اندهش هو نفسه لأنه كان يعني ما قاله.

وسألته: "ألن تشعر بالوحدة وأنت بمفردك بعيداً طوال الوقت؟".

أجاب بهدوء: "إنه ما أحتاج إليه. لم أعد أنتمي إلى هنا، ولا أنتمي لأي مكان. لقد قُلعت جذوري... وكأشجارنا التي سقطت الشتاء الماضي... سقطت

لنا أيضاً وها أنا أنجرف للبحر". إن مجرد سماعها هذا منه جعلها تشعر بالحزن. أرادت أن تمد له يد المساعدة، ولكنها لم تكن واثقة إن كان هذا سيشكّل فرقاً بالنسبة إليه. لا يمكن ثنيه عما اعتزم عليه، وليس لها الحق في ذلك على أية حال. كل ما كان باستطاعتها فعله هو أن تراقبه يرحل، وتتمنى له الخير في أسفاره. كان وقتهما معاً محدوداً ومقدراً له بأن ينتهي قريباً. وأضاف: "كنت على هذه الشاكلة أيضاً عندما تزوجت. كنت آتي وأغادر، ولكنني لم أشعر أبداً بأني أنتمي لأي مكان. أردت دوماً أن أكون حرّاً، وقد دفعت عائلتي الثمن، ولكن لم يكن بإمكاني أن أفعل خلاف ذلك. أحسب أن جين قد فهمت هذا، ولكن لا بد أنه قد آذاها بشدة". كان معظم شعورها حول سماحها له بأن يذهب ومعرفتها بأنه كان بحاجة للحرية أكثر مما كان بحاجة لها. وأضاف: "كنت دائماً تعيساً عندما كنت أفكر بأنني مقيّد".

وسألته بهدوء: "وماذا لو لم تكن مقيداً؟".

قال: "كنت سأبحر بعيداً، وربما أظهر مرة أخرى في النهاية كقنينة في المحيط تحمل رسالة". وابتسم لها، وكان بوسعه أن يشم رائحة عطرها، ويشعر بدفئها، وهي تجلس إلى جانبه.

وسألت بلطف: "وماذا ستكون الرسالة؟". كانا ينظران إلى السماء بالأعلى وإلى الأشرعة فوقهما. لم يكن هناك أي مكان آخر على وجه الأرض يرغب أي منهما بالتواجد فيه، ولا أي إنسان آخر كان يريد أي منهما أن يكون معه. كان راضياً على نحوٍ رائع وهو يجلس إلى جانبها، وهو إحساس لم يكن قد شعر به خلال سنوات، وكذلك الأمر بالنسبة لها.

قال مفكراً وهو يتأمل: "ستكون الرسالة بأني لا أستطيع أن أكون شخصاً آخر... حتى لو أردت ذلك... ستكون الرسالة بأني أحبك، ولكن يجب أن أكون حراً... وإلا فسأموت مثل سمكة خارج المحيط تلهث للهواء... أحتاج إلى المحيط والسماء وخط الأفق الرقيق ولا شيء عليه سوى الشمس وهي تغيب... هذا كل ما أريده الآن يا ماغي... فضاء واسع مفتوح وفارغ. ربما

كان هذا كل ما أردته دوماً، ولكنني لم أكن صادقاً مع نفسي من قبل. والآن يجب أن أكون كذلك". ومن ثم نظر إليها مبتسماً وقال: "هل رأيت أبداً الوميض الأخضر عند غروب الشمس؟ إنه يحدث للحظة فقط ويجب أن تنظري في الوقت المناسب تماماً. إنها أروع لحظة في أي غروب للشمس، وإذا طرفت عينيك ستفوتك... هذا كل ما أريده الآن... تلك اللحظة الرائعة، الوميض الأخضر عندما تغيب الشمس ويأتي الليل... يجب أن أتبع ذلك إلى أي مكان يقودني إليه...".

قالت: "ربما كان الوميض الأخضر الذي تبحث عنه موجوداً بداخلك، ربما لست بحاجة لأن تهرب بعيداً كما تحسب". كانت تعلم بأنه لا يزال يهرب من بقدر ما كان يهرب إلى ولكن هو فقط من يستطيع اكتشاف ذلك، كما كانت تعلم.

كانت لديها معاركها الداخلية الخاصة حول أندرو، وسواء أكان بإمكانها تغيير الأمور أو لا، أو منعه، أو إنقاذه، أو إن كانت مسؤولة عن موته كما أخبرها تشارلز، فقد أتت اللحظة التي عرفت فيها أخيراً بأنه لم يكن بوسعها فعل شيء. بالنسبة إليها، لقد جاءتها الحقيقة في آلاف من اللحظات الصغيرة، مثل أجزاء صغيرة شكّلت نافذة يمكن لها أخيراً أن تنظر من خلالها. لقد جاءتها الحقيقة من خلال حديثها على الهاتف في وقتٍ متأخر من الليل مع آخرين بمثل وضع ابنها، ومن ليالٍ طويلة من التوغّل في نفسها، وأفكارها، ومشاعرها. جاءت من لحظات الدعاء وليالٍ من الدموع المريرة، ولكنّ ما رأته في النهاية، عندما نظرت في داخل نفسها، جلب السكينة إليها. ما كان بإمكانها أن تنقذه، وما كان بإمكانها أن تغيّر ما حدث. كل ما كان بوسعها فعله هو تقبّل حقيقة أنه قد رحل الآن، وأنه اختار أن يرحل. كان الأمر يتعلق بالقبول والاستسلام ومحبة أحدهم بشكلٍ كافٍ لأن تدعه يذهب. كان ذلك هو الوميض الأخضر بالنسبة إليها، وكانت تأمل بأن كوين سيجده أيضاً في يومٍ ما. كان لا يزال معذّباً بشأن ما لم يفعله ولم يكنه، ولم يستطع قطعه، وإلى أن

يستسلم ويتقبل الأمر ويعلم بأنه ما كان بمقدوره أن يغيّر أي شيء، حتى نفسه، فسيضطر للهروب دائماً. إن الثبات، وليس الهروب، هو ما يجعل المرء يجد الحقيقة، ولكن كان من المستحيل تفسير ذلك لأي إنسان. عليه أن يجد الأجوبة بنفسه أينما وجب عليه الذهاب ليعثر عليها، وحتى ذلك الحين لن يكون حراً أبداً بغض النظر عن المكان الذي سيذهب إليه ليجد حريته.

ثم نظرت إليه، وقد حملت نظرتها كل ما كانت تفكر به، وتشعر به نحوه، وكل الامتنان لما فعله من أجلها. وحين أدارت وجهها باتجاهه وهي تنظر إليه، شعر كلاهما بوميض أخضر خاص بهما. كانت لحظة اقترب فيها عالمان بلطفٍ من بعضهما، وكأنما أصبحا عالماً واحداً. وقال بلطف: "لا فكرة لدي عما يعنيه ذلك". خلال شهور صداقتهما، كانت قد توصلت إلى فهم حقيقته. قال: "إنني رجل بلا ماضٍ ولا مستقبل، وكل ما لدي هو الحاضر لأمنحك إياه. إن ماضيّ لا قيمة له، ومستقبلي ليس موجوداً بعد وربما لن يكون أبداً، ليس معك. كل ما يمكنني أن أمنحك إياه هو هذه اللحظات يا ماغي، هل هذا كافٍ بالنسبة إليك؟". وبينما كان ينظر إليها، تذكر كل السنوات التي نظرت فيها حين إليه بنسبة أمل وألم. كان يعلم الآن بأنه رغم ما بلغه مقدار حبه لها إلا أنها قد احتاجت منه أكثر مما استطاع أن يمنحه لها، ولم يكن يرغب في فعل ذلك لأي شخص مرة أخرى. ولكن هذه المرأة كانت مختلفة، فلم تكن تريد سوى تلك اللحظات أو الساعات التي كانا يقضيانها معاً.

قالت: "إنه كافٍ يا كوين... إنني في نفس المركب معك". كان الماضي مؤلماً جداً، والمستقبل مبهماً، وكل ما كان لديهما هو الحاضر وما سيأتيهما به. لقد تعلّما دروسهما، كلٌّ على حدة، بطرق شديدة الإيلام، ولم يُرِد أي منهما أن يسبب لغيره ألماً أو يتألم هو نفسه أكثر مما لقي وقاسى بالفعل.

قال بصوت بدا صارماً: "أنا راحل في أيلول، هل تفهمين هذا؟". وأومأت له وقد بدت وادعة وهمست: "أعرف"، وقالت لنفسها بأنه مهما حدث، ومهما كان القدر الذي سيلقه حبها له، فستدعه يرحل. كانت الطريقة الوحيدة

لحبه. حبه كان يعني أن لا تحجزه أبداً، وأن تدعه حراً، وقد عرفت هذا حتى أعماق روحها.

وبدا أنه قد استراح حينها، ووقفا بجانب بعضهما بعضاً، ينظران أعلى الأشرعة، ولا ينطقان بشيء. لقد نال كل منهما ما يريده، وكان كل ما أراده هو أن يقفا بجانب بعضهما، ينظران معاً فوق الأشرعة إلى السماء الواسعة.

9

عندما اجتمع الثلاثة معاً مرة أخرى مساء الجمعة، أحس جاك بأن هناك شيئاً مختلفاً بينهما، ولكنه لم يستطع أن يكتشف ما هو. كان كوين أكثر سعادة واسترخاءً مما كان عليه خلال الأشهر الماضية. وعندما انضمت إليهما ماغي لتناول العشاء، كانت قد تركت شعرها مسدلاً خلف ظهرها. كانا قد أمضيا اليوم السابق على متن مولي ب، فلم يكن يوجد ما يعوقهما، وكانت حياتهما وأوقاتهما ملكاً لهما. وقد بدآ في قضاء الأوقات معاً أكثر فأكثر على متن السفينة.

وكما هي العادة عندما يلعبان النرد، كان كوين هو الرابح في معظم الأحيان. بقي جاك حتى منتصف الليل تقريباً، وأعربت ماغي عن رغبتها في المغادرة عندما غادر هو. وفي صباح اليوم التالي غادرت مع كوين إلى السفينة. بدا وكأن مولي ب قد وفرت لهما مرحاً طبيعياً، وبدآ يشعران وكأنها ملكهما الخاص. كان كلاهما مندهشاً بشغفهما المشترك بها. لم يشعر كوين على هذا النحو منذ سنوات. ورغم أنه لم يعترف لها، إلا أنه شعر وكأنه قد استعاد شبابه مع ماغي. وقد وجدت هي معه شيئاً لم تعرفه من قبل. وأهم من كل شيء، فإن حبهما المتبادل قد جلب السكينة إلى نفسيهما. كان اتحاداً هذاً من روحيهما، لم تكن مستعدة له قبل سنوات، وكذلك هو، ولكنهما اجتمعا في وقت كان شافياً لكليهما.

كان قد مرّ شهر آخر قبل أن ينظر جاك إليهما في إحدى الأمسيات وهما يقفان بجانب بعضهما ويعدان العشاء، واستطاع أخيراً أن يفهم. لم يستطع أن يتخيل لماذا لم يفكر بذلك من قبل. بعد ذلك بأيام أتته الشجاعة ليذكر ذلك لكوين،

سأل: "هل فاتني شيء؟". كان يبتسم بخجل، وليس واثقاً تماماً كيف يسأل عمّا يريد معرفته. كان كوين دائماً ولا يزال الرجل الكبير في المجموعة. ولكن كوين كان سريعاً ليدرك مغزى كلامه.

قال مبتسماً للشاب: "ما الذي تحسب أنه فاتك؟". كان جاك يقرأ، وكأنه كان يفعل ذلك طوال حياته، وكان كوين فخوراً به.

أجاب: "أنت وماغي؟ هل هو ما أحسبه؟".

ابتسم كوين وقال: "محتمل"، وناوله فنجاناً من القهوة. كانا قد فرغا لتوهما من الدرس، وكان كل ما يفعله كوين الآن هو صقل الجوهرة التي آل إليها جاك. كانا يقرأان لروبرت فروست وشكسبير وكل الأشعار التي أحبتها جين، وكان جاك تواقاً إليها. وأضاف كوين بصدق: "لست واثقاً ما هو، ولكن مهما كان، فنحن الإثنان سعيدان به وهذا كافٍ لكلينا". كان يحب الطريقة التي تفهمه بها غريزياً، والطريقة التي تدعه يكون فيها ما يجب أن يكونه، ولكنها في نفس الوقت كانت تحترم نفسها. فالسماح له بأن يكون ما هو عليه لم يكن تضحية منها كما كانت من جين، ولهذا لم يكن هناك داعٍ لأن يشعر بالذنب. وحيث إنها قد فقدت الكثير في حياتها، فلم تكن تتوقع منه الكثير. كانت عطوفة ومحبة وفي نفس الوقت مستقلة ومكتفية ذاتياً. كانت تحبه، وهو ما أظهرته له بوضوح، وقد كان ذلك بالضبط ما أراده منها. لم يكن يرغب أبداً في أن يؤذي أو يخيب أمل أي أحد مرة أخرى كما فعل بجين.

سأله جاك: "هل أنت واقع في حبها؟"، وبدا متحمساً حيث كان ذلك ما أراده لكليهما. وكان قد لاحظ كم بدت ماغي سعيدة هذه الأيام. فهي إما كانت تغني في حديقتها أو سعيدة في منزلها. لقد تفتحت كالزهرة تحت إشراقة الشمس في الشهر الفائت.

قال كوين: "لم أعد واثقاً ما الذي تعنيه تلك الكلمة"، ونظر إلى جاك وهو يفكر بالأمر. كان جاك قد أصبح بمثابة ابن له تقريباً. وأضاف: "الحب هو

كلمة تخترق قلوب الرجال مثل رمح مسموم، ومن ثم يلتفتون، ويسممون أحداً آخر. لم أعد أرغب بفعل هذا لأي إنسان مرة أخرى". كان قد فهم على نحوٍ كامل خلال السنة التي تلت رحيل جين، لأي درجة قد جرحها. كانت قد غفرت له ذلك، ولكنه لن يغفر لنفسه أبداً. ولم يُرد أن يفعل هذا لأي إنسان مرة أخرى. وأكمل: "إن جرائم شنيعة تُرتكب باسم الحب، مثل الحروب المقدسة. ليس هناك ما هو أسوأ من ذلك".

قال جاك بحكمة: "لا تكن قاسياً على نفسك بهذا الشكل". وهو ما كان يعلمه عن كوين.

وأجابه: "يجب أن أكون كذلك يا جاك، وإلا سأكون قاسياً على إنسانٍ آخر. لا يمكنني أن أفعل ذلك مرة أخرى، وخاصة لماغي. لقد قاست ما يكفي من الآلام في حياتها". كان يحبها، ولكن آخر شخص يمكن أن يعترف له بذلك، كان هو نفسه.

سأل جاك باهتمام: "هل ستأخذها معك في أيلول؟". كان مسروراً بالأخبار، وظنّ بأنهما كانا بحاجة لبعضهما، وكلاهما يستحق السعادة أكثر من معظم من يعرف من الناس، كما أنه كان يحبهما.

ردّ كوين بدون تردد: "لا، لن أفعل". كان واثقاً من ذلك، وكان قد أخبرها بذلك منذ البداية، وقد تفهمت. كان جاك حزيناً لسماع ذلك، ولكنه أمل بأنهما سيغيّران رأييهما في مرحلة معينة. وقد ذكر لماغي بتحفظ في اليوم التالي بأنه كان سعيداً لما كان يحدث مع كوين. ابتسمت له، ولم تقل شيئاً، ولكنها كانت سعيدة لأنه أصبح على علم بهذا. كانت راغبة في أن تشركه بأخبارها، ولكنها لم تكن واثقة تماماً كيف تفعل ذلك. لم تكن تريد أن تكون غير حكيمة بشأن علاقتها بكوين.

كان الأسبوع التالي هو الذكرى السنوية لوفاة جين، وهو ما كان صعباً على كوين. كانت ماغي قد مرت بذكرى مشابهة وهي ذكرى وفاة أندرو، وكانت تعلم مدى صعوبة ذلك اليوم. مرّ عيد الأم عليه أكثر سوءاً مما توقعت

وهي تفتقد ابنها. تركت ماغي كوين لوحده في صباح يوم الذكرى، وذهبت في نزهة معه على الأقدام بعد الظهر. في ذلك اليوم، قضى كوين ليلته على متن السفينة، وبدا أفضل حالاً لدى عودته في اليوم التالي.

في اليوم الذي تلا الذكرى السنوية، وكأنما كانت يد القدر تتدخل في حياتهما ثانية، بيع منزل كوين بالسعر الذي أراده. كان المشترون الجدد سينتقلون إليه آتين من الشرق، وقد وافقوا على الانتظار حتى الأول من تشرين الأول وهو ما كان مناسباً جداً له. وأصبح أمر رحيله أكثر حقيقة بالنسبة لماغي، ولكنها كانت تعرف ذلك على أية حال، وقد تأقلمت معه أو هذا ما قالته.

في أواخر حزيران دعاها لأن تذهب معه إلى هولندا لترى السفينة. كان قد ذهب إلى هناك ثلاث أو أربع مرات في ذلك الربيع، ليراقب مدى تقدم العمل، ولكنه في هذه المرة أراد أن يريها إياها. أعطاها تذكرة الطائرة كهدية منه، فترددت في قبولها، ولكن كوين كان يعرف بأنها لم تكن رخيصة الثمن ولم تكن بمتناولها، وأصرّ على دعوته لها، وكانت متحمسة للغاية عندما غادرا. سافرا إلى لندن في رحلة جوية ليلية، ومن هناك سافرا بالطائرة إلى أمستردام. كان قد حجز جناحاً جميلاً في فندق أمستل. وشعرت وكأنما قد ماتت وذهبت للجنة، وكانت بالكاد تستطيع الانتظار لرؤية السفينة. فبعد أن درست التصاميم معه لشهور، أرادت أن تراها حقيقة، وكان هو متحمساً ليريها إياها. كان وكأنه يأخذها إلى بيته الجديد.

استراحا لبضع ساعات في الفندق، ومن ثم ذهبا إلى حوض بناء السفن بعد الغداء. كان يوماً مشمساً جميلاً في أمستردام والذي - كما كان كوين يعرف - لم يكن بالأمر المعتاد. وفي اللحظة التي رأت فيها السفينة، حبست ماغي أنفاسها. كانت عاجزة عن الكلام لبضع دقائق، وكانت هناك دموع في عينيها. لم تكن قد رأت أبداً في كلّ حياتها شيئاً بهذا الجمال، وقد عنى ذلك لها العالَمَ بأكمله، لأنه جعلها تشاركه فيها.

قالت: "أوه، يا إلهي.. كوين، إنها لا تصدّق". فمن مكانها الذي كانت تستقر فيه على الرصيف الجاف، بدت لماغي وهي تنظر إليها كسفينة محيطية أكثر منها سفينة شراعية. كانت السفينة التي يبنيها كوين ضخمة. ركبا في مصاعد هيدروليكية ليصعدا على ظهرها، وذُهلت ماغي لمدى تقدم الأعمال الداخلية فيها، وذكّرها هذا مرة أخرى بقرب رحيل كوين. ولكنها لم تكن تفكر في ذلك الآن، بل كانت تشاركه فرحه بالسفينة. بدا فخوراً، وهو يرى مدى تأثرها، فهو لم يجرؤ على أن يأمل بردّ فعل إيجابي كهذا. لقد أظهرت ماغي سعادة صافية خالصة لأجله وإعجاباً هائلاً به. كان مشروعاً ضخماً، وقد سُرّت به لأجله.

أمضيا فترة بعد الظهر مع تيم هاكر وابنيه، حيث راجع كوين بعض الرسوم الإضافية معهم. كانوا يتطلعون بشوق لزيارته، ليجولوا معه حول السفينة، ويقترحوا تحسينات في التصاميم الأكثر حداثة.

تناول كوين وماغي العشاء في الفندق تلك الليلة، وعادا إلى الحوض مع بزوغ الفجر في صباح اليوم التالي. استيقظت باكراً، واستمتعت بالمناظر التي شاهدتها في طريق عودتهما لحوض السفن. كانت ممتنة بشدة لأن كوين دعاها للمجيء معه. كانت تعلم بأن إشراكه لها في هذا كان أسلوبه في أن يثبت لها كم كانت تعني بالنسبة له. كان حماسه حقيقياً، وهو يسير في أنحاء السفينة مع السيد هاكر وابنيه مرة أخرى. تبعتهم ماغي بهدوء، وهي تستمع إلى اقتراحاتهم، واقتراحات كوين. وقد ذُهلت مرة أخرى لمستوى العمل الذي قاموا بإنجازه.

كان البهو الرئيسي مكسواً بألواح زينية خشبية، كما كانت جميع الممرات. وقد بدت لها حجرة كوين الرئيسة بلاطية فخمة، وجميع الحمامات كانت من الرخام الإيطالي الممتاز. وبالطبع كان ظهر السفينة بأكمله من خشب الساج. كانوا لا يزالون يعملون على أجزاء السفينة العلوية، وقد تم اختيار اللون الأزرق الداكن لطلاء السفينة، واللون الفضي للأجزاء العليا فوق

سطحها. كان قد فكّر في مئة اسم لها وقد استقر على اسم فول دو نويه، وهو اسم كتاب ألّفه أنطون دي سينت - إكسوبري، والذي أحبه كوين منذ شبابه. كان يعني طيران الليل وهو ما كان متلائماً مع المنظر الأنيق للسفينة، والغاية التي أعدّها من أجلها. كان بوسع ماغي أن تتخيله بسهولة وهو يبحر بها أثناء الليل من مكان غريب إلى آخر في مغامراته المنعزلة كطيّار في سماء الليل تحت النجوم متحداً مع... وحتى لون السفينة ذكّرها بسماء الليل، وذكّرها اللون الفضي بالنجوم فيها. كان اسمها بمثابة زمن طويلٍ سيأتي. وعندما غادرا الحوض بعد الظهر، كانت جميع أسئلة السيد هاكر وابنيه قد تمت الإجابة عليها.

وفي آخر فترة بعد الظهر، أخذا أغراضهما من الفندق، ووصلا إلى المطار في الوقت المناسب ليلحقا بطائرة إلى باريس. كانا قد تحدثا حول قضاء يوم في باريس، ولكنهما قرّرا خلاف ذلك. كانت ماغي مكتفية بمشاهدتها للسفينة وهو ما كانا قد أتيا لأجله. أمضيا ساعة في مطار شارل ديغول، ومن ثم ذهبا على متن رحلة جوية إلى سان فرانسيسكو. وبسبب اختلاف التوقيت فقد كان من المقرر وصولهما إلى سان فرانسيسكو عند منتصف الليل. كانت رحلة قصيرة، ولكنها عنت الكثير لكليهما. وعندما استقرا في مقعديهما، نظرت إليه وهي تبتسم له ابتسامة طويلة تدريجية معبرة عن امتنانها.

سألها وقد بدا مسروراً: "علامَ تبتسمين؟". كانت رفيقة رائعة خلال الرحلة.

قالت بسعادة: "لأنك اصطحبتني معك لأرى محبوبتك. إنها حتى أكثر جمالاً مما حسبت". كانت قد شاهدت أيضاً نماذج لأغطية الأسرّة، ومناديل الطاولة، وأدوات المائدة الفضية، والكريستال، والأواني الصينية. كان كل ما تمّ اختياره للسفينة فاتناً. كانت أكثر روعة بكثير مما لو تم إنجازها ليوب رامزي. كان ذوق ونظرة كوين خاليين من النقص بكل تأكيد.

قال كوين بسماحة نفس بينما كان يستقر في مقعده مطمئناً إلى جانب ماغي: "شكراً لمجيئك معي". لقد استمتع بمشاركة السفينة معها، ولم يكن قد عرف أبداً امرأة أخرى لديها نفس القدر من الشغف بالسفن الشراعية. وكان عليه أن يعترف بأن هذه السفينة الشراعية كانت مميزة، فلم يكن هناك أية سفينة أخرى مثلها. لقد عنى له الكثير أن ماغي قد فهمت هذا. ستكون فول دو نويه سفينة شراعية لن ينساها أحد بمجرد رؤيته لها. كان سيحب أن تشاركه جين فيها، ولكن في أعماق قلبه كان يعرف بأنها لم تكن لتقدّرها أو لتستمتع بها بقدر ماغي. لم تكن السفن الشراعية أبداً هواية جين. في الحقيقة، لو كانت جين على قيد الحياة لما اشتراها أبداً. فبعد فقدانهما لدوغ تحديداً، لم تعد جين ترغب بأي شيء يتعلّق بالسفن الشراعية. ولكنها لم تكن تحبها حتى قبل ذلك. كان ذلك شيئاً إما أن يولد مع المرء أو لا، ومن النادر أن يكون ولعاً مكتسباً. وكما كان في كوين، فقد كان حب ماغي للسفن في دمها أيضاً.

اختار كلٌ منهما فيلماً ليشاهده، على شاشته الخاصة وطلبا العشاء. تحدثا بهدوء أثناء تناوله حول تفاصيل السفينة، وبعد ذلك أرجعت ماغي مقعدها للخلف، وتابعت الفيلم إلى أن استغرقت في النوم. نظر كوين إليها ورآها تغفو بجانبه، ابتسم وغطّاها بلطفٍ بدثار. كانت رحلة كالزوبعة وقد أنجز خلالها الكثير، ولكن الأهم من ذلك أنه أصبح يعرف ماغي بشكلٍ أفضل. لم يعرف فقط حبها للسفن أو فهمها للتفاصيل الدقيقة للمشروع، ولكن ما اكتشفه كان شيئاً أهم من ذلك بكثير وأكثر عمقاً. لقد وجد سماحة روحها الحقّة في قدرتها على الابتهاج لأجله والاحتفال بما أنجزه وهي تعلم تمام المعرفة بأن السفينة التي رأتها ستكون في النهاية الشيء الذي سيأخذه منها. لقد واجهت منافستها بشكلٍ مباشر، ورحبت بها، وأعجبت بها، وكانت مستعدة لأن تبتعد عن طريقه على نحوٍ جميل عندما يتركها. كان ذلك هو الشيء الوحيد الذي لم يجده كوين في أية امرأة، حتى في جين نفسها، وهو ما جعله يدرك الآن بأنه أحب ماغي.

10

وصلت طائرة باريس إلى سان فرانسيسكو متأخرة قليلاً عند الساعة الواحدة من بعد منتصف الليل. نامت ماغي معظم الوقت، وكانت مستريحة عندما أيقظها كوين قبل هبوط الطائرة مباشرة. كان قد ملأ لها بطاقات الجمارك، وناولها إياها بينما ابتسمت له بنعاس. كانت آسفة لعودتها للبيت ثانيةً، وتمنت لو أنهما قرّرا أن يقضيا يوماً في باريس. بدت الرحلة كحلم الآن. ولكنها كانت تعلم بأن كوين كان مشغولاً، حيث إن لديه الكثير ليفعله قبل انتقاله من منزله، وكان يريد أن ينهي المسائل المتعلّقة بأملاك جين في أيلول، والتي لم تكن مسألة صغيرة، وهو ما كانت ماغي على علم به. لقد تبعت جدول أعمال كوين، وكانت سعيدة فقط لأنه اصطحبها لرؤية سفينته الشراعية.

مرّا عبر الجمارك بسرعة في هذه الساعة، واستقلا سيارة أجرة إلى المدينة. كانا في منتصف الطريق إلى هناك عندما نظر إليها. لم يكن هناك سبب يدعوهما للعودة للبيت، وفجأة أحس أنه لا يريد ذلك. سألها مبتسماً: "هل تودين قضاء اليوم على متن موللي ب؟"، وأومأت له. لقد بدأت تعتاد عليه، وتفتقده في الساعات التي لا يمضيانها معاً، ولكنها كانت تعرف أيضاً بأنها يجب أن تعتاد على ذلك في النهاية. فمهما بلغ مقدار حبها له، ورغبتها في أن تكون إلى جانبه، إلا أنه سيرحل قريباً.

قالت بسعادة: "سأحب ذلك". كانت تعلم بأنها ستتذكر للأبد الأشهر التي كانا يقضيانها معاً على متن موللي ب.

قال: "يمكننا أن نبحر في الصباح. ليس عليّ أن أقابل المحامي قبل الرابعة والنصف".

كانت السفينة مغلقة بإحكام عندما وصلا، ولكن مفتاح الأبواب كان بحوزة كوين. كان أفراد الطاقم على سطحها، ولكنهم نائمون بدون شك. كان معاون القبطان الأول يتولى الحراسة عند دخولهما، وقد حمل لهما أمتعتهما، وعرض عليهما شيئاً ليأكلا، ولكن لم يكن أي منهما جائعاً.

وقبل أن يذهبا للخلود إلى النوم شكرته ماغي بقولها: "أشكرك على هذه الرحلة الرائعة. أحسب أنك وفول دو تويه ستكونان سعيدين جداً ببعضكما البعض".

أراد حينها أن يخبرها كم عنت له مسامحة نفسها، ولكنه لسبب ما لم يفعل. لم يعرف ما يقول لها، وكان يعلم الآن بأنه يحبها، ولكنّ ذلك لم يغيّر شيئاً بالنسبة إليه، ولم يكن يريد أن يشجع آمالاً زائفة أو أوهاماً. كان يخشى إن هو أخبرها عن حقيقة شعوره نحوها، أن تفكر بأنه قد يبقى أو يعود من أجلها، وكان يعرف بأنه لا يستطيع. شعر بأنه كان يدين لجين بطريقة ما أن يبقى لوحده، وأن ينطلق بمغامراته في أسفاره المنعزلة، فبعد كل ما فعله، وأخفق في فعله في حياته، كان يعلم بأنه لا يستحق لأن يقضي بقية عمره مع ماغي. كانت صغيرة بما يكفي لتجد شخصاً آخر، وتحظى بحياة آمنة، وتنساه.

لم يقل لها ذلك أبداً، ولكن أقلقه أنه كان يكبرها بعشرين عاماً، كانت صغيرة بما يكفي لتكون ابنته، وهو ما بدا له أمراً سخيفاً. لم يشعر أبداً بفارق السن بينهما، ولكن كانت لديه فيما مضى حياته وولديه ومهنته وزواجه، والآن كان يشعر بأن عليه التكفير عن خطاياه. بدا له أن ارتباطه بامرأة يوازي عمرها ثلثي عمره، وجرّها معه حول العالم هو تصرف أناني يعادل ما فعله بجين، والحياة الغريبة التي قادها والتي لم تستطع أليكس أن تغفرها له. كان يعلم بأنه كان يفعل الشيء الصحيح في إطلاق ماغي حرّةً عند رحيله، وعدم وعدها بشيء، وأكثر من أي شيء آخر، كان سيلحّ عليها لأن تنساه. كان ذهنه مليئاً بأفكاره عنها، واطمأن قلبه بدفء وجودها إلى جانبه، ولكنه لم يقل لها شيئاً.

في صباح اليوم التالي، استيقظ كوين، وارتدى ملابسه، وغادرت السفينة الرصيف عند الساعة الثامنة حيث كانت مولي ب مبحرة بالفعل. كان يوماً مشرقاً من أيام حزيران، وعندما نهضت ماغي أدركت بغرابة أنها قد استيقظت في أمستردام صباح اليوم السابق. ابتسمت لنفسها، وهي تفكر بذلك، مثل حلم لذيذ، وذهبت لتنضم إلى كوين على ظهر السفينة.

سألته وهي تنظر إليه بعينين نصف مغمضتين تحت أشعة الشمس: "يا إلهي، ما الوقت الآن؟ أين أنا؟". كان شعرها الأشعث متدلياً خلف ظهرها كما كان يحبه تماماً. بالكاد بدت أكبر سناً من ابنته. كانت هناك ثمانية أعوام فقط بين ماغي وأليكس، ولكن ماغي بدت أكبر منها بجيل كامل. لقد عانت الكثير في حياتها وحيدةً في السنوات الأخيرة، وهو ما جعلها تبدو أكثر نضجاً، وأكثر حكمة بكثير، وبالتأكيد أكثر حناناً من ابنته.

مازحها قائلاً: "إنها العاشرة. هذا خليج سان فرانسيسكو، وستلاحظين أمامك مباشرة جسر غولدن غيت، وأنا كوين توميسون".

وبادلته المزحة: "أهلاً. أنا ماغي دارتمان. ألم ألتقيك في أمستردام؟ أنت مالك ذلك اليخت المذهل، فول دو تويه... أو هل كنت أحلم؟". بدا كل شيء كحلم الآن، ولكنه لم يكن.

وطمأنها قائلاً: "لا بد أنك كنت تحلمين". وسألت المضيفة ماغي عما تريده للفطور، فابتسمت ماغي، وهي تفكر كم أصبحت مدلّلة. التفتت نحو كوين، وابتسمت ابتسامة عريضة وقالت: "دعني أتذكّر. اعتدت أن أتناول على الإفطار Hostess Twinkies، وما تبقّى من مقانق".

ابتسم لها كوين ابتسامة عريضة وقال: "لا توجهي لي دعوة إلى الفطور أبداً. سألتزم بالعشاء فقط".

قالت: "قرار جيد"، بينما كانت المضيفة تناولها القهوة التي أعدتها لها بالطريقة التي تحبها تماماً. كان طاقم مولي ب رائعاً. وكان من الصعب عليها

أن تعتاد على حياتها الواقعية مرة أخرى عند رحيل كوين. كان ذلك بالطبع بسبب كوين وليس بسبب القطور.

كان كوين قد بدأ بالفعل باستئجار أفراد طاقمه لسفينته الشراعية فلول دو نويه. كان أحدهم إيطالياً، واثنان فرنسيين وبقية أفراد الطاقم السبعة كانوا بريطانيين. وكان قد وظّف قبطان سفينة جون باركلي، فكتوري، بعد أن استلم منه رسالة في نيسان يسأله فيها إن كان هناك وظيفة له، حيث كان يتابع تقدم العمل في الفلول دو نويه باهتمام، وقد عرض عليه كوين العمل لديه كقبطان عن طريق الفاكس، وأتبع ذلك بمكالمة هاتفية. كان اسم الرجل سين ماكنزي وكان سيصل إلى أمستردام مع بقية أفراد الطاقم مباشرة قبل الرحلات التجريبية البحرية في أيلول. وكان العمل يجري وفقاً للبرنامج حتى الآن.

جلست ماغي إلى جانب كوين على دفة موللي ب طيلة فترة بعد الظهر، ووصلت السفينة إلى الرصيف عند الساعة الثالثة، أي في الوقت المناسب لكوين ليقابل محاميه. وقبل أن يغادرا السفينة اتفقا على قضاء الأمسية على متنها في ذلك اليوم. لقد أصبحت السفينة وكوين عادة خطرة لماغي، فكلما كانت تقضي معه وقتاً أكثر، كلما كان من الأصعب عليها أن تتركه في بداية تشرين. كان سيأتي إلى سان فرانسيسكو مرة واحدة أخيرة بعد الرحلات البحرية التجريبية ومن ثم - كما كانت تعلم - سيكون رحيله للأبد. ولكنها لم تكن لتدع نفسها تفكر في ذلك، وكانت قد وعدته بأنه عندما يرحل عنها ستتركه يذهب دون تذمر، وكانت عاقدة النية على الوفاء بوعدها مهما كان الأمر قاسياً عليها أو مهما كان غيابه مؤلماً. كان بمثابة هدية دخلت في حياتها على نحوٍ غير متوقع، وعندما ستؤخذ هذه الهدية منها - وهو ما كانت على يقين منه - فستكون سمحة ولبقة بشأنها. كان ذلك كل ما طلبه كوين منها أبداً، وكانت تدين له بذلك، أو هذا ما شعرت به. بدا أن قدرها كان في أن تفقد أولئك الذين أحبتهم، وأن تتركهم يغادرون حياتها مهما كلّفها ذلك.

سألها كوين بهدوء: "هل أنت بخير؟"، وذلك عندما كان أحد أفراد الطاقم يوصلهما بالسيارة إلى البيت، وأومأت له. وأضاف: "أنتِ صامتة جداً". كان قد أحس شيئاً في صمتها، ولم يكن مخطئاً، ولكنها لم تكن تنوي أن تشركه في أفكارها المتعلقة برحيله.

قالت وهي تبتسم: "مجرد شعور بالتعب من جراء الرحلة. ماذا عنك؟".

أجاب: "أنا بخير". كان لا يزال منتشياً من زيارته للفلول دو نويه، ومتشبّطاً بسببها. وأضاف: "أتمنى لو لم أكن مضطراً للقاء المحامي. لم أكن لأعود إلى المنزل حتى السابعة". كانا قد تركا أمتعتهما على السفينة، وبالتالي فلم يكن لديها ما تفرغه من الحقائب وتوضبه. كانت حياتها بسيطة جداً الآن رغم أنها كانت تعلم بأنها ستكون مليئة بالمشاغل ما إن تبدأ بالتدريس في أيلول. كانت ستعود إلى عملها في نفس الوقت تقريباً الذي سيغادر هو فيه للرحلات البحرية التجريبية.

كان جاك في المنزل عند دخول كوين حيث كان على وشك الانتهاء من بعض الأشغال في المطبخ، ولدى رؤيته لكوين بدا حزيناً.

سأل كوين وقد قطّب جبينه قلقاً: "هل كل شيء على ما يرام؟". هز جاك رأسه، وبدا قنوطاً.

أجاب: "لقد انتهيت لتوّي".

سأل كوين وهو يبحث عن حقيبة أوراقه المحتوية على الملفات القانونية: "انتهيت من ماذا؟".

ردّ جاك: "كل شيء"، وتوقّف كوين ونظر إليه وقال: "كل شيء؟". كانا قد أمدّا العمل لأطول فترة ممكنة، وكان قد مضى على وجوده هناك ستة أشهر، لم يجعل فيها المنزل فقط خالياً من العيوب في كل تفاصيله، بل أصبح فيها هو أيضاً قارئاً محترفاً.

قال جاك مؤكداً: "تمّ إنجاز كل شيء، لقد نجحنا".

قال كوين وهو يبتسم ابتسامة تدريجية: "لا"، بينما كان ينظر إلى الرجل الذي أصبح صديقه، والذي لم يكن بالنسبة له معلماً فقط وإنما ناصحاً مخلصاً. وأضاف: "أنت نجحت. ولا تنسَ ذلك". وخطا عبر الغرفة باتجاهه وصافحه وهو يقول: "سيكون علينا أن نحتفل"، وكان كوين يعني ما قاله.

قال جاك: "هل لا زال بإمكاني المجيء في أمسيات الجمعة؟"، لم يكن بوسعه حتى أن يتخيل عدم رؤية كوين يومياً.

أجاب كوين: "لديّ فكرة أفضل، ولكن دعنا نتكلم عنها في الصباح. لماذا لا تأتي على الفطور؟"، ومن ثم تذكر بأنه سيكون غداً على متن السفينة مع ماغي حيث كان يرغب في قضاء النهار مبحراً. واستدرك قائلاً: "لقد أدركت توي بأني لن أكون هنا. لماذا لا تأتي لتناول العشاء معنا على السفينة ليلة الجمعة؟". كان جاك يعرف مكان السفينة على الرصيف في نادي اليخوت.

وسأله: "هل يمكنني أن أحضر ميشيل معي؟". كانت الفتاة التي مضت فترةً على معرفته بها قد أصبحت قصة حب جدّية بالنسبة إليه، ولم يكونا ينفصلان، ولكن كوين كان يأمل بأن تكون فقط حبّاً عابراً. كان لديه عرض هام ليقدمه له.

قال كوين: "بالطبع"، ومن ثم فكّر في شيء وأضاف: "هل هي على علم بمشروعنا الخاص؟". لم يكن كوين يريد إحراجه في حال أنها لم تكن تعرف.

ردّ جاك: "تعني دروس القراءة؟"، وأومأ كوين. أضاف جاك: "لقد أخبرتها. خشيت بأن يقلّ ذلك من نظرتها لي، ولكنها رأت بأنه شيء رائع".

قال كوين: "أشعر بأني معجب بها منذ الآن". لم يكن كوين قد التقاها بعد، ولكنه عرف الآن بأنها ستنال إعجابه عندما يراها يوم الجمعة.

"كيف كانت أمستردام؟".

أجاب كوين: "لا ينقصها شيء. كل شيء يسير كما يجب بسرعة تامة. ستبدو السفينة رائعة". ومن ثم كفكرة تالية بين رجلين، استدرك قائلاً: "لقد اصطحبت ماغي معي".

"حسبت بأنها قد تكون هناك. لم تكن متواجدة طوال الأسبوع. ولكني مع ذلك لم أكن واثقاً". وتبادل الرجلان نظرة طويلة، وحملت عينا جاك سؤالاً واحداً صامتاً وقد فهمه كوين.

هزّ رأسه وقال: "لا، لم يتغير شيء. إنها تفهم. تعرف بأني راحل".

تنهد جاك وهو ينظر إليه. كان قد تعلّم الكثير من كوين في الأشهر الستة الماضية، ولكنه فكّر الآن بأن كوين هو من كان بحاجة لأن يتعلم درسه. قال: "إن شخصاً كهذا لا يأتي في حياتك كل يوم يا كوين... مهما فعلت، لا تفقدها".

قال كوين بهدوء: "لم تكن لي أبداً. تماماً كما لم أكن لها. لا يملك الناس أبداً بعضهم بعضاً". لم تكن جين قد ملكته أبداً، أبداً، أو على الأقل ليس بعد موتها. وقد وجدها فقط بعد أن خسرها. كان مهيأً تماماً ليتخلى عما وجده مع ماغي، ولكي يأخذ الأفضل منها معه، في ذكرياته معها. لم يكن بحاجة لأكثر من ذلك، وكان مقتنعاً به. وأضاف كأنما يحاول أن يقنع نفسه: "أنا عجوز جداً لأكون رومانسياً، أو لأكون مرتبطاً بامرأة. إنها تفهم هذا".

قال جاك بعناد: "أظن بأنك ترمي شيئاً ثميناً"، وربما تأثرت ماغي بعمق لو أنها سمعته.

هزّ كوين رأسه وقال: "بل سأرجعه يا جاك. هذا مختلف". وحمل حقيبة أوراقه وابتسم له قائلاً: "أراك يوم الجمعة". كان ذلك بعد يومين، وكان كوين يتطلع بشوق إليه. لم تكن لديه نية في التخلي عن أمسيات الجمعة، وتساءل إن كان جاك سيجلب ميشيل معه كل أسبوع أو سيبقي المجموعة مكونة من ثلاثة كما هي. ورغم أن كوين كان مستعداً للترحيب بها في المجموعة، إلا أنه أحب أيضاً الألفة بين ثلاثة أصدقاء، وكان سيترك الأمر لجاك.

وناداه جاك: "فكّر فيما قلته لك"، بينما تجاهله كوين، وأغلق خلفه الباب بثبات.

11

ظهر جاك وميشيل على الرصيف عند السابعة تماماً من مساء يوم الجمعة، وكان كوين وماغي بانتظارهما. كان هناك بالونات ومصابيح معلّقة على ظهر السفينة الخلفي، وبدا وكأنها حفلة. كان كوين وماغي قد وضعا الزينة بنفسيهما، ولم يقولا شيئاً لجاك، ولكنها كانت حفلة تخرّجه. كان كوين قد أحضر شهادة له وملأها بعناية باسمه وتاريخ تخرجه وقد أشار إليه فيها بالطالب الموهوب الناجح. احتاج جاك للحظة فقط ليدرك ما كان يحدث، وقد تأثر إلى حدّ أن عينيه أدمعتا عندها، وفي نهاية العشاء، ناوله كوين شهادة تخرجه. كانت ماغي قد حظيت بفرصة لتتحدث إلى ميشيل، وكانت مسرورة لتجد أنها قد أحبتها.

وعندما ناول كوين جاك الشهادة التي كتبها له، علت أعين الرجلين غشاوة. صافحه كوين بيد، ووضع الأخرى على كتفه، وترقرقت عيناه بالدموع وهو يعانقه.

قال: "عملٌ جيد يا صديقي... عملٌ جيد...". تأثر جاك إلى حدّ أنه لم يستطع أن يجبر نفسه على الرد، واكتفى بالإيماء. لم يجد في حياته أبداً من كان لطيفاً معه إلى هذه الدرجة باستثناء ماغي. كان كلاهما قد أصبح صديقاً غالياً له، وكان يعلم بأنه لن ينسى لكوين أبداً الآفاق التي فتحها له. لقد تغيّرت حياته للأبد. جلست ميشيل تراقبهما بصمت، وابتسمت لجاك عندما جلس إلى جانبها مرة أخرى. كانت تشعر برهبة من كوين وماغي حيث بدت صغيرة جداً بالنسبة إليهما. كانت فقط في الرابعة والعشرين من عمرها، وكان واضحاً أنها كانت تحب جاك بعمق ومعجبة به على نحوٍ رائع.

دعا كوين جاك ليسير معه على ظهر السفينة، بينما كانت ماغي وميشيل تتحدثان. شعرت ماغي وكأنما كانت تتحدث إلى ابنتها. كانت ميشيل قد تخرجت حديثاً من مدرسة التمريض، وكانت تفكر بأن جاك كان حلمها الذي تحقق.

تبع جاك كوين إلى ظهر السفينة العلوي، وجلسا ينظران إلى النجوم بصمت للحظة طويلة. كان كوين يرغب في التحدث إلى جاك منذ فترة.

بدأ كوين حديثه: "لديّ فكرة أريد مشاركتها معك"، وبينما أشعل سيجاراً، وجلس ينظر للحظة إلى رماده المشتعل بسطوع أكمل قائلاً: "ربما كانت أكثر من عرض، وأرجو أنك ستقبلها". بدت مهمة لجاك، وقد كانت كذلك أو ستكون كذلك لكليهما إن هو وافق عليها. كان كوين يعتمد عليه، وكانت أعظم هدية يمكنه أن يمنحه إياها. أضاف: "لقد وظفت حديثاً أفراد الطاقم والقبطان للسفينة الجديدة. سيكونون جميعاً على متنها في أيلول من أجل الرحلات البحرية التجريبية، وما كنت سأسألك إياه... أو أعرضه عليك... هو أني آمل أنك ستنضم إلينا".

قال: "في الرحلات البحرية التجريبية؟". أجفل جاك رغماً عنه، وضحك كوين ضحكة طويلة خفيضة معبدة أشبه بالقرقرة وقال: "لا يا صديقي. بل كفرد من أفراد طاقم قول دو ثويه. يمكنك أن تسافر على متنها كمبتدئ، وإذا تعلمت أن تبحر بها بالسرعة نفسها التي تعلمت بها كل شيء آخر، فستكون القبطان قبل أن ينتهي كل شيء".

ردّ جاك: "هل أنت جاد؟ أعني بخصوص الانضمام إلى الطاقم". وللحظة أراد أن يحزم حقائبه، ويهرب مع معلمه الحبيب، ومن ثم صدمه الواقع، وبدا خائب الأمل.

قال كوين: "يمكنك أن تقوم بذلك. أعرف أنك تستطيع". أساء كوين فهم ما رآه وظن بأنه خائف. وأكمل: "ستكون تجربة العمر بأكمله".

قال جاك بهدوء: "أعرف أنها كذلك، أو ربما ستكون. ولكني لا أستطيع يا كوين".

بدا كوين مصدوماً، وأكثر من خائب الأمل بقليل، وهو يسأله: "ما المانع؟". كان قد توقع من جاك أن يفكر في الأمر أو على الأقل أن يغريه الأمر ليفكر فيه. لقد كان كذلك، ولكن كوين كان قد غيّر حياة جاك من نواحٍ عديدة أكثر مما أدركه هو نفسه، وربما أكثر حتى مما عزم عليه.

أجاب جاك: "سأذهب للجامعة. لقد دخلت حديثاً في State، وأنا الآن في برنامج تحضيري في الهندسة المعمارية. كنت سأخبرك بهذا الليلة، ولكني نسيت حيث كنت متحمساً جداً لشهادتي. لدي طريق طويل أمامي، وأريد أن أصبح مهندساً معمارياً في يوم من الأيام. ما كان بمقدوري أبداً أن أفكر بذلك لولاك. وقد بدأت متأخراً بالفعل، بحيث إني لا أستطيع الاستغناء عن سنة لأبحر فيها معك حول العالم، ولكن تباً، كنت سأحب ذلك". قال ذلك بعاطفة حقيقية.

قال كوين بشدة: "عرفت بأني ما كان يجب أن أعلمك القراءة"، وابتسم ابتسامة عريضة كئيبة موزعة بين الفخر وخيبة الأمل. كان راغباً حقاً في أن يأتي جاك معه، وبقدر ما كان يعلم بأن اصطحاب ماغي معه ليس تصرفاً صائباً، كان يجب أن يأخذ جاك تحت جناحه ليصنع منه بحاراً. ولكنه، مع ذلك، كان متأثراً بما كان جاك يفعله، حيث ترك فيه ذلك انطباعاً حسناً. لم يكن جاك قد أخبره أبداً بأنه قد تقدم للدخول إلى الجامعة.

"لا زال أمامي وقت طويل حتى أتخرج. قد أكون حينها في المائة من عمري، ولكني سأفعل ذلك، سأفعل ذلك في الليل، وآخذ أكبر عدد أستطيعه من الوحدات. يجب أن أستمر بعملي و..." وتردد قبل أن يعلن سبقه الصحفي ثم أكمل: "لقد تمت خطبتنا أنا وميشيل، وسنتزوج في الميلاد".

صاح كوين: "يا إلهي، لقد كنتَ مشغولاً. متى حدث ذلك؟". بدا كوين

مـذهلاً حقيقة، وكان آسفاً لأن يتخلى عن حلمه في هروب جاك معه. كان سيكون بمثابة ابن له على متن السفينة، ولكنه احترم حق جاك في ملاحقة أحلامه الخاصة.

أجاب جاك: "حدث هذا الأسبوع، بينما كنتَ في هولندا".

ومدّ يده مصافحاً جاك وهو يقول: "حسناً، في هذه الحالة، تهانينا". ولكنه أحس فجأة بالحيرة والارتباك، وكأنما ابنه كان يترك البيت ليس فقط للدخول إلى الجامعة بل ليتزوج أيضاً. كانت ضربة مضاعفة، وكان بوسعه الآن أن يرى بأن لا أمل في انضمام جاك إليه. ولكن كوين كان سمحاً بشأن ذلك، ومشى الرجلان عائدين للانضمام لماغي وميشيل. نظر كوين بحزن إلى ماغي. لم تكن تعرف ما الذي كان كوين سيطلبه منه، ولكن كان لديها شكوكها، واستطاعت أن ترى من عينيه بأن الأمر لم يمضِ كما أراده.

وقال كوين بعظمة: "العضو الثالث في نادي عشاء أمسية الجمعة لديه إعلانٌ هام لنشاركه فيه". كان يحاول أن يخفي شعوره بالقلق بسلوكه الجذل. وأضاف موجّهاً حديثه إلى ماغي بينما كانت تصغي إليه باهتمام حنون: "لن يدخل جاك الجامعة وحسب، حيث سيذهب إلى State في الخريف، ولكنه وميشيل سيتزوجان في الميلاد". وما إن نطق كوين بذلك حتى احمرّ وجه خطيبة جاك الشابة، وانطلقت من ماغي صيحة فرح. هنأت جاك أولاً لأجل إنجازاته، ومن ثم هنأتهما معاً لارتباطهما. بقي جاك وميشيل حتى الساعة الواحدة ومن ثم غادرا. بدا كوين حزيناً، ولكن ماغي كانت قد فهمت بالفعل السبب وراء حزنه.

سألته بلطف: "أردتَ أن تأخذه معك كعضو من أفراد الطاقم، أليس كذلك؟".

نظر إليها في دهشة وقال: "كيف عرفتِ؟".

"أنا أعرفك، وقد تساءلتُ إن كنتَ ستفعل ذلك. كان سيبرع فيه، ولكنك، كما تعرف، قد منحته حياة. ما يفعله الآن سيكون رائعاً له عندما ينتهي منه.

لقد أعطيته ما كان بحاجة إليه ليقود حياة أفضل مما كان عليه أبداً قبل أن تلتقيه. أفضل حتى من الإبحار". ابتسمت لكوين، ولم تشعر أبداً بأنها أحبته أكثر مما فعلت في هذه اللحظة. لقد أحبت شفافيته، وكرمه، وروحه الطيبة على الدوام. في حياةٍ أخرى، لم تكن تلك هي الطريقة التي كان الناس سيصفونه بها، ولكن كان هذا هو الرجل الذي عرفته، ووصلت إلى حبه، وهو نفس الرجل الذي كان معلّم جاك الناصح. ليس الرجل الذي عرفه شركاؤه السابقون في العمل، أو حتى الرجل الذي عرفته جين أو كرهته ابنته. كوين، كما كان الآن، كان محكوماً بقلبه، وبالرغم من قدرته وقوته الكبيرة، إلا أنه بات متواضعاً، ونتيجة لذلك كان أكبر حقاً مما كان عليه. وسألته: "هل خُيّب أملك كثيراً؟".

"بأنانية، أفترض ذلك، ولكني سعيد أيضاً. أحسب أن الجامعة ستكون جيدة له. ماذا عن ميشيل؟ هل أحببتها؟".

"إنها لطيفة جداً، وهي تهيم به حباً". بدت صغيرة جداً لماغي، ولكن هكذا كان جاك أيضاً بطريقته الخاصة. وقد تقاسما براءة وبساطة معينة وقد توقعت - أو على الأقل أملت - بأنهما سيكونان سعيدين.

قال كوين بحكمة: "يتطلب الأمر أكثر من ذلك. يتطلب أكثر من ذلك بكثير ليكون المرء متزوجاً". كان لديه الآن احترامٌ عميق للوظيفة التي شعر أنه أداها على نحوٍ سيء جداً كزوج. لقد كان الناقد الأسوأ لنفسه.

قالت ماغي بلطف: "ربما لا يحتاج لكل هذا. ربما كل ما يحتاج المرء لأن يفعله في البداية هو أن يثق بنفسه، وبشريك حياته".

ردّ قائلاً: "أنا أعرف نفسي جيداً لكي أثق بها أبداً مرة أخرى". ومن ثم نظر إليها وقال: "ولكني، مع ذلك، أثقُ بكِ يا ماغي". وتأثرت بعمق لدى قوله ذلك، وهي ترى الطريقة التي كان ينظر فيها إليها.

قالت: "أنت محقّ لكي تثق بي، وأنا أثق بك يا كوين... كلياً". وكل ما استطاع أن يفكر فيه لدى قولها ذلك، هو رغبته في أن يقول لها أن لا تفعل.

قـال: لـست واثقاً إن كان هذا حكمة منك. ماذا لو أذيتكِ؟" كان يعرف مسبقاً أنه سيفعل عندما يرحل عنها. ولكنها كانت تعرف ذلك منذ بداية علاقتها به، وكانت تعرف ما ستؤول إليه علاقتهما في النهاية.

قالـت بـصدق: "لا أظـن بأنك ستؤذيني. سأكون حزينة عندما ترحل، حـزينة جداً، فأنا أعرف هذا. ولكن هذا مختلف عن إيذائك لي. أنت لم تكذب علـيّ، ولم تصوّر نفسك بشكلٍ مختلف عما أنت عليه في الحقيقة، أو أي شيء آخر أعرفه. تلك هي الأشياء التي تؤذي الناس. أما البقية فهي حوادث حياة، لا يمكـن لأحـد أن يـتوقعها أو يمنعها، وما تفعله بشأنها هو ما يهم. ليس هناك ضـمانات بـين اثنـين مـن الناس يا كوين. يمكنك فقط أن تقوم بأفضل ما تـستطيعه". ما كان يقلقه ويمزقه من الداخل أنه لم يكن يعتقد بأنه قد فعل. لم يكن بالإمكان تغيير هذا الآن، ولا يمكن إرجاع عقارب الساعة إلى الوراء. لقد فعلـت جين أفضل ما بوسعها، وكذلك ماغي حيث كان يعرف هذا من كل ما خبـره عنها. ولكنه لم يفعل وكذلك زوج ماغي. وكل ما كان باستطاعة كوين أن يفعلـه الآن هـو أن يتقبل ذلك. لن يستطيع أبداً أن يمحو الألم الذي سببه لأولـئك الذين أحبهم، ولم يُرِد أن تكون ماغي ضحية أخرى من ضحاياه حتى لـو كانـت هـي مستعدة لذلك. لقد أراد لها أكثر من ذلك حتى لو عنى ذلك حمايـتها مـن نفسه. لم يظن بأنه يستحق حبها، كما لم يشعر بأنه استحق حب جين. كانت يومياتها والألم الذي قرأه فيها دليلاً بيّناً على ذلك.

قالت ماغي: "لا تكن قاسياً جداً على نفسك".

ردّ بحـزن: "لم لا؟ لا تكوني كريمة جداً معي". كان حزيناً لأن حاله لن يأتـي معـه، حزيناً لأنه كان سيتركها. ورغم كل الفرح الذي علم أن سفينته سـتمنحه إيـاه، إلا أنه كان يعلم بأنه لم يكن علامة للنصر بل للهزيمة، وذلك عـندما يبحر بها في النهاية. كان يعرف بأنه قد أخفق في منح جين أفضل ما كـان يـستطيعه، وبطريقة ما، كان يفعل الشيء نفسه مع ماغي. كانت قانعة بالـزمن الوجيز الذي كانا يتقاسمانه، وكانت تفعل ما طلب منها فعله، وهو أن

تمنحه لفتـرة، ثم، ومن باب حبها المتزايد له، أن تتركه يرحل. كان تلك قمة الحب، وكانت مستعدة لتمنحه ذلك. كان يعلم أن ما يطلبه منها كان كثيراً، وبكل إنصاف، ربما كان كثيراً جداً.

بينما رفعت بصرها نحوه، همست قائلة: "أحبك يا كوين". وأراد أن يقول لهـا الكلمات نفسها، لأنه كان يشعر بها في قلبه، وأراد أن يعيدها إليها. ولكن الكلمـات التـي رغـب في قولها لها عُززت بإحكام في حنجرته، ولم تستطع الوصول إلى فمه. وهو يلتفت بوجهه بعيداً عنها، كانت هناك دمعة في طرف عينه، انزلقت ببطء أسفل وجنته.

12

مرَّ شهرا تموز وآب عليهما على نحوٍ جميلٍ وهادئ. كان كوين قد أنهى معظم عمله المتعلّق بأملاك جين. كان قد فحص كل شيء تقريباً في المنزل، وسقفه، وعلّيه، وأرسل الكثير من الأشياء إلى المزاد العلني Sotbby في نيويورك. كما اتصل بأليكس في جنيف عدة مرات، وسألها عن قطع الأثاث التي تريدها. وقد طلبت فقط بضع قطع مفضلة لديها، ولوحة تمثّل صورة لأمها، وطلبت منه أن يخزّن ما تبقى. قالت بأنها لا تملك المكان الكافي في بيتها لأي شيء إضافي حالياً. وفي كل مرة كان يتصل بها كانت تنهي المكالمة بأسرع ما يمكنها. فحالما يفرغان من حديثهما المتعلق بالعمل، كانت دوماً على عجلة لإنهاء المكالمة. لم يكن كوين قد رآها لأكثر من سنة منذ جنازة أمها، وقد تحدث بهذا الشأن مع ماغي في يومٍ ما بينما كانا يجلسان على متن السفينة، يستمتعان بشمس الصيف، وهما مبحران في آخر فترة بعد الظهر. كانا يقضيان معظم وقتهما على السفينة في تلك الأيام، وكان جاك لا يزال يأتي لتناول العشاء معهما كل مساء جمعة. لم يكن يجلب معه ميشيل عند حضوره، حيث كان يحب أن يكون بمفرده مع كوين وماغي. ولكنه قال إنه كان سعيداً معها، وقد تقبلت أمسياته الأسبوعية مع صديقيه بروح رياضية طيبة.

سأل كوين ماغي بشأن أليكس: "ماذا عليّ أن أفعل بشأنها؟ لا أستطيع أن أنفذ إليها مطلقاً. إنها تصدّني كلياً". وأخبرها عن مكالماته الهاتفية بخصوص الأثاث، حيث كانت أليكس تشكره، وتنهي الحديث بسرعة بمجرد أن تجيب على أسئلته.

أجابت ماغي: "ستفكر بالأمر يوماً ما. ربما إذا حدث لها شيء أو أخافها شيء. لا يمكنها أن تصدك للنهاية يا كوين. إنها ابنتك. إنها بحاجة إليك، تماماً كما أنت بحاجة إليها".

قال وقد بدا قلقاً: "لا، إنها لا تحتاجني". كان ذلك أيضاً إخفاقاً آخر من جانبه تجاه جين. كان يعلم بأنها ستكون متكدرة جداً، لو عرفت مدى الجفاء بينهما وخاصة بعد وفاتها. وأضاف: "إنها مع زوجها وابنيها. إنها لا تحتاجني".

قالت ماغي: "إنها تعاقبك. لا يمكنها أن تفعل ذلك إلى الأبد. في يوم من الأيام ستدرك على حقيقتك، وحتى إن لم تكن متواجداً دوماً لأجلها في الماضي، فستفهم في النهاية لماذا لم تكن كذلك".

قال: "لست واثقاً حتى إن كنت أنا نفسي أفهم السبب. كنت مشغولاً على الدوام في تلك الأيام. كنت أحسب بأني أبني شيئاً، وقد كنت بالفعل. كان ذلك أكثر أهمية بالنسبة لي من الوالدين أو جين. لقد أفسدت جميع أولوياتي. الشيء الوحيد الذي اهتممت بشأنه كانت الإمبراطورية التي كنت أبنيها، والمال الذي صنعته، والصفقة التالية على الطاولة. لم أكن أعرف ذلك حينها، ولكني أخطأت الهدف كلياً". وعندما قال ذلك، فكّر في دوغ وجين وكم تتغير الحياة بسرعة خاطفة، وتضيع الفرص إلى الأبد. وقد فهم ذلك أخيراً، ولكن بعد فوات الأوان.

قالت ماغي بحنان: "الكثير من الرجال يفعلون ذلك يا كوين"، وللحظة غريبة، تمنى لو أنه كان متزوجاً منها في ذلك الحين وليس من جين. وعلى الفور أحس بالذنب لفكرته تلك، ولكن جين أصبحت ضحية بالنسبة له. كانت ماغي، بعد كل ما قاسته، ذات بصيرة تستطيع النفاذ إلى داخله أكثر، وقد تفهمت وضعه أكثر بكثير مما فعل هو نفسه. كانت امرأة مختلفة تماماً عن تلك التي كانت لديه. وأضافت ماغي: "لستَ الوحيد الذي فعل ما فعلته. أحياناً تترك الزوجات رجالهن من أجل ذلك، ويغضب الأبناء. يشعر الناس

أنه قد تم خداعهم بسبب ما لم يحصلوا عليه. ولكن الذي لا يرونه هو ما كانوا يملكونه بالفعل، وإنّ ذلك كان أفضل ما يستطيع الرجل فعله في ذلك الوقت. لا يمكنك أن تنجح في كل شيء، أو أن تكون مثالياً بالنسبة لكل أولئك الذين تحبهم. هناك نساء يفعلن الشيء ذاته هذه الأيام، يركّزن على حياتهن المهنية، ويقصّرن مع عائلاتهن. من الصعب الإبقاء على كل تلك الكرات في الهواء". ولكن الكرات التي أسقطها كوين كانت الأناس الذين أحبهم. كان يعلم هذا الآن، ولكنه كان يعلم أيضاً بأنه قد فهم هذا بعد فوات الأوان بكثير. وسألته ماغي: "لماذا لا تدعو أليكس لتأتي، وترى السفينة في هولندا؟".

قال بكآبة: "إنها تكره السفن"، وأغمض عينيه بينما سألت ماغي: "ماذا عن الصبيين؟".

أجاب: "إنهما صغيران جداً. في السابعة والعاشرة من عمرهما، ولن تأتمنني عليهما أبداً. وبالإضافة لذلك، لم أكن أبداً قريباً من ولديّ عندما كانا في تلك السن. كيف لي أن أعرف ما الذي يجب عليّ فعله مع طفلين بهذه السن على متن سفينة؟" بدت الفكرة جنونية بالنسبة له.

قالت: "أراهن بأنك ستحظى بكثير من المرح معهما. إنهما في العمر المناسب تماماً لتتعلمهما الإبحار. وعلى متن سفينة بحجم فول دو نوويه، سيكونان آمنين تماماً. حتى أليكس لا يمكنها أن تعترض، ويمكن لأفراد الطاقم أن يساعدوك في العناية بهما إذا طلبت منهم ذلك. لماذا لا تعرض أن تصطحبهما معك في الرحلات البحرية التجريبية؟" فكّر بذلك، ولكنه لم يستطع أن يتخيل أن ابنته ستوافق على ذلك، وتحديداً بعد ما حدث مع دوغ. كانت السفن الشراعية لعنة بالنسبة لها، ولكن ماغي كانت محقة بالطبع. فعلى سفينة بحجم فول دو نوويه، سيكون الصبيان في مأمن من أي خطر كان، ما لم يقفزا منها وهي مبحرة، وهو شيء لن يقدما على فعله كما كان يعلم، فقد كانا عاقلين وحسني السلوك.

قال بغموض: "سأفكر بالأمر"، ومن ثم التفت إليها وهمس قائلاً: "إنك طيبة معي للغاية". كانت العلاقة بينهما قد أصبحت سلسة، ودافئة، وطريفة أحياناً بقدر ما كانت ماغي نفسها. كانت خليطاً استثنائياً من كل الأشياء التي يمكن للرجل أن يحبها في المرأة. كانت توقظ فيه إحساساً لم يعرفه في حياته من قبل. كان يقع في حبها أكثر فأكثر، ومع ذلك لم يستطع أن يجبر نفسه أبداً على قول الكلمات لها.

وجّها دعوة لجاك وميشيل لقضاء عطلة نهاية الأسبوع على ظهر السفينة، وأبحروا على طول الساحل باتجاه سانتا باربارا. كان البحر هائجاً، وكانت ماغي تحبه عندما يكون كذلك، حيث كان يبدو أكثر إثارة بالنسبة لها، ولكن ميشيل أُصيبت بدوار البحر في طريق العودة، واعتذر جاك لكوين عن قلة مهارتها في الإبحار، وكانت لا تزال مُحرجة عندما غادرا.

قالت ماغي لكوين عندما جلسا لتناول العشاء في تلك الليلة: "الطفلة المسكينة، إنها شابة لطيفة". ولكنها بدت صغيرة جداً بالنسبة لكليهما، كان كوين قلقاً من أنها قد لا تكون ذكية بما يكفي لجاك. ولكن ماغي واظبت على طمأنته: "ستكون جيدة له". كان بإمكانها أن ترى فيها شيئاً لم يره كوين كما بدا واضحاً. كان لا يزال يتمنى لو أن جاك يبحر معه على متن الفول دو تويه، وكان يرى بأنها ستكون أكثر التجارب إثارة في حياته. ولكن جاك لم يكن يريد الإثارة، بل كان يريد جذوراً، واستقراراً، وعائلة، وتعليماً، وكل الأشياء التي لم يملكها أبداً، والتي كانت الآن في متناول يده، ويعود معظم الفضل لكوين. وأضافت: "لقد منحته شيئاً أفضل بكثير من رحلة بحرية حول العالم. لقد منحته محاولةً لتحقيق أحلامه. ما كان بوسع أي أحد آخر أن يفعل ذلك من أجله".

قال كوين بتواضع: "كل ما فعلته هو أني علّمته القراءة. يمكن لأي شخص أن يقوم بذلك"، ولكنها هزت رأسها وقالت: "النقطة هي، أن أحداً لم يفعل". اكتفى كوين بهز رأسه، ولكنه كان مسروراً بأن الأمور قد سارت على نحوٍ جيد كما هي الآن. كانت علاقةً عرف أنه سيتقاسمها دوماً مع جاك، ولم

ينسَ أبداً بأن جاك هو من أدخل ماغي إلى حياته. بدت خجولة جداً، وحزينة، وخائفة في المرة الأولى التي خطت فيها إلى داخل مطبخه. والآن كانت تتفتح وتستمتع بالإبحار معه. كان يعلم بأنها كانت تشعر بالحزن على ابنها في بعض الأحيان، ولكن لم تعد عيناها تحملان تلك النظرة الكئيبة والتي كانت ملازمة لها عندما التقيا لأول مرة بعد العاصفة الكبيرة.

قال لها وقد خطرت على باله العاصفة التي تعرضا لها يوماً: "كنت محظوظاً بتلك العاصفة، لقد أحدثت فتحة في سقف منزلي، وجرفتكِ مباشرة فيها".

قالت وهي تبتسم إليه: "كنت محظوظة بها أكثر".

كان في الأشهر القليلة المنصرمة، قد شعر بعاطفتها أكثر مما حلم به أبداً. كانت علاقته مع جين مختلفة جداً، حيث كانت علاقة احترام، وإخلاص، ورفقة هادئة عندما يكونان سوياً. أما ما تشاطره مع ماغي فكان أكثر حيوية وأكثر فرحاً كما كانت ماغي نفسها.

كانت الأيام الأخيرة في شهر آب أفضل من أي يوم مضى بالنسبة لهما، حيث كانا يبحران باستمرار تقريباً. وبدا أنهما يزدادان قرباً من بعضهما يوماً بعد يوم، ربما لأنهما كانا يعلمان بأن أيامهما الأخيرة كانت تقترب. فبدلاً من الابتعاد عن بعضهما، بدا أن ماغي كانت تزداد حباً له يوماً بعد يوم، وكان باستطاعة كوين أن يشعر بنفسه وهو ينجرف باتجاهها أكثر فأكثر، ولم يعد يشعر بأية رغبة في مقاومة إحساسه ذاك. كان يشعر بالأمان معها أكثر مما شعر مع أي أحد في حياته كلها. وكأنما كان يعرف في أعماق قلبه، أنه يستطيع أن يثق بها من جميع النواحي. وخلال الشهر أو الشهرين المنصرمين، تلاشى أخيراً حلمه المتكرر. كان لا يزال يفتقد جين، ولكن على نحوٍ مختلف. كان الآن يشعر بسلام أكثر مع نفسه.

لم يتركا ماغي إلا عندما جاء ناقلو الأمتعة لإفراغ المنزل. كان سيرسل كل ما تبقّى إلى التخزين، وكان قد أرسل لأليكس أغراضها فيما مضى، كما

كان سيأخذ معه عدة حقائب من الثياب والأوراق عند ذهابه إلى هولندا في أيلول من أجل الرحلات البحرية التجريبية. كان قد خطط للبقاء على موالي ب لحين موعد سفره، حالما يتم إفراغ المنزل. وأحس بشعور غريب، وهو يرى ناقلي الأمتعة يفرغون المنزل. شعر بوخزة ألم، في كل مرة، كان يرى فيها قطعة مفضلة مألوفة يتم تحميلها في الشاحنة، وكأنما كانوا يأخذون بعيداً معالم من حياته. وعندما أصبح المنزل فارغاً أخيراً، وقف ينظر حوله، وأحس بألم رهيب في قلبه.

قال بصوت عال: "وداعاً يا جين"، وسمع صدى صوته في الغرفة الفارغة التي ماتت فيها. بدا الأمر وكأنه يتركها هناك. ولأول مرة منذ أربعة عشر شهراً، أحس بأنه كان يتركها خلفه. بدا مفتتاً، عندما لاقى ماغي على متن السفينة مرة أخرى في ذلك المساء.

سألته بلطف: "هل أنت بخير؟"، وبدت نظرتها قلقة. أومأ لها، ولكنه بالكاد تكلّم معها إلى أن انتهيا من تناول العشاء في ذلك المساء. حاول أن يشرح لها، كم كان شعوره غريباً، وهو يراقب أغراضهما يتم أخذها بعيداً، ووقوفه وحيداً في المنزل الفارغ.

قالت: "شعرت على هذا النحو عندما انتقلت من المنزل الذي مات فيه أندرو. أحسست أنني كنت أتركه هناك، وكرهت ذلك. وقفت هناك فقط مع ناقلي الأمتعة وبكيت، ولكني سعدت بعد ذلك بانتقالي إلى المنزل في فاليجو. ما كنت لأستعيد عافيتي هناك. لقد عشت وتشارلز في ذلك المنزل، وأندرو مات هناك. كان من الصعب الصمود يوماً بعد يوم"، وأضافت بسخاء: "سينفعك وجودك على السفينة". لم تكن قد اعترضت أبداً على رحيله بعد، وهو ما ترك عند كوين انطباعاً قوياً. لقد وفت بكل ما كانت قد وعدت به، ولكنه كان آسفاً فقط لأنه لا يستطيع أن يصطحبها معه في الرحلات التجريبية. كان سيرحل بعد عيد العمال مباشرة، وكانت ستعود للعمل في اليوم التالي لرحيله إلى هولندا، ومن ثم سيعود إلى سان فرانسيسكو لأسبوعين قصيرين بعد ذلك.

وحتى في اليوم الذي سبق رحيله، لم يكن قد قرّر بعد ما الذي سيفعله بشأن أليكس. بقيت ماغي على إصرارها بأن يتصل بها، ولكنه لم يفعل، وكأنما كان خائفاً من فعل ذلك. في تلك الليلة فقط، جلس إلى مكتبه، واتصل بها. كان الوقت صباحاً في جنيف.

قالت بصوت جذل ما إن سمعت صوت والدها: "لقد استلمت الأثاث. شكراً جزيلاً لك. وصل كله بحالة جيدة. لا بد أنه كلّفك ثروة لشحنه". كان قد أرسله بالشحن الجوي.

طمأنها قائلاً: "كانت أمك سترغب في حصولك عليه". ولكن لدى ذكره لجين، كان بوسعه أن يسمع أليكس وقد سكتت تماماً.

قالت أليكس متأملة: "أسعدني الحصول على اللوحة"، ومن ثم فكّرت في شيء وقالت: "أين تسكن الآن؟" كان قد أخبرها لتوه بأن كل شيء قد تم إرساله للتخزين. كان يريد إنجاز ذلك قبل مغادرته لرحلات البحر التجريبية، حيث كان يرغب في قضاء أسبوعيه الأخيرين في المدينة بهدوء مع ماغي، دون أن يكون لديه ما يقلقه بشأن التفاصيل الأخيرة. وكان قد وافق على تسليم المنزل لمالكيه الجدد قبل أسبوعين من الموعد المتفق عليه.

قال: "لقد استأجرت سفينة للصيف. سأبقى على متنها عندما أعود، سأكون هنا لأسبوعين فقط قبل أن انضم للسفينة في هولندا". كان قد قرر بالفعل أن يجعل أفريقيا محطته الأولى في مغامراته. وأضاف بحذر: "في الواقع، لهذا السبب اتصلتُ بكِ".

قالت: "بشأن السفينة التي استأجرتها؟" بدا صوتها محتاراً، ولكنه أقل برودة من محادثاتهما الأخيرة، وهو ما بدا باعثاً على الرجاء.

أجاب: "لا، كنت أتصل بشأن الرحلات البحرية التجريبية. أنا مسافر إلى أمستردام غداً، وكنت أتساءل إن كان لديك مانع إن توقفت في جنيف".

قالت بجفاء: "أنا لا أملك المدينة"، وأحس بقلبه يهوي.

قال: "تعالي إلى هناك كي أراكِ يا أليكس. أنا لم أرَ الولدين منذ الصيف الماضي. إنهما حتى لن يعرفاني". كانت على وشك القول بأنها لم تعرفه هي نفسها أبداً، فأي فرق سيشكّله هذا إذاً، ولكنها، ولأول مرة، قاومت رغبتها في إيذاء شعوره. أضاف: "في الواقع، لدي فكرة أفضل. كنت أتساءل إن... إن كنت ستحبين... إن كنت ستمانعين... إن كنت ستسمحين لي باصطحابهما معي في الرحلات التجريبية. أنتِ وهورست مرحّب بكما أيضاً، ولكني أعلم أنك لست ببحارة جيدة. ولكنها قد تكون تجربة رائعة لكريستيان وروبرت. أحب أن أصطحبهما معي". كانت هناك فترة صمت طويلة من ناحيتها. كانت قد تفاجأت، ولم يكن لديها فكرة بما تجيب. ولهذا فهي لم تقل للحظة طويلة.

كرّرت كلماته على نحوٍ آلي: "في الرحلات البحرية التجريبية؟ ألا تظن بأنهما صغيران جداً؟ سيكون عليك أن تراقبهما طوال الوقت. وهل السفينة آمنة؟" وبدا أن الصلابة قد اختفت من صوتها لدى سؤالها له. لقد تأثرت رغماً عن نفسها برغبته في اصطحاب الولدين. كانت تعلم بأنه شيء ما كان ليقوم به أبداً من قبل.

ضحك بلطف وهو يجيب: "آمل أن تكون السفينة آمنة. وإن لم يكن كذلك فسأقع في كثير من المتاعب عندما أبحر بها في تشرين. إنها سفينة لا يُستهان بها يا أليكس، وأظن بأن الولدين سيحبانها". وكرّر مؤكداً: "وبالطبع يمكنك أيضاً أن تأتي". أراد بذلك أن تعلم أنه يرحّب بقدومها. ولكنه كان يعلم كم كانت تكره السفن الشراعية، وسبب كرهها لها. تماماً كما كانت جين والأسباب نفسها، وهي - أي جين - قد تسبّبت أن تثير كراهية أليكس لها، أي للسفن الشراعية. كان واضحاً أن مورّثات (جينات) الإبحار لديه لم تنتقل لأليكس، بل فقط لدوغ.

قالت: "يجب أن أناقش الأمر مع هورست"، وقد بدا من صوتها أنها مشوشة بشأن القرار. ولكن على الأقل فهي لم ترفض بعد. وعلى نحوٍ إعجازي، كان بوسعه أن يسمع شيئاً مختلفاً في صوتها، كما سمعت هي في صوته.

قال: "ثم لا أتصل بك غداً قبل أن أغادر. أنا مسافر إلى لندن، وستكون رحلة قصيرة من هناك إلى جنيف، ومن ثم إلى هولندا". كان متفائلاً لبرهة قصيرة، رغم أنه تساءل إن كان التشاور مع زوجها مجرد طريقة منها للمماطلة. لم يستطع أن يصدق أنها ستدعه يصطحب الولدين معه إلى هولندا. ولكنه قرّر بأن ماغي كانت محقة، وكان الأمر يستحق المحاولة على الأقل. لم يقل لها شيئاً بشأن ماغي، فلم يكن هناك داعٍ لأن تعرف. ففي غضون خمسة شهور سيفترق هو وماغي، ولن تفهم أليكس أبداً أنه قد أمضى الأشهر القليلة الماضية برفقتها. سيكون عدم احترام لذكرى أمها إن هو أخبرها، ولذلك لم يفعل. ولدى انتهائه من المكالمة، نظر برجاء إلى ماغي، التي كانت تبتسم له.

سألته: "ماذا قالت؟".

وأجاب: "قالت بأن عليها أن تتكلّم مع زوجها. ولكنها لم تغلق الخط في وجهي، أو تخبرني بأني قد فقدت عقلي، وأنها تفضّل الموت على أن تدعني أصطحب ولديها. هذا شيء مهم".

ردّت ماغي بإخلاص: "أرجو أن تسمح لك بفعل ذلك". ولبقية المساء، أزاح أليكس وحفيديه عن تفكيره، وركّز على المرأة التي أحب. كان يكره أن يتركها، وتمنّى لو كانت تستطيع المجيء في الرحلات البحرية التجريبية. كانوا سيمتحنون فول دو لوبه، ويمتحنون جودها خلال الثلاثة أسابيع التي سيقضيها على متنها، وبعد ذلك سيعود إلى سان فرانسيسكو. كان قد أخبر ماغي بأن تستخدم مولّي ب متى شاءت، ولكنها شكرته، وقالت بأن وجودها على السفينة بدونه سيجعلها حزينة، وهو ما ترك تأثيراً في نفسه.

أمضيا أمسية طويلة برفقة بعضهما، لم تسمح فيها ماغي لنفسها أن تفكّر بأنها كانت تقريباً لحظاتهما الأخيرة معاً. كان لديهما أسبوعان آخران عند عودته، وحتى في ذلك الحين، كانت تعرف بأن عليها أن تتركه يرحل نهائياً. سيكون ذلك أبعد ما يمكن عن السهولة، ولكنه كان ما وعدته به منذ البداية.

ولدى نهوضه في صباح اليوم التالي، اتصل كوين بأليكس في جنيف. حبس أنفاسه عندما رنت. كان وقت العشاء تقريباً في سويسرا، وكان بوسعه أن يسمع صوت الصبيين في الخلف.

سأل: "ماذا قال هورست؟"، معطياً إياها مخرجاً في حال احتياجها إليه. يمكنها أن تضع اللوم على زوجها، إن كانت سترفض دعوته لحفيديه.

قالت بصدق وبصوت مخنوق: "لقد... إيه... لقد سألت الولدين. قالا بأنهما يريدان الذهاب معك"، وقفزت الدموع إلى عيني كوين ما إن اعترفت بذلك. لم يكن قد أدرك حتى ذلك الوقت كم عنى ذلك له، وكم كان عرضة للانهزام تجاهها. ورغم أن ذلك ما كان يتوقعه منها، إلا أنه عرف الآن بأن مشاعره كانت ستجرح لو رفضت عرضه. لم تكن قد وافقت بعد، وكان أكيداً تقريباً بأنها لن تفعل.

سأل بحذر وهو يدعو أن توافق: "هل ستسمحين لهما؟". كان بالكاد يعرف كريستيان وروبرت، وكانت هذه فرصة ذهبية لفعل ذلك، وبطريقة سيتذكرانها دوماً.

قالت بهدوء: "نعم، سأفعل يا والدي". كانت أول إشارة من الثقة والاحترام تظهرها له في حياتها كلها. جميع ذكرياته عنها كانت خليطاً من الغضب والإستياء. كانت هذه المرة مختلفة قطعاً. وأضافت: "احرسهما جيداً. كريس لا يزال طفلاً صغيراً، ولكنّ روبرت مستقل جداً. لا تدعهما يتسلقان الصواري، أو يقومان بأي فعل جنوني". كانت أعظم هدية من الحب يمكنها أن تمنحه إياها، أن تأتمنه على ابنيها. لقد انتهت الحرب بينهما أخيراً، أو على الأقل تم رفع أول علم أبيض.

سألها: "هل ترغبين في المجيء معهما؟"، ومرّة أخرى حاول دعوتها، ولكنها كانت سريعة في الاعتذار عن قبول الدعوة.

قالت: "لا أستطيع. أنا حامل في الشهر السادس". وأجفله سماع ذلك، وتذكّره مرة أخرى بأنها لم تكن تشركه في شيء تقريباً من أخبارها. ولكنهما

كانا قد قطعا شوطاً طويلاً ذلك الصباح، وكان يأمل بأنه سيكون بداية عهد جديد في حياتهما.

قال: "ستعتني بهما جيداً، أعدك بذلك". سيحرسهما بحياته لأجلها، فلم يكن يريدها أبداً أن تعاني من المأساة التي عانيا منها هو وجين. وقد كانت مأساة أليكس أيضاً عندما فقدت أخيها. لقد صدمها ذلك، وقد علم كوين من جين بأن ابنته كانت حذرة للغاية مع ابنيها، وهو ما جعل الأمر بأكمله أكثر معنى بالنسبة له حيث ائتمنته عليهما، وتحديداً بعد كل تلك الخصومة بينهما. كانت تلك إشارة هائلة لصفحها وثقتها به. قال: "شكراً يا أليكس. لا تعرفين ما الذي يعنيه ذلك لي"، وبدا صوتها أجشاً عندما أجابته. كانت قد فكّرت بالأمر طوال اليوم، محاولة أن تقرر ما الذي ينبغي عليها فعله. قالت: "أحسب بأن بيني كانت ستوبخني لو لم أفعل ذلك". لم يكن أكيداً بأنه موافق معها، بالنظر إلى كره جين للسفن، ولكنه لم يكن ليجادلها في تلك النقطة. لا بد أنها كانت ستكون مسرورة بإعادة العلاقات الودية بينهما.

قال: "سأعيّن مذاكر السفر في المطار، وسأكون في جنيف غداً. سأتصل، ولعلك تعرفين موعد وصول الطائرة، وموعد سفرنا إلى هولندا. ربما سيكون عليك ملاقاتي في المطار، ويمكنني زيارتك عندما أعيدهما ثانية إلى جنيف، إن كان ذلك مناسباً لك". لم يكن واثقاً أنه مُرحّب به.

قالت بهدوء: "أحب ذلك". كان عرضه لاصطحاب ابنيها معه بمثابة عيد الظهور بالنسبة إليها، وربما بالنسبة لكليهما. فيما عدا طفليها وزوجها، كان كوين هو كل ما لديها الآن. وأضافت: "كم سيمكثان معك؟". كانت قد نسيت أن تسأله قبل ذلك، وقد تفاجأت عندما أخبرها.

أجاب: "تستمر الرحلات التجريبية لثلاثة أسابيع، ولكن يمكنني أن أعيدهما إليك في وقت أقرب، إذا كانت مدرستهما ستبدأ. سآتي بهما بنفسي إذا أحببت، أو ربما يمكنني أن أرسل معهما أحد أفراد الطاقم. ولكني أود رؤيتك".

قالت: "احتفظ بهما قدر ما شئت يا ولدي". كانت فرصةً نادرة لوالديها، ولم يكونا بهذه السن الكبيرة بالنسبة للمدرسة ليشكّل ذلك فرقاً يُذكر. وكانت أكيدة بأن والديها سيُغرمان بسفينة جدهما الشراعية. لا بد أن ذلك في جيناتهما، حيث كانا دائماً يتكلمان عن الإبحار، وكانا يحبان السفن.

قال: "شكراً يا أليكس. سأتصل بك لاحقاً". كانت رحلة كوين في الساعة السادسة من مساء ذلك اليوم، وكان لا يزال لديه بعض الأمور التي يجب إنجازها قبل أن يغادر إلى المطار. ومن بين تلك الأمور، كان التوقيع على بعض الأوراق في مكتب المحامي. وعندما أغلق السماعة، كانت ماغي تنتظر لتسمع عن قرار أليكس.

سألته: "ماذا قالت؟"، وبدت متلهفة. كانت قد غادرت الغرفة أثناء معظم المحادثة.

ملأت الدموع عيني كوين عندما أجابها: "سيأتيان معي". وانطلق منها هتاف مرح، وضحك هو، فيما راحت هي ترقص في أرجاء الغرفة. كانت مسرورة كما كان هو. كانت تعلم ما الذي عناه له أن يحصل على دليلٍ على غفران ابنته. كانت أعظم هدية يمكنها أن تمنحه إياها.

أعدّ حقيبة سفره على متن السفينة، وبعدها بنصف ساعة، غادر إلى مكتب المحامي. كان سيلاقي ماغي في منزلها عند الساعة الثالثة من بعد ظهر ذلك اليوم حيث كانت ستوصله بالسيارة إلى المطار. وعندما التقاها هناك، كان يرتدي بذلة، وربطة عنق، ويحمل حقيبة أوراقه. كانت قد أحضرت معها حقيبة سفره من السفينة وكان كلاهما جاهزاً. كانت ترتدي ثوباً أسود وحذاءً عالي الكعب، وبدت صغيرة وجميلة. كان يكره أن يتركها، وأخبرها بذلك في السيارة وهما في طريقهما للمطار.

قال: "أتمنى لو كنت ذاهبة معي".

قالت بلطف: "وكذلك أنا"، متذكّرة رحلتهما القصيرة إلى هولندا قبل ثلاثة أشهر عندما رأت القول دو نويه لأول مرة. كانت سفينته الشراعية منافستها

الوحيدة في حبه، ولكنها رغم ذلك كانت منافسة هائلة، وفي النهاية ستكون السفينة هي المنتصرة، أو بالأحرى حريته ستنتصر. ولم تفعل ماغي شيئاً لتقاوم ذلك. كان ذلك واقعاً لحبها إياه، وقد تقبلته.

رافقته داخل المطار ما أمكنها ذلك، وقبل أن يودعها أخبرها بأنه سيتصل بها ما إن يصل إلى السفينة، وأمل بأن يكون نظام الاتصالات في السفينة بكامل فعاليته. قال ممازحاً: "وإن لم يكن، فسأتصل بك من هاتف العوض، أو على الأرجح من مكتب تيم هاكر".

قالت بسخاء: "تمتع بوقت رائع"، ومن ثم نادته قائلة: "استمتع مع حفيديك!"، التفت إليها، وابتسم لها، وتكلّم بصوت واضح وقوي وهو ينظر في عينيها ويومئ:

قال: "أحبك يا ماغي"، بينما كانت تُحدق به. كانت المرة الأولى التي ينطق بها بهذه الكلمات. ولكنها كانت قد منحته الكثير من الهدايا، ومن بينها هدية اقتراحها بأن يتصل بأليكس. لم يكن ليرتكب الخطأ نفسه مرة أخرى، ويحتفظ بشعوره سراً. وبالإضافة لهذا، فقد استحقت ذلك. تلك الكلمات، المُستحقة كثيراً، قد تم اكتسابها بجهد.

13

اتصل كوين هاتفياً بأليكس من قاعة انتظار الدرجة الأولى وبدا صوتها ناعساً عندما رنت. كانت الساعة عندها الواحدة من بعد منتصف الليل، أخبرها بسرعة عن موعد وصوله في ذلك اليوم، وعن رقم رحلته من لندن. ومن ثم أخبرها أن تعاود النوم، وأقفل السماعة. كان متحمساً لرؤيتها، ومسروراً لكونها حاملاً. وكان يعلم بأن جين ستكون سعيدة لأجلها أيضاً. ولكن ولأول مرة، لم يكن يفكّر بجين، وهو جالسٌ ينتظر رحلته. كل ما كان بوسعه التفكير به الآن هو ماغي، وقد بدأ يدرك كم سيكون صعباً عليه أن يتركها. لن يكون الأمر بتلك السهولة التي حسب أنه سيكون بها في البداية. كان عليه أن ينتزعها من جلده، كما ينتزع ضمادة تلتصق بجرح. لقد حمت قلبه للأشهر الكثيرة الماضية، وسيعرّضه الرحيل عنها للأذى مرة أخرى. ولكنه كان يعلم بأن لا خيار لديه، فتأجيل رحلته لن يزيد الأمر إلا سوءاً، كما أنه لا يستطيع أن يأخذها معه. كان يعرف بأن اصطحابها لن يكون بالعمل الصائب. كان قد أخذ على نفسه عهداً فيما يخص ذكرى جين، وهو أن يكفّر عن خطاياه وأن يكون وحيداً. كان مقتنعاً بأن هذا هو سبب عدم رؤيته للحلم المتكرر مجدداً. لقد أبرم وضميره اتفاقاً، وعقدا صلحاً للوفاء بوعده لها، وإلا فسيستبد به إحساسه بالذنب إلى الأبد. لقد احتاج إلى العزلة في حياته على متن السفينة من أجل نفسه، واحتاج إلى الحرية ليرحل تماماً كما كان قد أخبر ماغي في البداية بأنه سيفعل. وأهم من كل شيء، كان بحاجة لحريته، وشعر بأنه لا حقّ له بالرفقة إلى الأبد. عليه أن يرحل. كما أن ماغي كانت بحاجة لأن تعود إلى حياتها الخاصة مع الأصدقاء والأناس الذين تعرفهم، وإلى عملها بالتدريس. لا

يمكنه أن يجرّها معه حول العالم. عليه أن يفعل ما قال بأنه سيفعله. ومهما كان أمر رحيله عنها مؤلماً لكليهما، إلا أنه يجب أن يقوم به. ولكنه، وللمرة الأولى في حياته، كان قد بدأ يشك بمدى رغبته في الحرية.

ولكن ما إن أصبح على متن رحلته إلى لندن، حتى شعر بحالٍ أفضل، وقال لنفسه بأن تعلّقه إلى هذا الحدّ بها إنما هو إشارة لتقدّمه في السن، وسيكون من الأفضل لكليهما إنهاء العلاقة. بطريقة ما، كان ينظر إلى حبّه لها كضعف، ولا يمكنه أن يسمح لنفسه بإطلاق العنان له.

نام خلال الرحلة، وهو ما كان نادراً بالنسبة إليه. وفي لندن، انتقل من طائرة إلى أخرى خلال ما توفّر لديه من دقائق. وصل إلى جنيف عند الساعة الخامسة بالتوقيت المحلي للمدينة، وفي الدقيقة التي غادر بها الطائرة، شاهد أليكس. كانت مسدلة شعرها الأشقر كما تفعل ماغي، وقد أدهشه أن يدرك بأن ماغي كانت تبدو صغيرة مثلها، وتأثر عندما رآها حاملاً. لم يرها أبداً على هذا النحو سواء أثناء حملها بكريستيان أو روبرت. مشت تجاهه بحذر بينما كان الصبيان يمشيان على بُعد خطوات قليلة منها، وهما يحملان حقائب الظهر ويبدوان تقريباً مثلها تماماً. كانا صبيين صغيرين مليئين بالحيوية يمتلكان شعراً كتانياً، وكانا يدفعان بعضهما بمنكبيهما ويضحكان.

كانت عينا أليكس جديتين عندما رأت والدها، وسألته دون أن تلمسه: "كيف كانت رحلتك؟". لم تقترب منه لتقبّله أو تعانقه، بل أبقت ذراعيها على جانبيها، ونظرا إلى بعضهما. لم يكن قد رآها منذ أن غادرت جنازة جين، وهي قد فعلت ذلك آنذاك دون حتى أن تودّعه. كان هذا لقاءهما الأول.

قال كوين وهو يبتسم لها: "تبدين جميلة"، وبالكاد استطاع أن يقاوم رغبته الملحّة في عناقها، ولكنه كان يعرف بأن الدعوة لفعل ذلك، أو على الأقل الإشارة، يجب أن تأتي منها.

قالت والدموع تملأ عينيها: "شكراً يا والدي"، وعلت عينيه غشاوة. ومن ثم مدّت ذراعيها نحوه، فضمّها بين ذراعيه، تماماً كما كان يفعل عندما كانت

طفلة صغيرة، وهو ما لم تعد تذكره. قالت بصوتٍ مخنوق، وهي تشهق بالبكاء: "لقد اشتقت إليك".

"وكذلك أنا يا حبيبتي... وكذلك أنا". ووقفا معاً بينما كان الصبيان يتدافعان حولهما ويشدان أمهما. وفي اللحظة التي أفلتها كوين فيها، كان كل حفيد منهما يشده من يد ويسأله ألف سؤال. وقد أدهشه أن يدرك بأن حفيديه الاثنين كانا يتكلمان الإنكليزية بلهجة سويسرية. كان هورست وأليكس يتكلمان معهما بالفرنسية، ولكن رغم لهجتهما إلا أنهما كانا يتكلمان الإنكليزية بطلاقة. كان لا يزال ممسكاً بيد أليكس وهو يجيب على أسئلة الولدين.

كان أمامهم ساعة من الوقت قبل موعد الرحلة إلى هولندا، واقترح كوين بأن يذهبوا إلى أقرب مطعم لتناول الآيس كريم، وهو ما رآه الصبيان قراراً رائعاً. كانا يتكلمان في نفس الوقت، ابتسمت أليكس وهي تمشي على طول الطريق بجانب والدها. بدت جميلة وشابة وقد ظهر عليها الحمل بشكلٍ واضح، وللحظة تمنى كوين لو كان بإمكان ماغي أن تراها. كان واثقاً بأنهما ستحبان بعضهما.

بينما كانت تأكل الآيس كريم مع والدها، أطرته قائلة: "تبدو رائعاً يا والدي". كان كوين قد طلب فنجاناً من القهوة حيث كان قد بدأ يشعر بالتعب من جراء الرحلتين اللتين قام بهما حتى الآن واختلاف التوقيت. ولكنه عندما نظر إليها، شعر وكأن كل الغضب الذي كانت تشعر به تجاهه لمدة طويلة قد تبدّد. لم يعرف أين تلاشى، ولكنه كان ممتناً لاختفائه.

بعد ذلك بنصف ساعة، ركب متن الطائرة مع الصبيين. سيكونون في أمستردام عند الساعة السابعة والنصف، وعلى متن السفينة بعد ذلك بساعتين. كان قد أعلم أفراد الطاقم مسبقاً بقدومهما، وكانت رئيسة المضيفات ستساعده في مراقبتهما. لم يُرد أن يصيبهما أي مكروه، فهو يدين لأليكس بهذا القدر، وقد طمأنها بذلك مرة أخرى قبل مغادرتهم مباشرة. قال لها بأن تسترخي، وتستمتع بثلاثة أسابيع من الهدوء مع زوجها، ووعدها بأنه إذا تملّكهما الشوق

والحنين للبيت والوطن فسيعيدهما في وقت أقرب. كانت تلوّح بيدها، وتمسح دموعها عن عينيها عندما رآها آخر مرة. وخلال الرحلة بأكملها، كان مشغولاً بالصبيين، وكان ممتناً لما وفرته لهما المضيفات من وسائل لهو، حيث أعطوهما كتب تلوين، وأقلاماً ملونة، وأحضروا لكل منهما كوباً من عصير الفاكهة. وقد أبقاه الولدان ضاحكاً ومسلياً. ورغم أنهما لم يرياه لأكثر من سنة، إلا أنهما شعرا بالارتياح الكامل معه. أرادا أن يعرفا كل شيء عن السفن الشراعية، وقد أبقاه هذا متيقظاً للغاية ومسلياً وهو يجيب على كل أسئلتهما.

ولدى وصولهم إلى أمستردام، كان في استقبالهم القبطان، ومعاونه الأول، وتيم هاكر. كانوا قد أحضروا معهم سيارة ستيشن، وقد أبقى المعاون الأول الصبيين مسليين طوال الطريق إلى السفينة. وحالما وصلوا إلى هناك، ذُهل الصبيان لحجم السفينة، وانطلقت بهما المضيفة إلى مطبخ السفينة، لتناول العشاء.

كان كوين مسروراً للغاية بكل ما رآه، وقد سأل بشأن ألف من التفاصيل، وكان سعيداً بكل إجابات تيم هاكر. كان هو وابناه سيرافقونه في الرحلات البحرية التجريبية، وكانوا قد رسموا وجهة الرحلات بالتفصيل، ولديهم قائمة بمناورات بحرية كان كوين قد ابتكرها لامتحان كفاءة الفول دو نويه وعجم عودها. كان الوقت تقريباً في منتصف الليل عندما استقر كوين في قمرته، وجلس، وقد أطلق تنهيدة، واتصل هاتفياً بماغي.

قالت: "كيف تسير الأمور؟". كانت الساعة عندها تقارب الثالثة من بعد الظهر، وكانت تأمل طوال الوقت بأنه سيتصل، وعندما فعل، اهتزت طرباً لسماع صوته. أضافت: "كيف حال الولدين؟".

أجاب: "رائعان. إنهما يتصرفان وكأنما قد رأياني الأسبوع الماضي، وقد أحبا السفينة". كان قد ذهب ليلقي نظرة عليهما في قمرتهما، ولدى وصوله وجدهما ناعسين بعمق. كان الأمر وكأن أحدهم قد انتزع القابس منهما، وقد فرغا من الطاقة، ويتم إعادة شحن بطاريتهما. وتوقع أنهما سينهضان مع بزوغ الفجر من صباح اليوم التالي.

سألت ماغي بحماس: "كيف هي الفول دو نويه؟".

أجاب: "أكثر جمالاً من أي وقت مضى". وتمنى لو كان بإمكانها أن تراها، ولكنه كان يعلم بأن ذلك لن يحدث، وهو ما عرفته هي أيضاً. لقد رأتها مرة، وقد وعد بأن يجلب معه لدى عودته الكثير من الصور الفوتوغرافية للرحلات التجريبية.

تحدثا لنصف ساعة، وأخبرها كوين بكل التفاصيل. كانت السفينة أكثر روعة حتى مما توقع، كانت تبدو خيالية، وقد أصبحت في الماء الآن. كان لا يزال عليهم بعد أن يعمدوها، ولكنهم كانوا سيقومون بذلك في حوض السفن عندما يعود ثانية في تشرين الأول. كان تيم هاكر سينظّم احتفالاً صغيراً ستكون فيه زوجته عرّابتها، كان كوين سيطلب ذلك من أليكس، ولكن كان من الصعب عليها جداً أن تأتي من جنيف.

سألت ماغي وقد بدا صوتها قلقاً: "كيف كانت أليكس؟"، وابتسم كوين عندما أجابها.

قال: "امرأة مختلفة. ربما تلك التي لم أعرفها أبداً. أحسب أنها قد غفرت لي، أو على الأقل كانت محبة جداً وسمحة النفس. لا أستحق ذلك، ولكنّي ممتنّ لأجله". كانت ماغي قد ألحت عليه ليردم الفجوة بينهما ويتصل بها، وكان ممتناً لذلك أيضاً. لقد لمست يدها الكريمة حياته بألف طريقة، وتلك التي قرّبت أليكس منه مرة أخرى، كانت أهمها جميعاً بالنسبة إليه. لم يكن قد أدرك بعد حتى هذه اللحظة كم كان يفتقدها. كانت رؤيته لها كأنما كان يرى جين مرة أخرى، حيث بدت أليكس شبيهة بأمها إلى حدّ يستوقف النظر، باستثناء أنها كانت أطول قليلاً.

ذكّرته ماغي: "أنت تستحق ذلك بالفعل"، ومن ثم تذكرت ما كان قد أخبرها به في المطار عندما غادر. قالت وهي لا تزال متأثرة به: "شكراً لما قلته لي". كانت تلك أعظم هدية استطاع أن يمنحها إياها، والوحيدة التي أرادتها.

مازحها قائلاً: "ماذا قلت؟". كان يتطلع بشوق للأسابيع القليلة القادمة، وأيضاً لرؤيتها بعد ذلك مرة أخرى في سان فرانسيسكو. كانت هذه هي الرحلة التجريبية لحريته، والصفقة التي ضرب بها أحلامه الحزينة. كان يضحي بالحب الذي وجده مع ماغي، وبنفسه، ليدفع الدين الذي لا يزال يدين به لجين.

ذكّرته قائلة: "قلت بأنك تحبني، ولا يمكنك أن تتراجع عن ذلك الآن".

قال: "لم أكن أنوي ذلك". ولكن ذلك لم يغيّر شيئاً، فهو لا يزال مصمماً على تركها، ولكنه كان يعلم بأنه سيحبها حتى لو فعل ذلك، وربما كان من الأفضل أن تعلم به. لم يكن يرغب بأن يكون قاسياً معها، وذلك بأن يقوّي علاقتهما قبل أن يقطعها، ولكنه كان يعلم كم عنى ذلك بالنسبة لها، وكان أقل ما يمكنه فعله لها هو أن يعترف لها بذلك. كان يحبها بالفعل، وكانت سعيدة لمعرفتها بذلك.

تحدثا لبضع دقائق أخرى، ثم أنهيا المكالمة. وبعد ذلك بعشر دقائق كان نائماً بعمق في سريره الجديد. كان متعباً للغاية، ولكنه سعيد في بيته الجديد على متن القول نو نويه. كان ذلك هو المكان الذي ينتمي إليه الآن.

14

سارت الرحلات التجريبية على نحو جيد للغاية، حيث اشتغلت جميع أنظمة السفينة بشكلٍ أفضل حتى مما كان متوقعاً. وقد حظي حفيداه بكثير من المرح، كما كان أفراد الطاقم أكثر كفاءة مما كان يرجو. وقد مرّت الأسابيع كالدقائق، ولم يستطع كرين أن يصدّق كيف مرّ الوقت بسرعة، وكان قد تكلّم مع ماغي عدة مرات في سان فرانسيسكو. قالت إنها منهكة ومرهقة، وقد نسيت كيف هو التدريس، وكم يمكن أن يكون التلاميذ كثيري الصخب، ولكن بدا من صوتها أنها سعيدة ومشغولة، وأخبرته أنها بالكاد تستطيع الانتظار لرؤيته. كان قد أصر على الاتصال بها على نحوٍ أقل مما كان يرغب. كان يعرف بأن عليه أن يبدأ بالابتعاد عنها الآن، وإلا سيكون الانفصال الأخير مؤلماً إلى حدّ كبير، والوقت لذلك كان يقترب بسرعة. كان يعلم بأنه سيراها مرة أخرى في يومٍ ما، فلم تكن لديه النية في التخلي عنها كلياً. سيتصل بها من وقتٍ إلى آخر، ولكنه كان عازماً على عدم إدخالها في حياته الجديدة. وكان ذلك اتفاقهما منذ البداية، وكان سيعمل على إلزام كليهما به، لصالحه بقدر ما هو لصالح ماغي. ولكنه كان لا يزال يتطلع بشوق إلى أسبوعيه الأخيرين في سان فرانسيسكو. سيكون ذلك هدية كل منهما الأخيرة إلى الآخر.

عندما غادر السفينة كان كارهاً لذلك، وقد بكى الصبيان عندما تركا أفراد الطاقم، ولكن كرين وعدهما بأنهما يستطيعان العودة بقدر ما سيسمح لهما والداهما بذلك. كان لديه إحساس باستمرار الحياة، وهو يغادر السفينة معهما، وقد أدرك كم كان دوغ شبيهاً بروبيرت، حيث لم يكن إلا لون شعرهما مختلفاً. كانت جين تقول دوماً بأنه يشبه كرين، ولكنه وقد رأى حفيده الآن، فقد أدرك

بأن ابنه كان يشبه جين كثيراً باستثناء أن شعره كان بلون شعر كوين. ولكن كان لديه الانطباع الآن بأن دوغ كان مثل أمه، ولأول مرة منذ أربعة وعشرين عاماً، أدرك مدى افتقاده له. لقد سمح لنفسه أخيراً أن يشعر بذلك، وبدا أن جميع المسام قد فُتحت هذه الأيام، وكاد كوين أن يبكي مرة أخرى، عندما رأى أليكس بانتظارهم في المطار.

قضى ليلةً معهم، وقد أمتع الصبيان والديهما بجميع قصص مغامراتهما. لم تكن هناك لحظة واحدة لا جدوى منها، وسيتذكر الصبيان لفترة طويلة الرحلة التي قضياها مع جدهما. كان سلوكهما جميلاً مع الجميع، وكانا طفلين حلوين، وذكيين، ومحبين. وفي صباح اليوم التالي، وقبل أن يغادر، شكرته أليكس مرة أخرى، وأخبرته كم عنت لها رؤيته، وكأنما قد ذهب عنها كل الغضب مثل مرض تمت معالجته، وشفاء إعجازي اختبرته خلال السنة التي لم يرها فيها. أخبرته بأنها قد صلّت لأجل ذلك.

قالت: "هل ستكون بخير على السفينة؟". بدت حياة متوحدة بالنسبة لها، ولكنه كان قد أخبرهم مرة أخرى في الليلة السابقة بأنها كانت الحياة التي يريدها.

قال بثقة: "سأكون بخير جداً. سأكون سعيداً للغاية". كان واثقاً من ذلك الآن، فقد طرب لكل دقيقة قضاها على متن السفينة في الأسابيع الثلاثة الأخيرة. لقد حققت أكثر من الآمال المعقودة عليها، وبدا قراره بقضاء حياته عليها القرار الصائب بالنسبة إليه، وذلك بالرغم من ماغي، أو ربما بسببها. شعر بأنه لا حق له بحياة جديدة مع امرأة غير جين. لقد كانت ماغي مغامرة للقلب، ولحظة من إشراقة الشمس أثناء المطر، وقد حان الوقت الآن لأن يستمر في طريق عزلته. كان واثقاً بشكلٍ مطلق أن ذلك هو ما يريده.

وعد أليكس قبل أن يغادرها بأنه سيحاول أن يأتي ويراها بعد أن تضع مولودها. يمكنه أن يسافر إليها جواً من أي مكان يكون فيه. كان قد خطط أن يكون في أفريقيا في ذلك الحين ليستمتع بالشتاء، وكل الأماكن التي كان

مخططاً لزيارتها. وقد أمضى هو والقبطان ساعات يتحدثان بالأمر، حيث قدم سين ماكنزي اقتراحات ممتازة. كان كل تركيز كوين على ذلك الآن، وقد ترك جزءٌ منه بالفعل الحياة التي كان قد قادها في سان فرانسيسكو.

شعرت ماغي بذلك لدى عودته. ظاهرياً، بدا نفس الرجل الذي غادر قبل ذلك بثلاثة أسابيع، ولكنه كان مختلفاً بالفعل بشكلٍ غير ملحوظ عن ذي قبل. لم تستطع أن تحدد الاختلاف بدقة، ولكنها أدركت بأن جزءاً منه قد فاتها بالفعل. لم تقل له شيئاً. بدا أن النسر قد بدأ يحلّق فعلاً في طلب السماء، ويستعد للرحيل عنها.

كانت مشغولة باهتياج في المدرسة، وتحاول أن تجد الوقت له. كانا قد عادا ثانية لقضاء أيامهما على السفينة، وكانت مضطرة لقضاء قسم من مساء كل يوم في تصحيح الأوراق وهو ما كرهت أن تفعله. وقد خططت لأن تعطي طلابها أقل عدد ممكن من الوظائف خلال أسبوعيه الأخيرين، ولكن مع ذلك كان لا يزال لديها بعض العمل لتقوم به. كما أن كوين كانت لديه الكثير من الأعمال المعلّقة التي يجب عليه إنجازها أيضاً، وفي ما تبقى من الوقت، بدا أنه قد جعل نفسه في وضع احتراسي وهو ما كان أمراً منطقياً، بالنظر إلى أنه كان سيرحل عنها، وكان يأمل بأن ذلك سيجعل الأمر أقل إيلاماً لها. لم يعد الرجل الذي كانه قبل سنوات، والذي لم يكن يفكر إلا بنفسه فقط. هذه المرة، كان مصمماً على أن لا يؤذي أي إنسان أكثر مما كان مضطراً له. وآخر شخص على الأرض كان يريد إيذاءه هو ماغي.

أبحرا في رحلات سهلة في نهاية الأسبوع، حيث كان الطقس رائعاً. كان الجوّ مشمساً ودافئاً والنسيم كما أراداه تماماً من أجل الإبحار. جاء جاك لتناول العشاء معهما مساء الجمعة، وقال بأنه أحب الدراسة، وأن ميشيل مشغولة في التحضير لحفل زفافهما. وقد عرض عليه كوين أن يستأجر لهما سفينة لقضاء شهر العسل، ولكن جاك اعتذر عن القبول آسفاً. فميشيل ستكره ذلك حيث إنها تُصاب بدوار البحر، بخلاف ماغي التي كانت تحب ذلك.

كان أسبوعهما الأول على السفينة سهلاً ومريحاً، وقد تدبّر كوين وماغي إيجاد الوقت لبعضهما، وكانا يمضيان الكثير من الوقت يتحدثان في المساء وكأنهما يخزّنان ذكريات ليحتفظا بها للسنوات القادمة التي لن يكونا فيها معاً. كان انتظاره ليرحل مثل التخطيط لموتٍ أو جنازة. كانا يعرفان بأنه آتٍ ويعرفان متى أيضاً. كانت تشعر وكأنما كانت ستنزع القابس عن جهازها التنفسي، ورغم أنها قد عرفت دوماً بأن الأمر سيؤول إلى هذا، إلا أنها لم تتوقع أبداً بأنه سيؤلم بهذه الحدة.

ومع الدخول بالأسبوع الثاني، بدأت النهاية المنتظرة تسبب احتكاكاً وتوتراً بينهما. كان من المستحيل ألا تفعل. بدأت ماغي تحلم بأندرو كل ليلة، وانتابها كابوس بشأن تشارلز، واستيقظت تصرخ بسببه. وكان هناك القليل جداً مما كان بوسع كوين أن يفعله ليساعدها. كل ما كان بإمكانه فعله هو أن يغيّر من خططه، وأن يقرر عدم الرحيل، وهو الشيء الذي لن تتوقعه ماغي منه أبداً. ولكن بالرغم من ذلك، ومع توالي الأيام، شعرت وكأنما كان يتمّ سحب الحياة والهواء منها. بالكاد كان بإمكانها أن تتنفس في نهاية الأسبوع الأخير، وكان كوين يشعر بالثقل الكامل لما كان يفعله ذلك بها، رغم أنها لم تتكلم بشأنه أبداً. كان يعلم بأن عليه أن يتركها، رغم أنه، وللحظة مجنونة، كاد أن يسألها أن تأتي معه. ولكنه كان يدين بأكثر من ذلك لجين، كما أن ماغي كانت بحاجة لحياة حقيقية مرة أخرى مع الناس والأصدقاء في العمل. لا يمكنه أن يفرّ معها فقط على متن سفينة. وإذا اصطحبها معه، بصرف النظر كم بدا ذلك مغرياً بالنسبة له، فسيكون قد أخلف بعهده لجين. وقد قال ذلك كله لماغي، وهما جالسان على ظهر السفينة في المؤخرة تحت الأشرعة. كانت تبدو تعيسة للغاية، ولم يعد بإمكانها إخفاء ذلك، ولم تحاول أيضاً.

قالت وهي تنظر إلى البحر: "لا أستطيع أن أصدق بأنها كانت لتتوقع ذلك منك"، وشعرت وكأنما كانت على وشك أن تنثر رمادها. وأضافت: "لقد قرأتُ قصائدها التي كتبتها لأجلك. كانت تحبك يا كوين. لم تكن لترغب في أن تراك تعيساً".

الغريب في الأمر، أنه لم يكن حزيناً لأنه سيتركها، ولكن كان لديه إحساس معين من السكينة في رحيله إلى العزلة والحرية، مثل حياة رهبانية اختارها. لقد احتاج إلى فترة راحة علم أنها ستعيد إليه روحه. لم تعد لديه الطاقة ليبدأ حياة مع أي شخص، وهي حياة لم يكن قد استحقها. لقد جعل من حياته السابقة عملاً أخرق للغاية، بقدر ما كان الأمر متعلقاً به. ولم يكن يريد أن يفسدها مع ماغي أيضاً، لم يُرِد أن يجازف. لقد أحبها كثيراً لدرجة أنه لا يريد أن يتسبب في إيذائها، وقد عانى كل منهما ما يكفي من الألم في حياته. أراد أن يتركها وهو يعلم بأنه جعلها سعيدة. لقد كانا طيبين مع بعضهما، ولم يكن يريد أكثر من ذلك منها، ولم يشعر أيضاً بأنه يمكن أن يمنحها أكثر مما فعل. لقد أحبا بعضهما، والآن حان الوقت لإنهاء ذلك. سيغادر يوم الإثنين إلى هولندا، وكل ما تبقى لهما الآن كان نهاية أسبوع وحيدة. جاء جاك على العشاء مساء الجمعة، وقد ودّع هو وكوين بعضهما بمعانقة دافئة ومصافحة قوية.

يوم الأحد، كانت ماغي صامتة على نحوٍ مؤلم، وبالكاد كان بإمكانها أن تحتمله. لم يبقَ هناك ما يقال، فقد قيل كل شيء ألف مرة وبألف طريقة. وتمنت لو كانت لديها موهبة جين في كتابة الشعر. ولكن كان كل ما أحست به في قلبها الآن هو الألم، وعذاب الفقدان الذي قاست منه الكثير في حياة واحدة.

جلس كوين بجانبها على ظهر السفينة. وبقيا هناك لفترة طويلة جداً صامتين. كان أفراد الطاقم قد تركوهما بمفردهما، وهم على علم بما هو آتٍ، وقد طلب كوين عشاءً فاخراً من الكافيار ولكن ماغي بالكاد لمسته. وبعد ذلك بوقتٍ وجيز، بدأت تبكي، ونظرت إليه بعينين مزقتا قلبه، بحيث إنه كاد يندم على رجوعه بعد الرحلات التجريبية. كان الأمر صعباً لكليهما، وتساءل إن كان قد أخطأ بالعودة إلى سان فرانسيسكو، إذا كانت عودته أكثر قسوة عليها. ولكن مهما فعل أو متى، فإن النهاية ستكون موجعة بشدة.

ووقفت أمامه، ونطقت بالكلمات التي كان يخشى سماعها. قالت: "كوين، أرجوك، خذني معك".

ردّ بحزن: "لا أستطيع يا ماغي. أنت تعرفين ذلك".

قالت: "لا، لا أعرف. إن هذا لا يبدو منطقياً بالنسبة لي. لا أفهم لماذا ينبغي علينا أن نفعل هذا". وكانت الدموع تنساب في أنهر صامتة على وجنتيها.

ذكّرها قائلاً: "لقد اتفقنا على هذا منذ البداية. تعرفين ذلك".

أجابت: "كان ذلك وقتها، والآن الوضع مختلف. لم نكن نعرف آنذاك بأننا سنحب بعضنا. أحبك يا كوين".

قال: "وأنا أحبك أيضاً يا ماغي. ولكنني عاجلاً أم آجلاً سأتسبب في إيلامك". وأراد أن يضيف بأنه لا يستحقها، ولكنه منع نفسه. كان ذلك هو الخطأ في الأمر كله. كان لا يزال يشعر بأن عليه التكفير عن خطاياه السابقة. لقد غفرت له أليكس، وحين كانت ستفعل، وهو ما كانت ماغي متأكدة منه. ولكن كوين لم يستطع أن يغفر لنفسه. وطالما أنه لم يفعل، فلن يستطيع السماح لنفسه بأن يكون سعيداً. كان عليه أن يجد عزلة، ليكفّر عن كل ما لم يكن بوسعه تغييره الآن، وقد أراد أن تفهم ماغي ذلك. أضاف: "لقد آذيت كل الأناس الذين أحببتهم في حياتي، ابنتي، وابني، وجين... كيف يمكنني أن أنسى كل ذلك؟ ألا يمكنك أن تفهمي؟". كان كوين في عيني ماغي مثل تشارلز، غير قادرٍ على أن يغفر لنفسه أبداً ما حدث. ولكن تشارلز قد لامها أيضاً، وبينما لام كوين نفسه فقط. ومهما كانت أعذارهم للرحيل، سواء أندرو أو تشارلز أو كوين، فقد كانت هي الخاسرة.

قالت وهي تبدو متألمة للغاية: "لا يمكنك أن تهرب للأبد يا كوين".

ردّ بحزن: "بلى، أستطيع. لقد هربت في الماضي، وكان عملاً خاطئاً آنذاك. ولكنه هذه المرة صحيح يا ماغي، إني أعرف ذلك. ستحظين بحياة أفضل من دوني". لم يكن هنالك مجالٌ لإقناعه، لقد كان مقتنعاً بأنه إنما يفعل الصواب، وهو ما كان يريده. لم تستطع ماغي أن تؤثّر فيه، فهو لن يدعها تفعل ذلك.

قالت: "لا أريد حياة أفضل. أريد أن أكون معك. ليس عليك أن تتخلف وعدك مع جين، يمكنك أن تبقى متزوجاً منها إلى الأبد. لا أريد سوى أن أكون معك. كيف يمكنك أن تتخلى عن كل هذا، وترحل؟ إنه جنون بالكامل". لم يبدُ ذلك معقولاً لها الآن، وتحديداً لأنها كانت تعرف بأنه أحبها. ولكن بالنسبة لكوين، كان ذلك هو السبب الذي دعاه أكثر لأن يتركها، وهو ما كان يتوقعه من نفسه. كان يدين بهذه التضحية الأخيرة لكل الأناس الذين جرحهم في الماضي، سواء أفهمت ماغي ذلك أم لم تفهم.

وفي النهاية، جلست وأخذت تنتحب، وبقيت كذلك لمعظم الأمسية، وفي الصباح بدا كلاهما وكأن عزيزاً لديه قد مات. وتطلب الأمر منها كل ذرة شجاعة لترتدي ثيابها، وتتبعه إلى الطابق العلوي لتناول الفطور. جلست بصمت فقط، والدموع تنساب على وجنتيها، بينما كان ينظر إليها بكل ما بدت عليه من الحزن. لم تشعر بهذا السوء منذ وفاة أندرو، وهو ما لم يكن منطقياً بالنسبة لها. فابنها الجميل قد أنهى حياته، والآن هذا الرجل كان سيرحل عنها لأنه أحبها.

قال كوين بهدوء: "هذا ما أعتقد بأنه الصواب. أرجوك لا تجعليه أكثر صعوبة مما هو عليه بالفعل". وانطلاقاً من حبها المطلق له، أومأت، وحاولت على الأقل أن تتمالك نفسها. كان قد أخبرها مسبقاً بأنه لا يريدها أن تأخذه للمطار، وكانت تعلم هي بأنها لا تستطيع. ولمرة أخيرة نظر إليها محاولاً أن يختزن لنفسه ذكريات عنها قبل أن يضعها في سيارة أجرة. كانت سيارته هو ستصل في غضون بضع دقائق.

وعندما انطلقت السيارة، وقف على ظهر السفينة يراقبها. لم تترك عيونهما بعضهما بعضاً لدقيقة واحدة، ورفع يده مرة ولوّح لها، وما إن غابت السفينة عن بصرها حتى أجهشت في البكاء، وراقبها السائق بصمت في المرآة. طلبت منه إيصالها للبيت، ولم تذهب للعمل في ذلك اليوم، فليس بإمكانها أن تفعل ذلك. جلست في مطبخها تراقب الساعة، وعندما علمت أن

الطائرة قد أقلعت، وضعت رأسها على الطاولة، وأخذت تنتحب. جلست هناك لساعات، تبكي ولم تتحرك أبداً. لقد أعزّت الأشهر التي أمضتها معه، والآن كانت تعرف بأن عليها أن تفعل ما كانت قد وعدت به، مهما كان مؤلماً. عليها أن تدعه يرحل، وأن يكون كيفما وأينما شاء وما أراد، سواء أكان ذلك مفهوماً لها أم لا. إذا كانت تحبه كما قالت، فعليها أن تتركه ينال الشيء الوحيد الذي أراده منها، حريته.

جلست وعيناها مغمضتان لفترة طويلة جداً، وهي تفكر به، وترجو له أن يكون حراً بقدر ما أراد. وبينما كانت تفعل ذلك، حلّقت طائرته ببطء فوق الخليج، وانطلقت شمالاً باتجاه أوروبا. كان ينظر إلى جسر غولدن غيت بالأسفل، عندما مرّت الطائرة فوقه، بينما كانت الدموع تنساب ببطء أسفل وجنتيه.

15

في الأسابيع التالية، شعرت ماغي بمثل شعورها عند وفاة أندرو. توالت عليها الأيام، وكأنما كانت تسبح تحت الماء. كانت تفتقد إلى الطاقة، ولا تبتسم أبداً، وبالكاد كانت تنام في الليل، وعندما يتكلّم إليها الناس، كانت بالكاد تسمعهم. شعرت بأنها منفصلة عن العالم بأكمله، وكأنها قد سقطت من كوكب آخر، ولم تعد تتكلم اللغة، أو تفهم الكلمات التي كان الناس يكلّمونها بها، وفقدت قدرتها على حلّ شفرة العالم حولها. ذهبت إلى العمل، وكانت ذاهلة على نحوٍ مؤلم، وبالكاد استطاعت تدبّر أمر إعطاء الوظائف، وتصحيح الأوراق. كان كل ما أرادت فعله هو البقاء في البيت والتفكير بالأيام التي تقاسماها معاً. بدا أن كل لحظة منها الآن هي أكثر قيمة.

كان الشيء الوحيد المفيد الذي قامت به هو التطوع مرة أخرى لخط طوارئ المراهقين الدائم. كانت قد توقفت عنه لمدة شهرين خلال الصيف، ولكن حيث إنها لم تكن تستطيع النوم خلال الليل على كلّ حال، فقد بدا لها ذلك استفادة من وقتها تستحق العناء. ولكنها كانت مكتئبة بقدر الكتّاب المتصلين، رغم أنها بذلت جهداً لتبدو طبيعية عند التحدث معهم. ولكن ما عاد شيء بحياتها يبدو معقولاً أو طبيعياً بالنسبة لها. لقد فتح رحيل كوين جرح الخسارة مرة أخرى، وذكّرها بكل من أحبته وفقدته. أحست مرة أخرى، وكأنما شخصاً آخر كانت تحبه قد مات. وفي بعض الأحيان، كانت تشعر وكأنما هي نفسها قد ماتت.

تناولت العشاء مع جاك مساء الجمعة رغم أنها لم تكن تريد ذلك، ولكنه كان مصراً عندما اتصل بها هاتفياً صباح ذلك اليوم. حسبت أن رؤيتها له قد

تتذكّرها بكوين، فقد كانت علاقتها بجاك هدية قيمة أخرى كان كوين قد منحها إياها. وقد بدا جاك مكتئباً تقريباً بقدر ما كانت هي حيث قال إنه قد افتقده حقاً. لقد تشاطر كوين الكثير معهما، وأعطى من نفسه طوعاً، ومع ذلك فقد كانت تعلم بأنه لم يستطع أن يغفر لنفسه خطاياه الماضية. كان لديها رقمه على السفينة لأجل الطوارئ، ولكنها كانت قد أخذت على نفسها عهداً بأن لا تتصل به. فلديه حق بالحرية التي رغب بها بشدة، وهي ستمنحه إياها الآن، مهما كلّفها ذلك. ولكن بقية حياتها امتدت أمامها كصحراء خالية. أخبرها جاك بأنه كان منزعجاً جداً في الليلة السابقة إلى حدّ أنه وميشيل قد تجادلا بشأن زفافهما. والآن كان يشعر بالأسف لأنه لم يذهب معه.

قالت ماغي بكآبة: "على الأقل لقد دعاك لمرافقته". كان كلاهما قد بكى في بداية العشاء.

قال: "في كل مرة أقرأ فيها شيئاً، أفكّر به". وأخبر ماغي بأن الكلية كانت صعبة، ولكنه أحبها، وأنه لا زال يرغب في الالتحاق بكلية الهندسة المعمارية في الجامعة عندما ينتهي، وكان عازماً بما يكفي للقيام بذلك. أضاف: "سأكون أكبر المهندسين المعماريين سناً في سان فرانسيسكو"، وابتسم كلاهما.

لم تشعر ماغي قبل حلول الميلاد بأنها إنسانة ولو بشكل جزئي. استمرت هي وجاك في تناول العشاء في أمسيات الجمعة، رغم أنهما لم يعودا يلعبان لعبة سرد الكذاب، حيث كانت تذكّرهما كثيراً بكوين. وبدلاً من ذلك، كانا يجلسان ويتحدثان عنه. كان ذاك هو الوقت الوحيد الذي كانت ماغي تستطيع فيه أن تطلق العنان لنفسها وتتحدث عنه، حيث لم يكن أحد في المدرسة التي تعلّم فيها يعرف أي شيء عنه. وقد قال جاك إن ميشيل كانت متعبة وتعبة من السماع عنه. كان موعد زفافهما قد تحدد ليكون في الأسبوع السابق للميلاد، وقد وعدت ماغي بأن تحضر، ولكنها لم تكن في حالة نفسية جيدة لذلك. لم تتعب نفسها في شراء ثوب، وسحبت ثوباً أسود من خزانتها بعد ظهر يوم الزفاف. كان جاك قد أخبرها قبل ذلك ببضعة أيام بأنه قد تلقّى بطاقة بريدية

من كوين حيث كان قد سافر جواً من كاب تاون ليرى أليكس والصبيين في جنيف. كان جاك قد أحضر البطاقة معه وسأل ماغي إن كانت تود رؤيتها، ولكنها لم تفعل. سيجعلها ذلك تبكي مرة أخرى، ولم تكن هناك غاية من ذلك. لقد بكت دون حدود في الشهرين الماضيين، وهديتها إليه كانت إطلاقه حراً.

وذهبت إلى زفاف جاك بعد ظهر ذلك اليوم، وبكت بغزارة خلال الاحتفال، وشعرت بالاكتئاب على نحو مَرَضي خلال حفل الاستقبال. لم ترغب في مراقصة أحد، بل أرادت فقط أن تعود للبيت، وأن تكون لوحدها، وتفكر بكوين. كانت تحاول أن تنتزع نفسها من هذا الوضع، ولكن بعد وفاة أندرو بات من الصعب على نحو متزايد أن تخسر أي أحد أو أي شيء. وفقدان كوين كان خسارة كبيرة جداً، أعادت فتح جميع الجروح الأخرى. ولكن مهما كان فقدانه مؤلماً لها، إلا أنها كانت تعلم بأنها ستنجو منه. كانت تدين بذلك لكوين.

وما إن بدا الوقت ملائماً لها حتى انسحبت من حفلة الزفاف. بعودتها إلى البيت شعرت بالارتياح، وبذلك هربت من الضجة، والطعام، والمرح الصاخب. كان من الجيد أن ترى جاك سعيداً مرة أخرى، كما بدت ميشيل جميلة ومنتشية. كانت ماغي أكيدة بأنهما سيكونان سعيدين جداً.

في ليلة الميلاد بدأت تجد إحساساً من السكينة بشأن ما حدث. فبدلاً من أن تنظر إلى السنوات التي لن تشاركه إياها، أخذت تفكر بالأشهر التي أمضتها معه، وكم كانت نعمة لها، وكم كانت محظوظة بمعرفته. وتماماً كما فعلت قبل سنتين ونصف مع أندرو، فقد ركّزت على العرفان بالجميل بدلاً من الخسارة، وفكّرت بالاتصال به صباح الميلاد، ولكنها بعد ساعتين من الصراع مع نفسها، قرّرت أن لا تفعل. كانت تعلم بأنه لو أراد الحديث معها فسيتصل بها، وهو لم يفعل. كل ما كان بوسعها فعله الآن هو أن تتمنى له الخير، وتمتع نفسها بالذكريات التي كان هناك الكثير منها. كان ذلك كافياً لها، ويجب أن يكون كذلك. ليس أمامها خيار إلا أن تمضي بحياتها للأمام، معه أو بدونه. وعندما ذهبت لدار العبادة ليلة الميلاد، أشعلت شمعة من أجله.

16

في ليلة الميلاد، كان كوين في جنيف مع أليكس وعائلتها. ذهب معهم إلى دار العبادة في منتصف الليل، وتطبيقاً لما اعتاد عليه في شبابه، ونسيه بعد ذلك لزمن طويل، أشعل شمعة من أجل ماغي.

كانت أليكس قد وضعت مولودها قبل ذلك بأسبوعين، وكما كان قد وعدها بأنه سيفعل، فقد جاء ليراها. كان شيئاً عرف أن جين كانت ستقوم به، ولذا فعله هو من أجلها بما أنها لا تستطيع.

رُزقت أليكس بطفلة هذه المرة، وكان الصبيان مفتونين بها. كانا يحملانها باستمرار، ويلامسانها، ويقبلانها وقد استرخت أليكس بشكلٍ واضح عندما تركاها أخيراً. كانت سعيدة لأن تحظى ببعض الوقت مع والدها. جلس معها بهدوء، وتحدثا بينما كانت تحتضن طفلتها. وقد ذكّره وجوده معها بالمرات العديدة التي لم يتدبر فيها أمر المجيء إلى البيت في الميلاد من أي مكان بعيد في العالم كان يتواجد به. اعتذر لها، وقالت بأنها تتفهم. لقد عنى لها الكثير أنه قد أتى مسافراً من كاب تاون فقط لرؤيتها. كان قد ترك السفينة هناك، وسيعود إليها ثانية صباح الميلاد.

كان كوين قد أمضى أسبوعاً معهم، وبينما جلس مع أليكس بعد المراسم الدينية في تلك الليلة، شعر برغبة في إخبارها عن ماغي، ولكنه قرر بأنه لا يجب أن يفعل. كان ما يزال يشعر بأنه قد قام بالشيء الصواب، ولكن أدهشه كم افتقدها في الشهرين التاليين لرحيله عنها. كان ارتباطهما أعظم حتى مما فهمه هو، ولم يستطع منع نفسه عن التساؤل عما سيكونه رأي أليكس في الموضوع. ولكنه لم يملك الجرأة لإخبارها، حيث شعر بشكلٍ وثيق أنها ستصور الأمر على أنه خيانة لأمها.

كان لا يزال يحب جين ويفكر بها، ولكن ماغي كانت هي من ألحّت على ذهنه باستمرار وهو جالسٌ على ظهر السفينة في الليل ينظر إلى المحيط. بدت جين وكأنها جزء من الماضي البعيد، بينما كانت ماغي تُحاك على نحوٍ متكامل في نسيج الحاضر، ولكن ليس المستقبل. فمهما كان المستقبل المخبّأ له، فسيمضي وحيداً على **الفول دو ثويه**، مفكّراً بإخفاقاته وانتصاراته، والأناس الذين أحبهم، والذين لم يعودوا معه.

كان ممتناً لأن أليكس لم تعد جزءاً من ماضيه، ولكنها دخلت في حاضره. وعندما غادر باكراً في صباح الميلاد، قبّلهم جميعاً، وترك هدايا لكل واحد منهم. كان قد أمضى أسبوعاً معهم، ولم يُرِد أن يتطفل عليهم. فكّر بأنهم يجب أن يقضوا الميلاد معاً، كما أن العطلات كانت مؤلمة له الآن على أية حال، والحقيقة، أنه لم يحبها أبداً.

سافر جواً إلى كاب تاون، وفي وقت متأخر من تلك الليلة، انضم إلى السفينة ثانية. كان شعوراً عظيماً بالارتياح أن يكون هناك، فقد كانت **الفول دو ثويه** بمثابة بيته الآن.

بقوا في الميناء ثلاثة أيام أخرى يتزودون بالمؤن، وأمضى كوين ساعات مع القبطان يحددان فيها طريقهم على الخريطة. كانوا سيبحرون حول رأس الرجاء الصالح، وعلى طول الجانب الشرقي من أفريقيا. كانت هناك أماكن بدا أن من غير الحكمة الذهاب إليها بسفينة شراعية بحجم **الفول دو ثويه**. لم يكن يريد أن يدخل أماكن معادية أو يعرّض أفراد طاقمه لأخطار غير ضرورية. وحين أبحروا ثانية، كان كوين سعيداً بالإبحار والانطلاق إلى مواقع جديدة.

بدأ الطقس يسوء بعد العطلات، وفي الأسبوع الثاني من كانون الثاني بدأت تمطر. وواجهوا ثلاثة أيام من الأمطار الغزيرة، والأمواج الهائجة، ولم يتمالك كوين نفسه عن تذكّر العاصفة في سان فرانسيسكو قبل سنة. ففي عقب العاصفة وفي الليلة التالية لرأس السنة، رأى ماغي لأول مرة، وهي تقف تحت

المطر المنهمر، وقد ابتلّ كل ما كانت تلبسه بالماء. وعندما فكّر في ذلك، شعر برغبة في الاتصال بها، ولكنه قاومها. إن سماع صوتها الآن، والتحدث إليها سيكون مؤلماً لكليهما. كان مصمماً على تركها تذهب، وكان يريدها أن تحظى بحياة أفضل مما شعر أن بإمكانه أن يمنحها.

وبعد أسبوع من الأمطار، غيروا وجهتهم، ومع حلول الأسبوع الثاني، كان أفراد الطاقم بأكمله قد تعبوا من ذلك، وكذلك كوين. أخرجوا خرائطهم، وبدأوا يحددون عليها وجهة جديدة آملين بأن يجدوا طقساً أفضل، ولكنه بدلاً من ذلك كان أسوأ. كانت **الفول دو ثويه** تتأرجح وتتمايل في الأمواج الهائجة، وكان الجميع مُصاباً بدوار البحر باستثناء كوين والقبطان، وقد قال كوين مازحاً، بأنه سيكون عليهم أن يربطوا أفراد الطاقم في أسرّتهم إن لم يتحسن الطقس. كان في فراشه في تلك الليلة عندما سمع صوت ارتطام. كانت الأمواج هائجة إلى حدّ أن قطعة من الأثاث قد انحلت وانقلبت. نظر إلى المعيارات بجانب سريره، ورأى أن الريح قد بلغت قوة عاصفة هوجاء. ارتدى ملابسه، وسار إلى منصة القبطان ليتحدث إليه. بدا أن وجهتهم الجديدة قد أخذتهم إلى أسوء مكان للعاصفة. وقد أجفل كوين لحجم الموجات التي كانت تتكسر على ظهر السفينة، عندما لاقى المعاون الأول، والمهندس، والقبطان في غرفة القيادة. كانوا يراجعون تقارير الطقس، ويراقبون الرادار. كانت هناك مياه خضراء تنساب بقوة فوق ظهر السفينة والأمواج تتكسر فوق حجرة مدير الدفة، وفي كل مرة، كان مقدّم السفينة يغوص للأسفل ويرتفع ثانية، كان يبدو وكأن الصواري ستتكسر، ولكن كوين كان واثقاً بأنها لن تفعل.

قال كوين بابتهاج: "يبدو وكأننا نرقص رقصة الروك آند رول"، ولكنه صُدم لدى رؤيته أن القبطان بدا قلقاً، فأضاف: "ما هو وضعنا؟". لم يكن كوين يتوقع أن يواجه أية مشاكل، فقد كانت **الفول دو ثويه** متينة وقادرة تقريباً على تحمل أي طقس، كما أن أحوال الجو أو الأمواج العاتية لم تخيفه أبداً، وهو لم يُصب بدوار البحر في حياته كلها. كان عليهم فقط أن يجتازوا العاصفة.

أجاب القبطان بعد أن فحص جهازي الرادار والسونار بعناية: "يوجد بعض الشعاب المرجانية الخطيرة هناك. وهناك ناقلة بترول في مشكلة، وقد استجاب لها الأسطول البحري منذ فترة، ولكن يبدو أن الأمور ستزداد سوءاً قبل أن تبدأ بالتحسن".

قال كورين، وكأن العاصفة كانت تحدث لغيرهم: "يبدو أنه إعصار، أليس كذلك؟"، وبعدها بلحظة، التفت إلى القبطان وقال: "أريد الرجال بدروعهم الجلدية. هل تم رفع حبال الأمان؟".

رد مطمئناً: "رفعناها قبل ساعة". كانوا يرتدون دروعهم الجلدية المزودة بأضواء، وقد ثبتوا حبال الأمان عليها تحسباً لتعرضهم للانجراف على سطح السفينة، ولكن كورين كان يعلم بأنه إذا ذهب أي منهم إلى جانب السفينة والأمواج على هذه الحال، فسيكون من المستحيل تقريباً استعادته.

قال كورين للمعاون الأول: "قل لهم أن يحترسوا"، وانطلق على ظهر السفينة، ليرى أحوال أفراد الطاقم. كان الجميع يرتدون ملابس الطقس السيئ الصفراء، بمن فيهم كورين، وكان القبطان قد قال له بصراحة أن يضع درعه الجلدي قبل أن يغادر حجرة مدير الدفة. ابتسم له كورين وقال: "نعم يا سيدي"، وكان سعيداً لحرص سين الظاهر.

ارتدى كورين درعه الجلدي، وذهب خارجاً لينضم إلى الرجال الآخرين. وحالما فعل ذلك سمع أصوات ارتطام شديدة في مطبخ السفينة. كانت السفينة ترتعد حينها، والأمر الوحيد الذي كان كورين قلقاً بشأنه هو أن تتكسر السارية. لم يكن بوسعهم عمل شيء في هذه المرحلة سوى أن يبحروا خلال العاصفة. ولكن الوضع كان مزعزعاً للجميع، وبينما راقب كورين الأمواج، كان قلقاً بصدق للمرة الأولى. كانت تلك أعتى أمواج رآها في حياته، حيث كانت بارتفاع ناطحات السحاب وقد ارتفعت فوقهم لعلوّ سبعين أو ثمانين قدماً. ستكون تحدياً لأي سفينة، وقد كانت كذلك للفلول دو نوبه، وبينما وقف ينظر في الظلام، سمع صرخة على بعد بضعة أقدام منه. كان أحد أفراد الطاقم

الأصغر سناً قد انجرف تقريباً لجانب السفينة، وقد أمسك به اثنان من الرجال الآخرين. كانوا متعلقين بحبال الأمان، وبدا أن ثلاثتهم سيندفعون بقوة خارج السفينة عندما هوت السفينة مباشرة في غور هائل. وكأن زمناً طويلاً قد مرّ قبل أن ينهضوا ثانيةً، وتتحطم الأمواج العملاقة عليهم.

صاح كورين وهو يومئ لهم خلال الريح: "الجميع للداخل!"، وبدأ الرجال يزحفون ببطء أعلى السفينة، حيث كانت ظهورهم تقريباً بزاوية تسعين درجة، وبدا أن عمراً بأكمله قد مضى قبل أن يحتشدوا في حجرة الدفة، والماء يتقاطر منهم. كانت المرة الأولى في حياته، التي يقلق فيها كورين بصدق على متن سفينة، ولكنه لم يرَ أبداً عاصفة كهذه إلا في الأفلام. ربطوا بإحكام كل ما كان بإمكانهم ربطه، ولكن الأشياء في جميع أنحاء السفينة كانت تتحطم وتتكسر. لم يكن قلقاً بشأن الأضرار الآن، ولكن بشأن نجاتهم فقط. وقد بدا معظم الرجال خائفين بصدق. قال كورين ليخفف من التوتر: "حسناً، ستكون هذه رحلة يُحكى عنها"، وبدا أن السفينة بأكملها كانت تصرّ وترتعد عندما هوت مرة أخرى في غور الموجة التالية. لم يُرد كورين أن يبدي لهم بأنه هو أيضاً كان خائفاً، وقد تساءل بمرارة عن وجهة السير التي اتخذوها. كان تخميناً مدروساً من ناحيته، ولكن من الواضح أنه كان تخميناً خاطئاً. لم يكن هناك ما يمكنهم أن يفعلوه الآن، سوى المضي في العاصفة، والدعاء بأن يجتازوها.

بزغ النهار مستجهماً وكئيباً مرة أخرى، وبدا أن الأمواج قد ازدادت ضخامة، والرياح أسوأ. وفي هذا الحين، كانت المضيفتان قد انضمتا إليهم في حجرة الدفة، وقد طلب القبطان من الجميع على مضض أن يضعوا سترات النجاة. بدا أن هناك احتمالاً واضحاً بأنهم قد لا ينجون.

اتصلوا لاسلكياً بأقرب سفينة، وقد أخبروا بأن ناقلة البترول قد غرقت، ولم يستطع أحد أن ينجو بقوارب الإنقاذ، وعلى كل حال لم تكن هناك فائدة من ذلك، فلن يقدر أحد على النجاة في عاصفة كهذه. وبعد التاسعة بقليل، تلقوا اتصالاً مكرراً على خط الطوارئ، يفيد بأن أسطولاً من مراكب الصيد قد

غرق. تبادل كوين والقبطان نظرة طويلة، وفي مكان ما في حجرة الدفة كان أحد أفراد الطاقم يصلي بصوت عالٍ، وظنّ كوين بأنهم جميعاً كانوا يفعلون ذلك بصمت. لم يكن قد غمض لهم جفن طوال الليل، وكانت الصلاة تزيدهم قوة، وتحافظ على معنوياتهم مرتفعة.

وقف عند النافذة يراقب الأمواج مرة أخرى، وبينما كان يحدق في المطر المتدافع، كان بوسعه أن يقسم أنه رأى وجه امرأة، وكانت ماغي. وعندما فكّر بها وبالأوقات التي أمضياها معاً، اعترته رغبة ملحة عارمة للاتصال بها، وعاهد نفسه بأنه سيفعل إن هو نجا من العاصفة، وهو ما بدأ يبدو أقل وأقل احتمالاً. فلم يكن باستطاعة الفول دو نويه أن تتحمل أكثر من هذا القدر من الانتهاك. كما أن الأمواج بدت، وكلما كانت تكبر حجماً بدل أن تصغر. كان هناك صمت يصم الآذان في حجرة الدفة، والأصوات الوحيدة كانت أصوات الأثاث المتساقط بالأسفل، وأخرى لسلسلة ارتطامات في المطبخ.

قال كوين بهدوء: "حسناً يا رجال. نحن في قلب العاصفة هذه المرة. ولكنني أحب أن أحافظ على السفينة. لقد أنفقت عليها مبلغاً هائلاً من المال". وضحك المهندس بصوت عميقٍ مكتوم، وبعدها بدقائق قليلة، بدأ بقية أفراد الطاقم بالحديث. كانوا يخبرون قصصاً عن عواصف كانوا فيها، وقد بذل كوين أفضل ما بوسعه فيبقي المحادثة مستمرة، ولكن كان بإمكان المرء أن يشم رائحة الرعب في جلدهم، كما أن منظرهم جميعاً بسترات النجاة لم يكن أبداً باعثاً على الاطمئنان. كان بعض الرجال قد أشعل السجائر والبعض الآخر كان لا يزال صامتاً، وكان كوين متأكداً بأنهم كانوا يصلّون، وخلال ذلك كله، وبينما كان يتحدث إليهم، واصل تفكيره في ماغي. يا لها من طريقة للموت، ولكن بشكلٍ من الأشكال كان ذلك هو ما أراده، وهو أن ينهي حياته في البحر في يومٍ ما. كل ما في الأمر أنه كان يحدث فقط في وقت أقرب مما كان يتوقع. كان سعيداً بأنها لم تكن معهم، فآخر شيء كان سيرغب به هو أن يقتلها، وكانت كلتا المضيفتين تبكيان.

وعندما هجرت السفينة في غورٍ هذه المرة، بدأ اثنان من الرجال بالغناء، وانضم إليهم الآخرون ببطء. إن كانوا سيموتون، فسيفعلون ذلك كالرجال بشجاعة وأسلوب. وبينما كانت العاصفة تزداد هيجاناً، كانوا هم فرقة شجاعة. ومرت الساعات كأنها الدهر، ولكن عند الظهر كانوا يتحركون ببطء شديد في مياه أكثر هدوءاً. استمرت العاصفة في هياجها، ولكن الأمواج لم تكن منذرة بالخطر كما كانت سابقاً، والسفينة لم تكن تهتز بتلك الدرجة من القوة. ولم يبدأ المطر والريح بالهدوء تدريجياً إلا قبل الغسق. كانت الأضرار داخل السفينة كبيرة جداً، لكنهم ومع حلول منتصف الليل كانوا في ظروف يمكن التحكم فيها إلى حدٍّ معقول مرة أخرى. كانت السفينة لا تزال تترجح وتتمايل، ولكن كوين والقبطان كانا متفقين بأنهم لم يعودوا في خطر مميت، ومع قدوم الصباح كان كلاهما أكيداً بأنهم سينجون. وفي وقتٍ مبكر من بعد ظهر ذلك اليوم، تقدموا داخل مرفأ في دوربان، وهم يهتفون ابتهاجاً والدموع تنساب على وجوههم.

قال القبطان لكوين بهدوء: "ستتذكر هذه الرحلة"، وأومأ كوين وقد بدا متجهماً. لقد أمضى يومين تقريباً وهو يفكر بما فعله بحياته، كما فكّر الجميع. كان قد مات أكثر من خمسين رجلاً في الليلة السابقة، وكان كوين ممتناً بعمق بأنهم لم يكونوا من بينهم. كانت عاصفة سيتذكرها الجميع طوال حياتهم، وعندما تقدموا ببطء إلى المرفأ، وأرسوا السفينة الشراعية العملاقة، التفت كوين إلى القبطان وشكره. كانوا قد اتفقوا مسبقاً على وجوب إرجاع الفول دو نويه إلى هولندا للإصلاح. ولكن كل ما كان يهم الآن هو أن جميع أفراد الطاقم كانوا على قيد الحياة. بمعجزة محضة، نجت السفينة، ولم يفقدوا أياً من طاقمها. كان كوين والقبطان أكيدين عند مرحلة معينة بأن السفينة ستغرق، وكانت معجزة حقيقية أنها لم تفعل. ولأول مرة في حياته، عرف كوين على وجه اليقين بأنهم ما كانوا لينجوا إلا بمعجزة.

17

استيقظت ماغي على صوت المطر المتدافع على نوافذ حجرتها. كانت مستيقظة طوال الليل تقريباً غير قادرة على النوم، وهي تفكّر بالأمور التي يجب عليها إنجازها في ذلك اليوم، والأوراق التي يجب أن تصححها في صباح اليوم التالي. كانت قد بدأت تستمتع بعملها مرة أخرى، وكانت قد أنقذت فتاة في الرابعة عشر من عمرها قبل أن تلتقي على خط الطوارئ الدائم. كانت حياتها قد بدأت تأخذ معنى مرة أخرى، رغم أنه لم يكن بوسعها القول إنها كانت تستمتع بها. ولكن ذهنها كان صافياً، ولم يعد قلبها مثقلاً بالأسى باستمرار إلا عندما تفكر به. ولكنها كانت تعرف بأنها مع مرور الوقت ستجتاز ذلك. فهي قد فعلت هذا من قبل، وستفعله مرة أخرى، وفي النهاية يضمد القلب جراحه. كان هذا ما تعلمته مع أندرو. فالندبات والذكريات تبقى، ولكن مع الوقت يتعلم المرء أن يعيش مع الضرر، وأن يقوم بوظائفه بالرغم منه. لا يمكنها أن تدع فقدان كرين يدمّر حياتها. ليس أمامها خيار إلا أن تجتاز الأمر وتمضي بحياتها، وإلا سيكون كل ما تقوله للأولاد على خط الطوارئ كذباً، وهو الأمر الذي لا يمكنها أن تسمح به لنفسها. إذا كانت تستطيع أن تمنحهم سبباً للحياة، فعليها إذاً أن تجد واحداً لنفسها. لا يمكنها السماح لنفسها بالحداد إلى الأبد، فهي لا تستطيع أن تدفع ثمن ذلك.

نهضت واغتسلت، وارتدت ثيابها للذهاب إلى المدرسة، ثم شربت فنجاناً من القهوة، وتناولت قطعة من الخبز المحمص ونصف ثمرة كريب فروت. ارتدت معطفها الواقي من المطر، وخرجت في الطقس الماطر. كانت تركض باتجاه سيارتها، وضفيرتها الطويلة تتطاير خلفها، والمطر يضرب بقوة

للأسفل، عندما رأت رجلاً يندفع باتجاهها. لم تستطع أن تتخيل ما الذي كان يفعله، وكانت قد أحنت رأسها للأسفل تفادياً للريح والمطر، عندما اقترب منها وقفزت مبتعدة عنه. كانت ساعة سخيفة في النهار لأن يهاجمها فيها أحد، ولكن كان كل ما فعله هو أنه أحاطها بذراعيه، بينما دفعته هي بعيداً عنها، ووقف هناك فقط ينظر إليها. كان قد قطع أنفاسها خوفاً، وحاولت أن تلتقط أنفاسها مرة أخرى وهي تناضل لترفع بصرها وتنظر إليه، ومن ثم رأته. كان شعره قصيراً ووجهه نحيلاً وكان مبللاً بقدر ما كانت هي. ووقف هناك فقط ينظر إليها. كان كوين أو شخصاً آخر يشبهه تماماً.

سألت وهي تنظر بذهول: "ما الذي تفعله هنا؟" كان في أفريقيا في مكان ما، أو من المفترض أنه كذلك، والآن كان هنا ينظر إليها.

قال بصوت متقطع الأنفاس كصوتها: "كادت السفينة أن تغرق في عاصفة بُعيد ساحل أفريقيا". رفعت بصرها، ونظرت إليه بينما كان المطر يتساقط عليهما بقوة. بدا هائجاً ومنهكاً، وخمنت بأنه لا بد قد غادر الطائرة، وقدم مباشرة إلى هنا. بدا وكأنه لم ينم لأيام، وهو ما كانه بالفعل. أضاف: "شاهدت وجهك في العاصفة حين حسبت بأننا كنا نغرق. أقسمت بأننا إذا نجونا سأتصل بك". بدت مرتابة بشأنه. كانت قد عانت عذاباً شديداً منذ آخر مرة رأته فيها.

قالت: "لم تتصل بي"، وكأنما كان لكلامها معنى، ولكن لم يكن هناك معنى لأي شيء الآن. لم تعرف سبب وجوده هنا، أو ما الذي كان يقوله، وكأنما كان يتكلم بلغة غريبة. كانت الأفكار تتلاحق في ذهنها.

قال: "لا، لم أفعل". كان في عينيه شيء لم تره فيهما أبداً حينما كان معها. كان شيئاً نافذاً وقوياً وأكيداً، وكأنه قد مات وعاد للحياة مرة أخرى، وقد كان كذلك بالفعل، وهو حرّ الآن. أضاف: "أردت أن أراك. هل أنت بخير؟". أومأت له. كانت قد حسبت بأنه سيقتلها، وفقدانها إياه كاد أن يقتلها. ولكن كما فعل هو، فقد واجهت العاصفة التي تركها فيها، واستطاعت النجاة منها. ووقفا

هناك في المطر ينظران لبعضهما محاولين أن يريا ما الذي تبقّى، إن كان قد بقي شيء. لقد جرفا فوق الجانب بقوى أكبر منهما، وليس لديهما فكرة إن كان باستطاعتهما العودة للوراء. وأكمل: "رأيت حلماً عن جين وأنا في طريق العودة إلى هولندا. بدت هانئة، وأخبرتني بأنها بخير وأنها تحبني. وفي نهاية الحلم التفتت بالابتسام ومشت مبتعدة". أنصتت له ماغي وأومأت. عرف كلاهما ما عناه ذلك. أخيراً، لقد صفحت عنه.

قالت: "لقد تأخرت عن المدرسة"، حيث لم تجد شيئاً أفضل لتقوله، وبدا أنه لم يسمعها.

قال: "هل تأتين معي؟". كان قد قطع مئة آلاف ميل ليسألها هذا السؤال. وأكثر من ذلك، لقد جاء من أحشاء الموت، وعبر عمره بأكمله. ولكن الشيء الوحيد الذي وجده في العاصفة كان كل ما هو بحاجة إليه. فبين فكي الموت، وجد الصفح. كان يعلم بأنه إذا نجا فهو يستحق ماغي. كان ذلك هو سبب رؤيته لوجهها في تلك الليلة، وكأنما كانت له – أي ماغي – رؤيا ووعداً. لقد وجد ما كان يبحث عنه، ليس الصفح فقط وإنما الحرية. لقد دفع ديونه حتى ربع البنس الأخير منها. وقد أطلقه حلم جين الأخير حراً في النهاية.

قالت: "هل أنت جاد؟"، وحدقت به، وكأنما لا تصدق أنه يعني كلامه.

أجاب: "إني كذلك. هل ستفعلين؟ هل تريدين المجيء معي؟" ترددت لما بدا دهراً بالنسبة له، وأخيراً أومأت وهمست قائلة: "أريد ذلك، ولكن هل تريده أنت حقاً؟"، وضحك هو هذه المرة.

قال: "لقد كدت أن أغرق مع السفينة، والله يعلم سبب نجاتنا، وخاصة أنا من بين الجميع. وقد أتيت من أفريقيا إلى هولندا إلى نيويورك إلى هنا. نعم يا ماغي، أريد ذلك. وأكثر من ذلك، أنا أكبر مغفّل عاش أبداً. وأعدك بأني لن أتركك أبداً مرة أخرى. آه، نعم، سأفعل، ولكن ليس بالطريقة التي رحلت بها عنك في تشرين. أحسب بأنه كان يجب أن أقترب من الموت إلى ذلك الحد

لأكتشف ما الذي أردته حقاً". وانحنى على ركبة واحدة تحت المطر وضحكت له وهو يقول: "والآن، هل ستأتين معي؟".

أجابت: "حسناً، حسناً، ولكن يجب أن أعطيهم إشعاراً في المدرسة، وعليّ أن أصحح بعض الأوراق. متى تغادر؟".

قال: "لن أغادر حتى تأتي معي. ستبقى السفينة في هولندا لشهرين على الأقل، وربما ثلاثة"، وابتسمت له. لم يبدُ لها أبداً بحال أفضل، وهو ما بدته هي أيضاً له، كما أنها كانت مبللة بالماء تماماً كما كانت في اليوم الذي لاقاها فيه لأول مرة. وأضاف: "هل تريدين أن أوصلك إلى المدرسة؟"، وابتسمت إليه وأومأت. وسألها وهي تناوله مفاتيح سيارتها: "ما أقرب وقت يمكنك إشعارهم فيه؟". كان الأمر كله رائعاً وجنونياً، تماماً كما كان هو. لقد قطع منتصف العالم ليسألها أن ترحل معه، وكان عليه أن يرى الموت ليقوم بذلك. ولكن إن كان هذا ما تطلّبه الأمر، فهو يستحق العناء.

أجابت: "سأعطيهم إشعاراً بالمغادرة اليوم"، وعندما أدار محرك السيارة، ورجع بها للخلف على طول الطريق الخاصة بمنزلها سألته: "هل هذا مناسب لك؟" كان كلاهما مبللاً حتى العظم عندما أوقف السيارة مرة أخرى ونظر إليها وسألها: "هل قلتُ لكِ بأني أحبكِ؟".

قالت: "لا أستطيع أن أتذكر. ولكنني اكتشفت ذلك بنفسي على كل حال، إذا كنت قد قطعت كل هذه المسافة، فلا بد أنك تحبني على الأرجح. أنا أحبك أيضاً. والآن، أوصلني للمدرسة فقد تأخرت. لقد أخفتني للغاية، حسبت أنك ستهاجمني".

ابتسم ابتسامة عريضة وقال: "كنت سعيداً فقط لرؤيتي إياك"، وواصل الرجوع بالسيارة على طول الطريق، ثم قادها أسفل شارع فاليجو. ووافقته الرأي عندما أخبرها عن العاصفة التي كانوا فيها، لقد كانت معجزة بالفعل. لقد تطلّب الأمر معجزة ليعود إليها، وذكّرته وهي تبتسم له بأنها كانت عاصفة أيضاً تلك التي جمعتهما معاً في بادئ الأمر.

أنزلها عند المدرسة، ولوّحت له، بينما جلس يراقبها وهي تركض تحت المطر. كانت ماغي المعجزة التي دخلت حياته وجلبت الصفح. والحب كان المعجزة التي شفته.